

(به عرض مفصل وموصل لقواعد تجويد القرآن الكريم)
(وبعض ما هو من بابها ، مع تطبيقات وافية)

المُختَصَر في أصواتِ اللغة العربيّة

دِراسة نَظَريّة وتَطبيقيّة

الأستاذ الدكتور
محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
(العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة)



42 Opera Square - Cairo Tel : (202)23900868



٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

المختصر
في أصوات اللغة العربية
دراسة نظرية وتطبيقية

(به عرض مفصّل وموصّل لقواعد تجويد القرآن الكريم)
(وبعض ما هو من بابها، مع تطبيقات وافية)

الدكتور
محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
(العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة)
حاليًا: أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم بطنطا

الطبعة الخامسة مزيدة ومنقحة
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

Editions
Al-Adab
1923
42 Opera square - Cairo – Egypt

الناشر
مكتبة الآداب
42 ميدان الأوبرا - القاهرة ت: 23900868
البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com



الناشر

مكتبة الآداب

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جبل ، محمد حسن حسن
المختصر في أصوات اللغة العربية
: دراسة نظرية وتطبيقية/ محمد حسن حسن
جبل . -ط ٥ مزيدة ومنقحة . - القاهرة:
مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦ - ٢٣٢ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك ١٨٢- ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الأصوات اللغوية العربية ٢- اللغة العربية النطق
٣- القرآن ، تجويد
أ - العنوان

٤١١,٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

عنوان الكتاب: المختصر في أصوات اللغة العربية

دراسة نظرية وتطبيقية

اسم المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل

رقم الإيداع: ١٩٥٦٣ لسنة ٢٠٠٨هـ

الترقيم الدولي: I.S.B. 978 - 977 - 468 -018 - 2

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة
هاتف ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢)
e-mail: adabook@hotmail.com

مقدمة الطبعة الرابعة[1]

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد،

فهذه هي الطبعة الرابعة من «المختصر في أصوات اللغة العربية»، وقد أجريت في مقرراته تحريراتٍ وتنقيحاتٍ في مواضع جدّ كثيرة، كما أضفت تطبيقات صوتية كثيرة تتمثل في كلمات تغيّر نطقُها العاميّ عن نطق أصلها الفصيح لعلاقة صوتية بين النطقين تبيّنها هذه الدراسة، وذلك لتقريب هذه المادة إلى نفوس القراء، إذ به يشعرون أنهم يدرسون ما يشيع تعاملهم به من اللغة، ثم لتقريب دراسة اللغة عمومًا إلى نفوس الشدَاة والراغبين. كما أني أضفت في قسم التجويد صفحات تتضمن بيان ما تنبغي مراعاته في نطق كل حرف عند قراءة القرآن الكريم.

وأحب أن أنوّه هنا بأمور التزمتها من حق الدارس أن يحيط بها:

أولها: أن ما قررته من أحكام صوتية في هذا المختصر بالنسبة للمخارج والصفات وما يليها هو ما اقتنعت به أنا شخصيًا تمام الاقتناع ثمرة للدراسة والخبرة - أعني دراسة مقررت القدماء والمحدثين على السواء، مع إنعام النظر في كل ما يلفت في نطق منْ أَسْمَعُهم، ومع تذوق نطق الحروف مرات بعد مرات. فلم أقرر حكمًا لمجرد أنه رأي القدماء أو أنه رأي المحدثين. وسيجد الدارس أنني كثيرًا ما خالفت مقررات القدماء، وكثيرًا أيضًا ما خالفت مقررات المحدثين.

وثانيها: وهو يتصل بالأول: أن ما قرّرتُه بشأن ما اختُلِف فيه من أَمرِ الهمزة، والجيم، والضاد، والطاء، والقاف - هو الصحيح الفصيح في نطق هذه الأحرف وفي تحديد مخارجها وصفاتها وهيئات خروجها - وقد وثقت ذلك توثيقًا علميًا تامًا - مع علمي

(١) عدلت مقدمة ما بعد الطبعة الأولى لتناسب ما في هذه الطبعة (الرابعة)، بدلاً من شغل الصفحات بما لا يهم الدارس.

بما قرره الأساتذةُ اللغويون الآخرون، وبما عدّوه أدلة لهم لم أرَ فيها ما رأوه. أما عَزْو نطق المصريين القاف مهموسة - حتى في قراءة القرآن الكريم - إلى قبيلة تميم فهو ترجيح قريب من اليقين مبني على كلمة لابن دريد، وقد شاع هذا النطق في بلاد عربية أخرى. وأما عزو النطق المصري للضاد إلى لهجة عربية معينة فهو ترجيح أقل يقينًا إلى الآن. فالترجيح في الحرفين خاص بعزو أصل النطق المصريّ إياهما، أما سائر ما قررناه بشأنهما فهو يقينيّ محقق علميًا.

وثالثها: أنني أحرص على إبراز ما تَيَقَّنْتُ صحتَه من مقررات الأئمة العرب المتقدمين، وذلك في المسائل الحديثة، والتي اختُلِف فيها. فذلك حق أئمتنا، وحقُّ العلم، وحق أبنائنا الدارسين الذين يهتز انتماؤهم واعتزازُهم بتراثهم عندما يُفْجَعون بأن المقررات الصوتية (وغير الصوتية) بشأن لغتهم العربية العريقة تُستَقَى من دراسات أوربية، وكأنّ العرب كانوا جثثًا هامدة طوال الأربعة عشر قرنا التي مرت منذ نزول القرآن الكريم عليهم ﴿بلسانٍ عربيّ مّبين﴾. في حين أن الحقيقة هي أن مشكلتنا نحن الآن هي غَزارةُ ما قدّم علماءُ العرب من دراسات نافعة تصعب إحاطتنا بها.

ورابعها: أن ما وجدته من دراسات الأوروبيين صالحًا للتطبيق والانتفاع به في لغتنا العربية قبلتُه وعرضتُه - وهذا حق العِلْم. وما وجدته غير ذلك بينت رأيي فيه.

أسأل اللّه عزَّ وجلَّ أن يتقبل جهدي في هذا الكتاب وفي كل كتبي، ويكتب لها الذيوع، ويُلقي على صحيح ما فيها القبولَ الحسن، ويقيّضَ لما يكون فيها من زيغ من يقوّمه. اللهم آمين. وصلِّ اللهمّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

أ.د محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
(العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة)
حاليًا أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم بطنطا

طنطا في يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر صفر ١٤٢٧هـ
الموافق ٢٦ من مارس ٢٠٠٦م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة هذه الطبعة المختصرة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

وبعد فقد لمست أن غزارة المادّة العلمية المتضمَّنة في كتابي «أصوات اللغة العربية» جعلتْ طلاب المرحلة الجامعية الأولى الذين يدرسونه يجتزئون بالمعلومات الأولية عن المسائل الأهم والأنسب لهم، وهي التي تتناول تحرير النطق الصحيح لأصوات العربية مفردة ومركبة، وتقضي في ما ثار حول تلك الأصوات من خلاف.

وقابل ذلك من جانبي توفر مادة جديدة لمسائل صوتية بعضها تحرير أو تفصيل لما في الكتاب المذكور، وبعضها إضافات لا بد منها لوقوعها ضمن موضوع الكتاب.

ومن هنا رأيت أن أخلّص لطلاب المرحلة الجامعية الأولى ما لا غنى لهم عنه من مادة الأصوات في مختصر من ذلك الكتاب، عازمًا - بمعونة اللّه تعالى - على ضم ما استجد إلى الكتاب الأصلي في طبعة موسّعة تجمع التفصيل والتأصيل.

وهكذا فإن هذا الذي بين يدي القارئ هو مختصر من كتاب أصوات اللغة العربية، تَمثل اختصاره في أن حذفت منه ما هو أنسب لطلاب الدراسات العليا. ولم أمسّ قسم التجويد بأي اختصار، لأن تجويد القرآن الكريم هو أعز ما تُطلب له دراسة أصوات اللغة العربية.

ومن هنا فسنَعرِض في خفة لدراسة الصوت دراسة طبيعية، ثم نَعرِض لدراسة الجهاز الصوتي الإنساني بشيء من التفصيل، فإذا تم لنا ذلك وقفنا وقفة سريعة عند منهجَي البحث عن الحقائق الصوتية: منهج «الذوق» الذي كان القدماء يعالجون به تحديد مخارج الحروف وصفاتها ومنهج الأجهزة التجريبية الذي يستعين به المحدثون في ذلك التحديد.

فإذا انتهينا من ذلك بيّنا شعب الدراسة الصوتية، وعرّفنا بكل شعبة. ثم نأخذ في دراسة الأصوات اللغوية مجردة ومنتظمة، ثم نتناول تطبيق تلك الدراسة في المجالات اللغوية بعامة، ثم في القرآن الكريم بخاصة.

ولما كان هناك غموض يكتنف صلة الدراسة الصوتية بالدراسة اللغوية، ويشكك في مدى جدواها في المجال اللغوي[1] - اقتضى هذا أن نأتي في هذا المختصر بأقرب أهداف دراسة الأصوات وأوضحها جدوى. والله المستعان.

أ.د محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة المتفرغ بجامعة الأزهر

طنطا ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

---

(١) يقوم ذانك الغموض والتشكيك على تصورات خاطئة كتصور أن أصوات اللغة معروفة وواضحة وليست لها مشكلات تستحق الدراسة، أو أن الدراسات اللغوية المختلفة ليست بحاجة إلى دراسة الأصوات أو مقررات الدراسة الصوتية، أو أن دراسة الأصوات إنما تلزم في مجال تجويد القرآن فحسب.

من أهداف دراسة أصوات اللغة العربية

(أولُ) ما تهدف إليه دراستُنا لأصوات اللغة العربية هو ضبطُ النطق الصحيح، والأداء الفصيح للكلام العربي بعامَّةً، وفي قراءة القرآن الكريم بخاصة - على نهْج ما كان العربُ الفصحاءُ يفعلون؛ ذلك أن الأداء السليم الفصيحَ للغة يحفظ لها رَوْنَقها في الأسماع ووقعَها الساحر في الطباع[1]، ويفتح لها القلوب فتَعِي ما تسمع، ثم تتأمل في أَناةٍ وارتياح، وبذلك يتمهد للسامع سبيلُ الاستجابة والتقبل لما يَسْمَع - إن أسعفت سائرُ الظروف بذلك القبول. كما أن النطق السقيم يهدر جانبًا من وظيفة الكلام، ويَهضم حقَّ السامع.

وتحديدُ قواعد النطق الجيد يلفت إلى العيوب[2] التي تخدش جمال الأحاديث الصوتية، ويُمَهِّد لأداء الكلام على وجه يحقق الغاية منه.

كذلك فإن اللغة ألفاظٌ ومعانٍ. والمعاني مَنُوطة بالألفاظ. وبقدر استيفاء اللفظ لحقه في الأداء يكون استكمالُه التعبيرَ عن جوانب معناه، ويكون تعبيرُه عن المتكلم أَوعَى، وتأثيره في السامع أَوفَى، واستجابةُ السامع له أَرجَى.

ولا شك أن من حق السامع أن يتهيأ له - في ما يُخاطَب به - أداءٌ واضح تتميز

---

(١) جمالُ اللغة العربية، وأخذُها بالألباب، والحِسُّ الخاص الذي يتميز به العربي نحو لغته.. قضايا مقررة - تأتي شواهد لبعضها قريبًا. ولعل سرَّ جمالها وسحرها يرجع في جانب منه إلى أنها لغة شاعرة تتراوح فيها الحركات والسكنات - والنفوس ترتاح للتعبير المتناسق الموقَّع، وأنها غزيرة الثروة من المفردات المخصصة والدقيقة الدلالة - والتعبير الدقيق أمكنُ في النفوس وأحظَى لها لأنه أدلّ وأخصر، وأنها غنية بأساليب البيان - والنفوس تستمتع بالحرية والسَّعة التى تتيحها كثرة الأساليب وإمكان الاختيار، كما تستمتع بالصور والأخيلة الطريفة التي تقوم عليها تلك الأساليب البيانية.

(٢) من العيوب ما يُلحظ في نطق عامة المثقفين للثاء والذال والظاء، والجيم بل وفي نطق الخاصة للطاء والضاد والقاف، وما شاع من إدغام ما لا يدغم كإدغام لام التعريف في الجيم في مثل الجامع والجبهة وفي الكاف مثل الكتاب، وكذلك قطع همزة الوصل، وترقيق المفخم مثل الطاء والصاد، وتجاوز حدود المد أو التقصير عنها، إلى غير ذلك من أخطاء الأداء الصوتي.

مفاصله، ويمتد رنينه ليعبر عن أبعاد معناه. كما أن من حقه أن (يُنَغَّم) له الكلام بما يناسب مقتضى الحال - إسهامًا في صدق التعبير وكماله.

فإذا أُدِّيتْ الحروف من مخارجها، واستُوفيتْ صفاتُها، وحسُن تآلفها في كلماتها، وحسُن تآلف الكلمات في عباراتها، وأُلْقِيتْ العبارات على الوجه المناسب لموضوعها - في فصاحة تتمثل في وضوح المفاصل وقوة النبَرات - فلا شك أن السامع يكون قد استوفَي حقَّه، ولن يؤفَكَ عما يُراد منه إلا لعوائق في ذات نفسه أو في معقولية الكلام الذي سمعه. وإذا كان عَرْضُ الكلام على هذا الوجه من البيان والفصاحة وحسن الأداء حقا للسامع لاشك فيه، فإنه يصبح بالضرورة واجبا على المتكلم لا فَكَاكَ منه - إن كان يريد أن يبلُغَ مرادَه بما أَلْقَى من كلام.

ولعله لهذا كان دعاءُ موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - رَبَّه ﴿واحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[1]: فرتَّب فِقهَ الناس قولَه على حلِّ عقدة[2] لسانه. ولعل ذلك المعنى نفسه يفسر بعض جوانب الأمر الكريم ﴿ورَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلا﴾[3].

فإذا جاوزنا جانب الإفهام بسلامة أداء الكلام، وجدنا أن الأداء الفصيح المحكَم للغتنا العربية يُمتع ذوى الحس اللغوي المرهف، ويأسِر نفوسهم بصورة قد تفوق المتعة باللحون الغنائية. فالعربيّ المُرهف الحس يلَذّ سماع الإلقاء الفصيح للتعبير الصحيح، ويسحَرُه الجَرْسُ الذي يمثل المعنى تمثيلا صادقا. فتراه يستريح إليه، ويَهَشّ له. وربما أسهم هذا الارتياحُ في قبوله مضمون الكلام، وانقياده إليه - ما لم تكن هناك عوائق أخرى. وصدق رسول الله

(١) سورة طه (٢٧، ٢٨) ولا شك أن طريقة الإلقاء أيضًا مما يدخل تحت ما أُمِرَ به موسى وأخوه هارون في قوله تعالى: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ سورة طه ٤٤ .

(٢) فُسِّرَت العقدة بالرُّتَّة، وبالعُجْمَة (تفسير القرطبي ٢٩٢/١١) والرُّتَّة هى الحُبْسة، والعُجْمَة عَدَم الإفصاح. وتصدق باللُّثغة واللَّفَف والحُكلة وما إليهن. ولكن تعبير القرآن الكريم بالعُقْدة، وما حكاه عن فرعون من وصفه سيدنا موسى بأنه ﴿لا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: ٥٢) يُرجِّح أن تلك العقدة كانت رُتَّةً أي حُبْسة يحتبس النطقُ عند البدء بالجملة أو الكلام ثم ينطلق، وبالحُبْسة أيضًا فسَّرها الجاحظ في البيان والتبيين (٧/١، ٨، ١٥).

(٣) سورة المزمل (٤ ، والترتيلُ: القراءةُ كلمةً كلمةً مع التمهل والتزام المخارج والصفات.

صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «إنّ من البَيَانِ لَسِحْراً». ويقول عمرُ بن عبد العزيز»: ما كلّمني رجل من بني أَسَد إلا تمنيت أن يُمَدَّ له في حُجته حتى يكثر كلامه فأَسمعَه»[1] أي أنه يستمتع بسماع كلامهم. ويقول الجاحظ «ليس في الأرض كلام هو أمتعُ، ولا أنفع ولا آنَقُ، ولا ألذُّ في الأسماع، ولا أشدُّ اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتقُ للسان، ولا أجودُ تقويما للبيان.. من طول سماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء»[2].

وكان الحَجّاج - وهو مشهور بالفصاحة - يستوصفُ من يَفِدُون إليه ما رَأَوْا من مطر أو غيره ليتمتع بحديثهم[3]. ولا نريد أن نسوق هنا ما حَكَى الشعراءُ عن افتتانهم ببعض النساء لمجرد سماع حديثهن[4]، لأن هذه الشهادة مشوبة بظن الشهوة - والشهوة عمياء زائفة الشهادة. والحديث عن أَثَر السماع للقرآن - في مقابل ذلك - حاسم الدلالة: روى ابن الجزرى (٨٣٣هـ) بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي (تابعي مخضرم ت نحو ١٠٠هـ) قال: «صلى بنا ابن مسعود بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فوالله لَوَدِدْتُ أنه قرأ بسورة البقرة، من حسن صوته وترتيله» ا هـ. ثم يقول ابن الجزري: «ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حُسْنُ صوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جَيّد الأداء، قَيّما باللفظ، فكان إذا قرأ أطرب السامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه، أُمَمٌ من الخَواصّ والعوامّ، يشترك في ذلك من

---

(١) البيان والتبيين - هارون (١/١٧٤) (سندوبي ١/١٨٥) والمختار من محاضرات الأدباء، للراغب ٣١.

(٢) «البيان والتبيين» (١/١٤٥).

(٣) انظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري (١/١١٠) وترجمة ابن القِرّية في وفيات الأعيان (تحقيق الشيخ محمد محيي الدين ١/٢٢٧).

(٤) كما أنشد ابن القاسم الأنباري:

وأدْنَيتِني حتى إذا أن سَبَيْتِني ... بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطحِ [الطويل]

وقول الآخر:

وحديث بمثله يُنزَل العُصْـ ... ـمُ رخيم يَشُوبُ ذلك حِلْمُ [الخفيف]

(الأضداد لابن الأنباري) وقال ثالث:

رُهبانُ مَدْيَنَ والّذين عَهِدتُهم ... يبكون من حَذَر العذاب قُعُودا

لو يسمعون كما سمعتُ حديثَها ... خَرّوا لِعَزّةَ رُكّعا وسُجُودا [الكامل]

يعرف العربيّ ومن لا يعرفه من سائر الأنام، مع تركهم جماعاتٍ من ذوي الأصوات الحِسان، عارفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التجويد والإتقان. وبلغنا عن الإمام عبدالله بن علي البغدادي المعروف بسِبْط الخياط (٥٤١هـ) أنه كان قد أُعطي من ذلك حظا عظيما، وأنه أسلم جماعةٌ من اليهود والنصارى من سماع قراءته»[١].

أقول: ولعل ذلك كلّه يفسر جانبا[٢] من وصف أحد قادة الكفار للقرآن بقوله[٣]: «إن له لحلاوةً، وإن عليه لَطَلاوة» ،كما يفسر لنا سرًّا من أسرار استراق الكفار السمعَ للقرآن والرسولُ صلى الله عليه وسلم يقرؤه ليلاً[٤]، واتخاذهم اللغوَ والصخَبَ على من يقرأ القرآن أسلوبًا لمحاربته[٥]. وبعض ذلك يرجع ولا شك إلى الروعة المعجزة من تآلف أصوات الألفاظ القرآنية، وتآلف الألفاظ في عباراتها، وتآلف العبارات في مساقاتها، وبعض آخرُ يرجع ولا شك إلى الإلقاء الفصيح المعبر (الترتيل) الذي أَمَرَ به الله تعالى، وعلَّمه النبيُّ صلى الله عليه وسلم المسلمين[٦].

والتاريخ يذكر، والعصر الحديث يشهد - أن كثيرين ممن نالوا حظا من السيادة والعظمة

---

(١) النشر لابن الجزري (٢١٢/١).

(٢) هو جانب فصاحة الأداء وحسن الإلقاء مع حسن تأليف الكلام في ذاته. وهناك جوانب أخرى تعود إلى إحكام القرآن وإعجازه.

(٣) هو الوليد بن المغيرة (انظر تفسير القرطبي ٧٤/١٩ والسيرة لابن هشام ٢٧٠/١)، وانظر ما جاء في السيرة الحلبية (٤٨٧/١) من قول عقبة بن ربيعة في وصف القرآن «والله ما سمعتُ مثله قط. واللّهِ ما هو بالشعرِ ولا بالسِّحْر ولا بالكهانة» ثم قوله بعد ذلك (٤٨٨/١). «واللّهِ الذي نَصبَهَا بَنِيةِ - يعني الكعبة - ما فهمت شيئًا مما قال - غير أنه أنذركم صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود» وتأمل (ضمن قصة استماع كفار قريش قراءةَ النبيّ القرآنَ استراقًا بالليل) قولَ أبي سفيان: وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها» ووافقه الأخنس بن شُرَيق في ذلك (السيرة لابن هشام ٣١٥/١).

(٤) قصة تَسلُّل أبي جهل والأخنس بن شُرَيق وأبي سفيان - قبل أن يُسلِم - ليلا إلى بيت النبيّ ليسمعوا قراءته ، ثم التقائهم وتلاومِهم وتعاهدِهم على ألا يعودوا، وعودتهم رغم ذلك مرتين أخريين - في السيرة لابن هشام ٣١٥/١ ، ٣١٦ - وانظر التعليق السابق لهذا.

(٥) سجل القرآن عليهم ذلك ﴿وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ والْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ سورة فصلت ٢٦ .

(٦) هناك أيضًا جوانب أخرى للإعجاز ليس هنا مجال عرضها.

بين قومهم - من حكماءَ وزعماءَ، وعلماءَ وقُرّاءَ، وأدباءَ وخطباء وغيرهم = كانت جَودةُ الإلقاء وفصاحته إحدى السِّمات التي ميزتهم ودَعَمَت عَظَمتهم وشُهرتَهم[1].

ولئن كان تحصيل هذا الهدف الأول - وهو إجادةُ النطقِ والإلقاءِ على أسس علمية - واجبا تفرضه معايير الجمال، وحق اللغة والقرآن والمستمع على كل ناطق بالضاد، فإن معايير الكفاية المهنية - بالإضافة إلى ذلك - تجعل تحصيل هذا الهدف وأسسه العلمية ضرورة أساسية على المعلّمين، وخاصة معلمي اللغة العربية، حتى يكونوا قدوة صالحة في جَودة النطق والإلقاء، وحتى نيسِّر لهم معالجة المشكلات اللغوية المتصلة بالجانب الصوتي للغة - وهي كثيرة تحتاج إلى ذخيرة دسمة توفِّرُها لهم هذه الدراسة، فيقومَ تعليمُهم وتوجيههم لأبنائهم على أسس ركينة.

ثانيا: إن دراسة أصوات اللغة، وتحقيق مخارجها وصفاتها - مفردة ومنتظمة - تمكننا من (رَصْد)[2] التطور الصوتي الذي تتعرض له أصوات اللغة، وتقنين هذا التطور وضبط اتجاهاته. ويتم هذا الرصد بتحديد النطق الحالي لأصوات اللغة تحديدا علميا دقيقا - أخذا من الواقع، مع تحديد النطق القديم لهذه الأصوات عينِها تحديدا علميا أيضا - أخذا من الدارسات القديمة لأصوات اللغة، ثم بمعارضة النطقين أحدهما بالآخر يمكن رصدُ التطور واستنباطُ قوانينه.

وبتحصيل اتجاهات التطور وقوانينه يصبح لدينا أساس علميّ نعالج به تحقيق المطالب اللغوية الآتية:

---

(١) نذكر تنويه النبي ﷺ بقراءة عبد الله بن مسعود القرآن «غَضًّا كما أُنزِل»، وتنويهه بقراءة أبي موسى الأشعرى، وتنويه القُراء بفصاحة نطق عمر، وفصاحة عليّ والحسن البصري، ونافع إمام القراء، وعيسى بن عمر النحوي (انظر ترجماتهم في طبقات القراء) رضي الله عنهم - وكلها فصاحة نطق وإلقاء. وفي العصر الحديث يذكر الناس طريقة إلقاء د. طه حسين، والشيخ أحمد حسن الباقوري.. ومن هنا تستثمر الإذاعة قدرة بعض العلماء وبعض أهل الفن على الإلقاء الجيّد المحكم الذي يشرح القلوب لما يُلقون، فتَكِلُ إليهم إلقاءَ بعض الأحاديث النبوية الشريفة. ومن هذا القبيل اشتراك عدد من محسني الإلقاء في إنشاد قصائد البوصيري في مدح النبي ﷺ .

(٢) نقصد برصد التطور أن نلحظ وقوعه ونسجله تسجيلاً علميًا.

أ - كشفُ ما وقع من تطور لأصوات اللغة - قديما في ما تُظهره الدراسات عن أقدم صور اللغة العربية[1]، وحديثا في نحو ما وقع لأصوات القاف والطاء والضاد والجيم، وكثير من ألفاظ العامية[2]، ونحو ما قيل من تطور بعض ألفاظ الفصحى بالتركيب أو غيره مثل ليس ولَنْ وكأين..، وستة وودّ ونحوها[3]، وكما قيل من تركيب الألفاظ الرباعية وما فوقها من ألفاظ ثنائية أو ثلاثية[4]، بل ما قيل من تطور الألفاظ الثلاثية عن ثنائية، والثنائية عن مقاطع أُحادية - كما قيل في نشأة اللغة[5].

وقوانين التطور هي التي تمكننا من مناقشة هذه الدعاوى.

ب - نستطيع برصد هذا التطور ومعرفة اتجاهاته وقوانينه أن نَحُول دون تفاحشه تفاحشا يشوه أصوات اللغة أو يبهم معالمها. وعلى سبيل المثال فقد تبدلت في أداء عامة المثقفين المصريين أصوات الثاء والذال والظاء والصاد (والراء - في نطق بعض النساء)، وغَلَبَتْ على نطقهم الجيم لهجة ضعيفة. بالإضافة إلى تبدل أصوات الضاد والطاء والقاف - كما سيأتي تفصيله.

إن ذلك التبدل يؤدي - في الحد الأدنى - إلى التباس الجذور اللغوية والمفردات بعضها ببعض، وذلك باب واسع إلى فساد اللغة؛ فإن المعاني مَنُوطة بالجذور والمفردات، فإذا التبست هذه التبست تلك. ومعظم الصعوبة في إرجاع الألفاظ العامية إلى أصولها الفصيحة ناشئةٌ عن ذلك التبدل وهذا الالتباس[6]. لقد شكل هذا التبدل أبرز مظاهر

---

(١) ينظر مثلا: مدخل إلي نحو اللغات السامية المقارن. ترجمة د. مهدي المخزومي ود. المطلبي ٧٩ - ٨١ وغيرها.

(٢) سيأتي بيان هذا في هذا الكتاب.

(٣) ينظر تاج العروس، ومطولات النحو في مظان هذه الكلمات.

(٤) ينظر معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس. أبواب «ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف» التى عقب بها أبواب المعجم عدا أبواب الهمزة والواو والياء.

(٥) انظر - مثلاً سر الليال في القلب والإبدال للشدياق، ومقدمة العلامة العلايلي ومعجمه.

(٦) كما يخفي في أول الأمر رد لفظ مُدَبّب إلى ذبب، قنزح إلى قنزع، يتبت ويترِد إلى مُثْبِت ومثْرِد، وابن جنث إلى ابن جِنْث.. إلخ، وهناك مئات الأمثلة في الكتب التي تدرس أصول العامية. انظر مثلاً: المحكم في أصول الكلمات العامية. وسنأتي بأمثلة من هذا النوع بعد.

الاختلاف بين العربية والفصحى والعاميات المتطورة. ولولا اعتصام العرب بالنطق العربي الفصيح في قراءة القرآن الكريم - كما رُويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكما سجلها علماؤهم بأوصاف تناولت كل دقائقها - لتحللت الفصحى إلى لغات إقليمية غامضة الصلة بالفصحى أو دائِرتِها، كما حدث للغات الأوربية الحديثة، فقد كان تغيير أصوات حروف كثير من كلماتها من أبرز عناصر تميز هذه اللغات عن أمها اليونانية أو اللاتينية[1]. بل كما يفترضه الباحثون الآن من أن العربية واللغات السامية الأخرى إنما تفرّعن عن لغة سامية قديمة بمثل ذلك التغير لأصوات الحروف[2]. فرصْد أصوات اللغة وضبط نطقها الصحيح - توسلا إلى التزامه وتربية النشء عليه - هو الذي يعصِمُ من مثل هذا التحلل وذلك الالتباس، بما يؤديان إليه من استغلاق مصادر الدين والتشريع، وطمس معالم التراث بقِيَمِه وثقافته.. وكلها عناصر أساسية في تكوين ذاتيتنا.

جـ - كذلك فإن دراسة التطور الصوتي وكشف قوانينه تمكننا من كشف الصلة بين لهجات اللغة العربية - أو فروعها - على مختلف المستويات:

فبها نكشف العلاقة الصوتية بين **الفصحى والعاميات** المتطورة عنها، وبها نكشف الصلة بين **اللهجات** العربية المختلفة من نجدية وحجازية ويمنية وغيرها، وبها نكشف

---

(١) كما في تحول t.p في اللاتينية واليونانية pater إلى f و th في الإنجليزية tather وكذلك تحول الـ p فيهما إلى v في الألمانية Vater وكما في تحول f و t في اللاتينية frater إلى b و th وحذفت الـ t في الفرنسية pere و Frere وكما تحول صوت C من نطقها كالكاف في اللاتينية Centuria إلى س في الإنجليزية Century ثم إلى h و الـ t إلى d في الإنجليزية السكسونية Hundred وكذا تحول صوت الـ g إلى صوت الخاء في الأسبانية وهكذا.

(٢) تأمل الفروق والتبدل الصوتي في بعض الكلمات الآتية حسب اللغات السامية.

عربي	جنوب الجزيرة والحبشة قديمًا	أشوري وبابلي	آرامي	عبري
أب	أب	أبو	أبا	آب
ابن	بن	بنو	برا	بن
أخ	أخو	أخو	أحا	أح
إنسان	أنش	نشو	ناشا	أنوش

الصلة بين اللغة العربية وأخواتها الساميات كالفينيقية[1]، والآرامية، والعراقية والجنوبية... وفروعهن أيضا، كما نتبين معالم الاختلاف بينهن، وأسس هذا الاختلاف.

إن هذه الدراسات والمقارنات تفيد ولا شك في تعليل التغيرات اللهجية على كافة المستويات... ما سبق منها وما يستحدث.

د - كذلك فإن دراسة أصوات اللغة وصور تطورها تعين أيّما مَعُونة على كشف الصلة بين اللغة العربية واللغات الأخرى غير السامية. فلقد قال بعض الباحثين ذوي القدر والرأي المحترم بأن اللغة العربية هي أم اللغات التي في العالم، واستشهد لذلك بمئات من الألفاظ التي تَعُود جذورُها إلى ألفاظ عربية. وقد توسل في ذلك البحث بمعرفة التطورات الصوتية التي يمكن أن تحدث لحروف الجذر العربي حتى تصير إلى ما صارت عليه في اللغات الهند أوربية القديمة واللغات الأوروبية الحديثة[2].

ولا يَسَعُ متخصصا في اللغة العربية أن يتجاهل أمثال هذه البحوث - بَلْهَ تجاهُلَ الصلة بين لهجات العربية، أو بين العربية وسائر الساميات.

بل إن الباحث العربي يمكنه بدراسة قوانين التطور - تتبع العلاقة بين اللغات غير العربية كالعلاقة بين اللغات الأوربية وأمهاتها. وقد مرت بنا صورة وأمثلة لذلك منذ قليل. ولا شك أن تتبع مثل تلك العلاقة يزيد من خبرة الباحث في مجال الدراسة الصوتية العربية، لذلك نجد أن كثيرا من القوانين الصوتية عالميةٌ وصالحةٌ للتطبيق في جمهور اللغات المعروفة.

وأخيرا فإن دراسة الأصوات وتطورها والمقارنةَ بينها تساعد المتخصص في العربية

---

(١) انظر مسردًا (مقارنًا) للكلمات السامية ألحقه إسرائيل ولفنسون بكتابه تاريخ اللغات السامية.

(٢) تحدث الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - عن هذا في كتابه «أشتات مجتمعات في اللغة والأدب» ص١٤ - ١٦ وقد قرأت بعض بحوث العلامة محمد أحمد مظهر - وهو صاحب أبكر محاولة في العصر الحديث لردّ اللغات الهند أوروبية إلى العربية - واقتنعت بها. كما أن هناك كتبًا أُلِّفتْ لبيان أن آلافًا من مفردات اللغات الأوروبية ترجع إلى أصول عربية. وقوام كل تلك البحوث هو العلاقات بين حروف كلمات العربية وحروف الكلمات التي بمعناها من اللغات الأخرى المذكورة. وبحث هذه الدعاوى يتطلب دراسة علم الأصوات اللغوية دراسة ممحصة.

على تبين أسلوب العرب القدماء في تعريب أسماء الأشياء التي دخلت المجتمع العربي من فارس والروم بعد الفتوح، وحملت معها أسماءها، فوضَعَ العرب لبعضها أسماء من عندهم، وعرّبوا أسماء بعضها الآخر.. مغيّرين بعض حروفها وصيغها في نطقهم إياها إلى ما يناسب العربية.

ثالثا: تحقق الدارسة الصوتية كشف أسس كثير من الظواهر اللغوية في مختلف مجالات الدراسة اللغوية.

أ - ففي متن اللغة: تفسر دراسة الأصوات:

(١) ظاهرة الإبدال اللغوي المبني على التقارب (كما في هتن السحاب وهتل، والرُّجْبة والرُّجْمة: ما تُدعَم به النخلة الطويلة، والغيم والغَيْن، والنَّزْغ والنَسْغ: الطعن بيد أو رمح، ونشوز المرأة ونشوصها..) وهي ظاهرة أُلِّفتْ فيها كتب[1] شمِلت عدة مئات من الألفاظ[2] حتى قال أبو الحسن بن الصائغ» قلما تجد حرفا (يعني من حروف الأبجدية) إلا وقد جاء فيه البدل ولو نادرا[3]. فلا يسوغ لمتخصص في اللغة أن يجهل أسس هذه الظاهرة وأمثالها كظاهرتي الإبدال التخفيفي (باب تقضيت وباب حثحث).

(٢) كما تفسر سر إهمال بعض الأبنية كالمواد التي آخرها ثاء، وأولها ذال أو سين أو ظاء...

(٣) وتفسر أساس الحكم بأن لفظا ما مُعَرّبٌ لأنه لا يتفق ونَسَقَ التأليف العربي للأصوات.

(٤) كما تقدمَ دراسةُ الأصوات أساسَ الترتيب المعجمي الصوتي.

ب - وفي فقه اللغة تفسر دراسة الأصوات:

(١) ظاهرة التصاقب (كالأَسَف والعَسْف، والأَزّوالهَزّ، والجلَح والجلَه) وهي ظاهرة تبدو مطردة في اللغة لا يسوغ الجهل بها أو بأسسها.

(٢) كما تفسر بعض صور الاشتقاق. (٣) ونظريات نشأة اللغة.

(٤) وبعض الاختلافات اللهجية.

---

(١) كالقلب والإبدال لابن السكيت، والإبدال لأبي الطيب اللغوي.

(٢) تناول كتاب القلب والإبدال لابن السكيت نحو ٤٦٠ لفظًا وقع فيها إبدال، وجمع السيوطي نحو ١٤٤ لفظًا (انظر المزهر النوع ٣٢ فيه).

(٣) المزهر عيسى الحلبي ٤٦١/١.

(٥) وبعض صور التطور اللغوي التاريخي وصور الأداء العامي للغة (كإمالة نحو المدرسة «والإبدال في نحو «حجيت»، والإدغام في نحو «الكلمة»).

جـ - وفي الصرف تفسر دراسة الأصوات:

(١) السر في ثقل بعض الأبنية (كصيغ فِعُل وفِعِل وفُعِل في الأسماء.)، كما تفسر ظواهر القلب والإبدال والإعلال الصرفى، والإدغام.

(٢) وتفسر بعضا من أبواب مضارع الماضي الثلاثي كصيغة فعَل يفعَل (بالفتح فيهما).

(٣) وحالات التقاء الساكنين (الجائز منها والممتنع).

د - وفي النحو تفسر دراسة الأصوات:

(١) علامات الإعراب وتجانسَها.

(٢) وإسكان آخر الفعل المسند للضمائر المتحركة، والعلاقة بين صور بعض أنواع الضمائر كضمير الغائب، وكذلك تفسر ضبطَها في مواقعها، وتفسر الاستغناء عن الأدوات بالنبر والتنغيم.. إلخ.

هـ - وفي البلاغة والأدب تفسر دراسة الأصوات:

(١) ظاهرة تنافر الحروف والكلمات المُخِلّ بالفصاحة.

(٢) وظاهرة الإيحاء بالمعنى والتناسب معه في الألفاظ والعبارات.

(٣) وكثيرا من المحسنات البديعية.

و - وفي العروض تفسر بعض الظواهر الخاصة بقواعد الوزن العروضي وأنواع القافية وعيوبها.

وهذا كله عدا الحصيلة المباشرة من الحقائق الصوتية التي توفرها دراسة الأصوات، والتي تزود الدارس بالأساس العلمي للأداء الفصيح للغة. كما تزوده بالأساس العلمي لتجويد القرآن الكريم، كما أن دراسة الأصوات مقدمة علمية ضرورية لدراسة القراءات القرآنية[١].

---

(١) مما يلفت النظر ويؤكد أن دراسة الأصوات أساس ضروري لعلاج كثير من الموضوعات اللغوية الأساسية أنها اتخذت مكانها بين موضوعات الدراسة منذ المؤلفات اللغوية الأولى «العين» للخليل (١٧٠هـ)، «الكتاب» لسيبويه (١٨٠هـ)، ثم شاع تناولها في كتب اللغة تبعًا واستقلالاً.

منهجا البحث في الأصوات

يراد بمنهج البحث هنا الطريقةُ التي يُتوصَّل بها إلى كشف الحقائق الصوتية وتقريرها: كتحديد مخارج الحروف، وصفاتها وهيئات أعضاء الجهاز الصوتي مع إخراج الحروف ومع اتصافها بصفاتها.

وللباحثين في هذا منهجان:

(١) المنهج القديم وهو التجربةُ الذاتيةُ ويعبرون عنه «بالذوق» أي ذوق الحروف - بتجربة نطقها والتأمل الذاتي في موضع تَكَوُّن كل حرف وصفاته وهيئاتِ أعضاء الجهاز الصوتي معه. وفي ذلك يقول الليث حاكيا عن الخليل بن أحمد (ت نحو ١٧٥هـ) هذا المنهج «وإنما كان ذَوَاقُه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يُظهِرُ الحرف (المرادَ ذوقُه) نحو اَبْ. اَتْ. اَعْ. اَغْ... فوجد العينَ أدخلَ الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب (أي معجم العين للخليل) ثم ما قَرُب منها الأرفعَ فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم»[١].

وننبه هنا: إلى ضرورة الاحتفاظ بهذا المنهج وعدم التفريط فيه أو الإزراء عليه، أوّلاً لأنه متاح دائما على المستوى الفَرْدِيّ والعامّ، وهذا بدوره يتيح فُرَصَ تنويع التذوق للتوصل إلى النطق الصحيح. وثانيًا لأن الاحتكام إليه هو أقرب سبيل إلى فهم تعبيرات القدماء ومقرراتهم. وأنا أتخذ في دراستى هذه منهج الذوق هذا مع الحرص على دراسة مقررات قدمائنا دراسة تمحيص.

(٢) المنهج الحديث أو منهج الاستعانة بالأجهزة المستحدثة.

أما المنهج الحديث فهو قائم على استخدام الأجهزة الدقيقة في دراسة الأصوات بدلا من الاعتماد على الإحساس الشخصي المعرّض للالتباس. وعدّ بعضهم هذه الدراسات

---

(١) العين للخليل بن أحمد، تحقيق: عبد الله درويش (٥٢/١)، هذا وسيتبين فيما بعد أن العين ليست هي أدخل الحروف وإنما تسبقها الهمزة والألف والهاء وقد جاءت بهذا عَيْنِه رواية أخرى لكلام الخليل (ينظر المزهر ٩٠/١).

فرعًا من الدراسة اللغوية باسم علم الأصوات التجريبي Expirimental Phonetics ولكن الدقيق أنه هو علم الأصوات هذا إذا استعان بالأجهزة الصناعية. **ومن هذه الأجهزة الحديثة:**

(أ) رسّام الذبذبات الموجية (الكيمو جراف) Kymograph وهو جهاز لتسجيل الذبذبة أو التأرجح الموجيّ (الصوتيّ) في خط تموجيّ. وهو مكوّن من أسطوانة تُثبّت على محيطها شريط وَرقى فتدور ويمتد إلى الورق قلمٌ يسجِّل عليه الذبذبات، وهذا القلم يتصل بأنبوبة يمكن أن يثبت في طرفها الآخر أيٌّ من عِدّة أدوات معدنية مهيّأة لتنطبق على مقدّمة الرقبة (فوق الحنجرة) أو فتحة الأنف أو الفم.

وعند الكلام يتحرك الهواء من الفم أو الأنف أو يتحرك ظاهر الحنجرة وتنتقل تلك الحركة بواسطة الأدوات المعدنية إلى القلم الذي يتحرك فيسجل الحركات على الورق على هيئة خط مَوْجِيّ.

كما يمكن تسجيل ضغط الرئتين عند نطق أيّ مقطع صوتي بواسطة حزام أو أكثر يلتف على الصدر ويوصّل بالكيموجراف. وكذلك يمكن قياس انفراج الشفتين عند نطق الأصوات المختلفة - بأداة أخرى توصل بالكيموجراف أيضًا.

(ب) رسّام ذبذبات التيار الكهربي (الأوسيلوجراف) Oscillograph وهو جهاز يمثل ذبذبات التيار الكهربيّ تمثيلاً مرئيًا. وهو يحوّل الموجات الصوتية التي يتلقاها - من (مكبر صوت) أمام فم المتكلم - إلى موجات كهربية تظهر على شاشته. وبواسطته يمكن تحليل الموجات الصوتية المركبة إلى الموجات (البسيطة) التي تتكون منها، ويمكن كذلك تصوير الذبذبات - التي تظهر على شاشته - لعبارة ما.

(ج) رسّام الطيف الصوتي Sound Spectrograph[1] وهذا الجهاز يستطيع تحليل الجمل أو العبارات المنطوقة، وبيان الذبذبات الموجودة في كل جزء من أجزائها،

---

(١) عن معاني أسماء الأجهزة kymograph مركب من اليونانية kuma = موجة / قمة، graph كتابة، Oscillograph و Oscillo مأخوذة من Oscillate = يتأرجح أو يتذبذب في حركة بندولية Spectrograph . Spectro من اللاتينية Spectrum = طيف.

وتسجيل ذلك على ورقة بيانية. وبه يستطاع تحديد نوع الصوت، وقوته، والنغمة التي نطق بها.

وفي جامعة الإسكندرية معمل صوتي أنشأه العلامة الدكتور/ بخاطره الشافعي رحمه الله، وكانت به كل تلك الأجهزة، وزرناه واستعملناها أكثر من مرة[1]. ولكن تغير هذا الآن واستُبدِلَت بالأجهزة المذكورة صدويات (ديسكات) وحاسوب. كذلك كان لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة - وهي مَعقِل عريق للدراسات العربية والإسلامية - معمل صوتي استُحضرت له أجهزة كالمذكورة، ثم دَثَرت تلك الأجهزة واستُبْدِل بها معمل لغات يُشتغَلّ لتدقيق النطق والأداء الأمثل للغة العربية. وقد زرناه في أواخر عام ١٩٩٩ مع وفد من طلاب كلية القرآن الكريم.

ولا يخفي أن تلك الأجهزة مكلفة، وتحتاج إلى معامل، وإلى فنيين لتشغيلها..وأنسبُهم من كان ضليعًا في العلم بأصوات العربية. ثم إنها صُمّمت للغات مخترعيها، ولذا فهي تعجز إزاء بعض مشكلات لغتنا العربية (مثل بيان أي الحرفين أعمق العين أم الحاء..).

كذلك ينبغي التنبه إلى أن تلك الأجهزة الحديثة هي كالمرآة تكشف حال ما يجرَّب بها حسَب واقعه لا حَسَبَ ما ينبغى. فإذا نُطِقَتْ القاف مثلاً أمامها وبَيّنَتْ أنها مهموسة، فهذا بيان النطق الذي جَرَى - لا بيان النطق الفصيح الذي ينبغى. ومع ذلك فنحن نرحب بكل وسيلة مستحدثة تسهم في كشف معلومة أو تدقيقها.



ومع ثقتنا واحترامنا الكامل لكل الجهود العلمية المخلصة فإننا حريصون على مراجعة ثمار هذه الجهود والتحقق من نتائجها، حتى يكون هناك أساسٌ للمشاركة في المسئولية

---

(١) زرت المعمل الصوتي بكلية الآداب جامعة الإسكندرية أكثر من مرة ورأيت تجارب لعمل تلك الأجهزة في بيان صفات الحروف. ووصْفُ تلك الأجهزة في بعض المعاجم الإنجليزية وبخاصة The New Elizabethan Ref. Dict وكتاب أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب (٢٦ - ٣٥).

العلمية عما نقرره أو نرجّحه، وسنتوسل في هذه المراجعة بما يتاح من تلك المناهج التي عَرضناها، وبمناقشة ما قرره القدماء والمحدَثون في ضوء معطيات التطبيق اللغوي في شتى الجوانب. ويمكن للدارسين في هذا المجال الاستعانةُ **بمجسَّمات** تمثل أعضاء الجهاز الصوتي الإنساني كالحنجرة، والحلق وفتحاته العليا والسفلى، وتجويف الفم والأنف، وسقف الحنك الصناعي.

بقي أن نقول في ختام مبحث المنهج هذا. إن **التلقي** الذي يتترس به بعض الدارسين كلما صادفهم جديدٌ أو تحوّلٌ عما قرره القدماء = **ليس حجة مطلقة**. وقد أسقط الإمام أبو بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ) حُجّية التلقي عمن لم يدرس اللغة نحوا ولهجات وكلمات ومعاني، وكذا عمن لم يدرس القراءات دراسة فاقهة[1]. فلا بد من دراسة مقررات علم الأصوات دراسة منهجية علمية يتميز بها الصواب من الخطأ في كلام المتقدمين والمحدَثين على السواء، ثم نبدى رأينا - بعد ذلك - في صواب ما تلقيناه أو خطئه.



(١) ينظر كتاب السبعة لابن مجاهد/ تحقيق د. شوقي ضيف: ص٤٥ - ٤٦ .

شُعَبُ الدراسة الصوتية

من الدراسات الصوتية ما ينصبّ على الجانب النُّطْقِيّ من الأصوات اللغوية - رُس أعضاء النطق، ومخارج الحروف، وصفاتها، وهيئات أعضاء النطق مع الحروف ـفاتها المختلفة... ويسمى هذا علم الأصوات النطقي Articulatory Phonetics هذا الجانب هو موضوع دراستنا.

ومنها ما ينصب على ما يحدث في الهواء (أو غيره أي ما يحدث في الوسط الناقل) من ذبذبة وموجات صوتية، وما يتصل بهذه الموجات الصوتية في الوسط الناقل من طول وسرعة وغيرها.. والعوامل المؤثرة في كل ذلك - ويسمى علم الأصوات الموجيّ أو الوسطيّ Acoustic Phonetics(1) وقد يسمى الطبيعي، وليس هذا الفرع موضوعًا لدراستنا.

ومنها ما ينصب على دراسة العمليات السمعية التي تجري في الأذن ويسمى علم الأصوات السمعي Auditory Phonetics . وهذا أيضًا ليس موضوعًا لدراستنا.

وأما دراسة الأصوات النطقية فإن علماء الأصوات يقسمونها إلى مستويين.

الأول: يدرس الأصوات اللغوية مفردة أيْ غير مركبة في كلام. فيدرس مثلاً حرف

---

(1) لفظ (Acoustic) تشرحه المعاجم الإنجليزية والعربية على أنه يعني (سمعي) أيْ ما ينسب إلى حاسة السمع. انظر معجم إلياس أنطون إلياس، و

The New Elizab Ref. Dict., Concise Oxford Dict., The Twent. Cent. Dict.

ولكن الأخيرين يضيفان أنها تعني أيضًا ما ينسب إلى نظرية (انتقال) الأصوات أو ما يعمل بالموجات الصوتية كالألغام التي يمكن تفجيرها بالموجات الصوتية المنقولة تحت الماء. ومن هنا آثرت ترجمتها بالموجية أو الوسطية وآثرد. حلمي خليل إبقاء اللفظ الإنجليزي وتجنب كلانا ترجمتها إلى سمعية - كما فعل د. محمود صيني لأن هناك دراسة صوتية غير هذه خاصة بالسمع وما يجرى فيه وتسمى الأصوات السمعية (انظر التعريف بعلم اللغة ترجمة د. حلمي خليل ص١٠٦ ومجلة الفيصل ع١٨ / نوفمبر ٧٨ ص٦٩) وآثرد. كمال بشر (علم اللغة العام الأصوات ١٢)، د. أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي ٣) تعريبها أكوستيكي.

(النون) دراسة تتناوله من حيث هو صوت صامت - ليس من الحركات - فتدرس مخرجه وصفاته المختلفة، ولا تتعرض هذه الدراسة لما قد يعتري هذا الحرف من تغير في صفاته أو مخرجه عندما يتركب في الكلمات بأي وضع - في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، أو عندما يجاوره مثلُه أو غيره في الكلمة أو كلمة أخرى. كما لا تتعرض للدور الوظيفي لذلك الصوت في اللغة العربية أو غيرها. فهي دراسة إفرادية للأصوات. وتتميز مقررات هذه الدراسة بأنها عامة أي دولية أو عالمية؛ لأنها تدرس الأصوات اللغوية التي تتكون منها أكثر لغات العالم، ولأن مخرج الحرف الواحد وصفته تكاد أحيانًا تكون سواء هي بعينها في كل اللغات التي تستعمله. فما نقوله عن الـ B أو F أو D في الإنجليزية هو تقريبًا ما نقوله عن الباء والفاء والدال في العربية[1]. ومن هنا فإن هذه الدراسة جديرة باسم: «علم الأصوات العام General Phonetics».

أما المستوى الثاني فيدرس أصوات اللغة عندما تركَّب في كلمات تعبر عن المعاني أيْ عندما تقوم بوظيفتها: فيدْرُس ضوابط هذا التركيب، ما يَسُوغ منها وما لا يسوغ، والتغيرات التي قد تعتري الصوت اللغوي في مخرجه أو صفاته في مختلف حالات تركيبه، مع ثبات القيمة الوظيفية له (أي دوره في بناء الألفاظ) مهما اختلفت صور استعماله فيدْرُس مثلاً - إخفاء النون إذا سكنت وبعدها أحدُ حروف الإخفاء، ويدرس إقلابها ميمًا إذا سكنت وبعدها باء.. إلخ. كما يدرس سائر ما يَعرِض لكل حرف تأثرًا بموقعه كإدغامه وقلقلته وإبداله وحذفه وتفخيمه.. إلخ .

وهذا الفرع يُسمَّى «علم الأصوات النظْمى أو التركيبي» (أي الذي يدرس الأصوات اللغوية وهي منتظمة أي مركبة في كلمات) أو الوظيفي Phonology[2].

---

(١) ولا يخلو الأمر بالطبع من فروق دقيقة أو جليلة في بعض الأحيان كالفرق بين الراء العربية وبين (R) في الإنجليزية، أما في الألمانية أو الفرنسية فذلك الحرف نفسه (R) يختلف عنه في العربية مخرجًا وصفة وصدى.

(٢) المصطلح Phonology مركب من Phono التي أصلها Phone ومعناها الصوت (الإنساني)=

ونظرًا لأن اللغات تختلف في هيئات تركيب أصواتها في كلمات وجمل، وفي طرق نطق تلك الكلمات أو الجمل، فمن الطبيعي أن يكون لكل لغة (علم الأصوات النظْمي أو التركيبي) الخاص بها، فعلم الأصوات النظْمي أو التركيبي هذا قومي - أي خاص بلغة القوم - وليس دوليًا أو عالميًا كعلم الأصوات العام.



= اللغوي، Logy ومعناها علم. فالمصطلح يعني علم الأصوات اللغوية. وهو بهذا يعم الأصوات (المفردة) و(المركبة في لغة ما) ففي ترجمته بعلم الأصوات التنظيمي أو الوظيفي أو علم وظائف الأصوات في اللغات (انظر مجلة الفيصل ع ١٨ نوفمبر ٧٨) تخصيص مقبول، لأن الناس إنما يتفاهمون بالأصوات اللغوية حين تنتظم في الكلمات. وانظر دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص٤٥ - ٥١ .

الصوت ظاهرة طبيعية

(عالج العلماء العرب هذا الجانب معالجة تناولت جل ما يُتناول حديثًا في الإطار الذي يهم دارسي الأصوات اللغوية. وأختار هنا كلام العالم النحوي علي بن مسعود (٥٤٨هـ)[١].

١- «إن الحرف لا شك أنه صوت[٢].. والصوت إنما يحدث عن تموج من الهواء دَفْعةً وبعنفٍ يتأدّى إلى الهواء المنحصر في صِماخ السامع فيتشكل هو (أي هذا الهواء المنحصر) بشكله، فتُحِسّ به العَصَبة الدقيقة المفروشة هناك، وذلك بقوتين.. إحداهما هي التي تَفِيضُ على الهواء، بها تتم هذه التأدية.

... والأخرى هي التي تَفيضُ على العصبة الحاسّة، بها يتسنّى هذا الإدراك اللطيف.

٢- ثم إن سبب هذا التموج:

أ- قد يكون قَرْعًا لجسم كثيف بجسم كثيف - كما في صوت المطارق يُضْرَب بها الحديد.

ب- وقد يكون قَلْعًا لجسم من جسم رطب تكون فيه كثافة مع لزوجة كما في قَلْع الرِّجْل من الطين.

ج- وقد يكون قَرْعًا للهواء نفسه بجسم يمخره (= يخترقه) كما يسمع من دويّ الصوت إذا حفزت به الهواء حَفْزًا بقوة - وعلى هذا تُزْحَم الأوتار فتُرْعَد، فتصوت.

د- وقد يكون تسريبًا للهواء الكثير المجتمع في مسلك ضيق يتخلص منه (=يخرج منه) متموجًا فيصوت كما في المزامير.

---

(١) لتوثيق الصياغة الحديثة للجانب العلمي الطبيعي في هذا الفصل رجعنا إلى مقال الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica عن الصوت (Sound) وإلى الكتب العلمية التي تدرس الصوت دراسة طبيعية.

(٢) استعمال علي بن مسعود كلمة صوت هنا فيه تسامح - كما سوف يتبين عندما نحرر المعنى اللغوي لكلمة «صوت».

٣- وللأصوات فصول وعوارض تنقسم بعضها من بعض كالحدة والثقل، والجهر والمخافتة، والدخول في جملة الحروف النطقية والخروج عنها. وأسبابُها (أي الأسباب المؤدية إلى تميز الاصوات بعضها من بعض) هي الهيئات التي تكون لتلك التموجات - مستفادة:

أ - إما من القارع، أو القالع، أو المسرّب - من جهة قوته وضعفه.

ب - وإما من الهواء من جهة كثرته وقلته.

ج - وإما من الآلات من جهة صلابتها ولينها، وملاستها وخشونتها، ورطوبتها، وطولها وقصرها، وقِرانها وإفرادها، وأيضا من جهة غلظها ورقتها - خاصة إذا كانت مُصْمَتة، ومن جهة سعتها وضيقها، وانطباقها وانفراجها، وحبسها وإطلاقها - خاصة إذا كانت مجوفة.

٤ - والأصوات الحيوانية، والإنسانية منها خاصة أشبه شيء بالأصوات الزمرية، لشبه الحلوق بالمزامير..»[١]).

وإسعافًا بخلاصة الحقائق التي ينبغي الإلمام بها هنا نقول:

يتولد أي صوت نسمعه من اهتزاز مصدره اهتزازا يُحْدِث في الهواء المماس لذلك المصدر ذبذبات Vibrations تنتشر في موجات طولية[٢] في ثلاثة أبعاد من الجسم المهتز. فإذا وصلت تلك الذبذبات إلى الهواء الذي في قناة الأذن - وهو يماسّ طبلة الأذن - تَذَبْذَب غشاء الطبلة بدَوْرِهِ فحرك عَظَمات الأذن الثلاث (المطرقة فالسندان فالرِّكَاب) بمثل تلك الذبذبة، ويهتز السائل الذي في قَوْقَعة الأذن متأثرا باهتزاز الركاب، وتنقل الشُّعَيراتُ العصبيةُ المغمورةُ في السائل - تلك الذبذباتِ إلى المخ ويتم بذلك سماع الصوت.

---

(١) بتصرف يسير من كتاب المستوفي للإمام علي بن مسعود الفرحان (تحقيق د. سعد جحا ٥٧٧ - ٥٧٩).

(٢) الموجة الطولية هي الموجة التي تهتز فيها جزئيات الوسط لمسافات قصيرة في نفس خط انتشار الموجة وذلك كالموجات الصوتية - في حين أن الموجة المستعرضة كالموجات المائية - تتحرك جزئيات الوسط المتموج في اتجاه عمودي على اتجاه انتشار الموجة.

وهناك تفاصيل أخرى نوجزها فيما يلي:

١ - ينشأ الصوت من اهتزاز مصدره - سواء كان ذلك المصدر صلبا أو سائلا كموج البحر الذي نسمع صوت حركته، أو غازيا كعمود الهواء الذي في سُلاَمِيَة الزامر.

٢- الاهتزاز يكون بالقرع والصدم - كما يحدث عند طرق باب أو دق مسمار أو اصطدام سيارتين أو تصفيق اليدين...ويكون بالاحتكاك كما في احتكاك الأوتار في الآلات الموسيقية واحتكاك الكرسي أو الأقدام بالأرض في السير..، ويكون بالقلع والقطع كقلع حجر أو كسر خشبة أو شق ثوب، ويكون عند التفاعلات الكيميائية كما يسمع نشيش للقَلي، وكصوت الغليان وانفجارات القنابل...، ويكون عند حدوث الشرارات الكهربية والصواعق.. ويمكن تلخيص أسباب الاهتزاز جميعا في القرع والقلع[١].

٣- شواهد حدوث الصوت بالاهتزاز[٢] كثيرة وملموسة. فإذا شددت خيطا متينا بين مسمارين بحيث يكون متوترا، ثم جذبتَه من وسطه بإصبعك جذبةً سريعة وتركته لاحظت تذبذبه السريع وسمعت له صوتا يتوقف عندما يتوقف الخيط عن التذبذب.

وكذلك الحال في نقر إناء نحاسي بالظفر فيتذبذب ويُسمع له صوت، يتوقف عند تسكين الذبذبة بالضغط على الإناء بالإصبع. ومن التجارب العِلْمية لإثبات صدور الصوت بالاهتزاز، طَرْقُ فَرْعِ شوكة رنانة ثم لَمْسُها بسن القلم فيُحس قَرْعُها إياه ودَفْعُها إياه إن كان حرا، وذلك القرع والدفع إنما هو من اهتزازها وتردّدها. وكذلك إمرار وتر على ناقوس ذُرّ عليه مسحوق ما أو لامسته كرة من نُخاع البَيْلَسان أو الذُّرَة، فيتطاير المسحوق، وتقفز الكرة مع صدور الصوت - مما يؤكد أن الناقوس اهتز عند إمرار الوتر

---

(١) راجع الفقرة رقم ٢ من كلام الإمام علي بن مسعود الذي أسلفناه - وقد قصر ابن سينا - في رسالته «أسباب حدوث الحروف» ص٣، ٤ - سبب التموج على القرع والقلع، وكذلك فعل العضد في المواقف ١٣٥، وقصره الخفاجي في سر الفصاحة ١٤، ١٦ على القرع وسماه المُصاكّة.

(٢) هذا الاهتزاز هو الذي عبر عنه علي بن مسعود بالإرعاد في الفقرة ٢/جـ من كلامه الذي أسلفناه وهو الذي يقاس فيسمى «التردد».

عليه فتطاير المسحوق وقفزت الكرة - كما صدر الصوت - بسبب الاهتزاز. إن كل صوت ينتج عن الاهتزاز. والاهتزاز المتوالى يسمى تذبذبا.

٤- وتتفاوت المواد (التي تصدر عنها الأصوات) في سرعة الاهتزاز عند حدوث سببه. وتتوقف سرعة اهتزاز المادة على طبيعتها أي تكوينها الفيزيقي، وعلى شكلها أي الهيئة التي ركبت عليها، وعلى مدى شُمك جرمها.. وغير ذلك من الصفات الذاتية[١] وتتأثر سرعة تذبذب الأوتار خاصة بنوع مادتها، ومدى دقتها، وطولها، واشتدادها. وتقاس سرعة تذبذب المادة بعدد الذبذبات الكاملة[٢] التي تصدر عنها - إذا طُرِقَتْ، مثلا - في الثانية الواحدة. ويسمى ذلك: التردد Frequency. ولا يتأثر التردد بمقدار القوة أو الطاقة المسببة للتذبذب، فالمادة المعينة تتذبذب بنفس معدل السرعة في الثانية أي بنفس «التردد» مهما اختلفت قوة الطرقة - مثلا - التي أحدثت التذبذب. ولكن الذي يتوقف على مقدار القوة أو الطاقة المسببة للاهتزاز (الطرقة مثلا) هو سعة الذبذبة[٣] Amplitude كما يتأثر بتلك القوة أيضا دوام التذبذب أي زمن استمراره. ومن هنا فإن الصوت القوي يصل إلى مَدًى أبعد.

والأذن البشرية تسمع الأصوات التي يقع ترددها بين ٢٠/ذ/ث، ٢٠٠٠٠/ذ/ث فلا تسمع ما تردده دون الحد الأدنى أو فوق الحد الأعلي المذكورين.

والصوت - أو تلك الذبذبة - لا ينتقل من مصدره إلى الأذن في فراغ، بل لابد من وجود وسط مادي ينتقل خلالَه التذبذبُ حتى يصل إلى الأذن.

وهذا الوسط المادي قد يكون غازيّا كالهواء[٤] وقد يكون سائلا أيا كان وقد يكون

---

(١) راجع الفقرة رقم ٣ من كلام الإمام علي بن مسعود الذي أسلفناه.

(٢) الذبذبة الكاملة هي حركة الجرم من نقطة في أي اتجاه إلى أن يمر بهذه النقطة عينها بنفس الاتجاه والسرعة مرة ثانية.

(٣) اتساع الذبذبة هو مدى حركتها من أقصى بعد في جانب إلى أقصى بعد في الجانب المقابل.

(٤) انتقال الصوت في الهواء تعرض له العرب: مقالات الإسلاميين للأشعري (٣٢٤هـ) - تحقيق: محيي الدين - (٩٩/٢-١٠١) وأصله للنظّام (٢٣١هـ) وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي (الغد العربي ٥٥/١)، والفقرة ١، ٢ من كلام علي بن مسعود الذي أسلفناه، ولم يمر بي ما يثبت تعرض علمائنا القدماء لانتقال الصوت في غير الهواء.

صُلبا. ويستغرق انتقال الصوت من مصدره إلى الأذن زمنا يختلف طوله تبعا لطول الموجة[1] التي تحدثها الذبذبة، ولتردد المادة المهتزة، ولطبيعة الوسط.

فسرعة انتقال الصوت في الهواء الطلق ٣٤٠ مترا في الثانية عندما تكون درجة حرارة الهواء ٢٠م، وعند الضغط الجوي المعتاد. وسرعة انتقاله في الماء في ٨م هي ١٤٣٠ م/ث. وفي الفضة ٢٧٠٠ م/ث، وفي النحاس ٣٨٠٠ م/ث، وفي الحديد الصلب ٥٠٠٠ م/ث، .. وهكذا.

وبتعبير أبسط فإن الصوت يحتاج - لكى يقطع ميلا واحدا في الهواء إلى خمس ثوان، وفي الماء إلى ثانية واحدة، وفي الحديد الصلب إلى ثلث الثانية.

٥- وواضح طبعًا أن جزئيات الوسط الناقل للصوت - هواء أو ماء أو حديدًا.. إلخ - لا تنتقل هي مع الصوت، وإنما تهتز وتتموج حسب الذبذبة التي أحدثها مصدر الصوت، والذي ينتقل هو الاضطراب أي الاهتزاز والتموج فحسب.

٦- (معايير الصوت والعوامل المؤثرة فيها):

أ - درجة الصوت Pitch وهي مدى حدته - أي دقته - أو غِلَظه في السمع. (فبعض الأصوات أجش وبعضها رفيع حاد) وتتأثر درجة الصوت بالتردد. - وقد عرفناه وعرفنا العوامل المؤثرة فيه.

وكلما هبط التردد أي عدد الذبذبات في الثانية كان الصوت غليظا أجش، وكلما علا مُعَدَّل التردد كان الصوت دقيقا أي رفيعا أو حادا.

ب - شدة الصوت Intensity وهي مدي قوته أي عُلُوّه وقوة طرقه للآذان. وهذه الشدة تتمثل أو تتأثر بما يأتي:

(١) سعة الاهتزازة - فكلما كبرت سعة[2] اهتزازة الجسم زادت شدة الصوت.

---

(١) طول الموجة في الأمواج الطولية - كموجات الصوت - يساوي المسافة بين مركزي تضاغطين أو تخلخلين - متتالين. أما في الأمواج المستعرضة - كموجات الماء - فهو المسافة بين قمتين - أو قاعين - متتالين.

(٢) بعض هذه العوامل في سر الفصاحة ص١٣ وتنظر الفقرة ٣ من كلام علي بن مسعود الذي أوردناه هنا.

(٢) كتلة الطبقة المهتزة من الوسط (أي حجم الطبقة x كثافة مادتها).
(٣) المسافة بين مصدر الصوت والسامع.
(٤) ملامسة مصدر الصوت لجسم رنان، لأن هذا الجسم يهتز باهتزاز المصدر الملامِس له ويعمل بذلك على اهتزاز قدر أكبر من الهواء الملامس له فيقوَي الصوتُ ويضخُم).
(٥) اتجاه الريح - فإذا كان مع اتجاه انتشار الموجة الصوتية قوّاها.
(ودرجة الصوت - أي مدى حِدّته - أثبتُ من شدته، إذ يتميز النساء بعامة بأن درجة (حدّة) أصواتهن أعلي. أما شدة الصوت فكل إنسان يستطيع أن (يشدد) صوته أي يرفعه لدرجة الصياح).
جـ - نوع الصوت Quality وهو خاصّية فيه تجعلنا نميز نوع المصدر الذي يصدر هذه النغمة أهو إنسان أم قطار.. إلخ. ويدخل في تنويع الصوت عوامل أهمها موجات المواد المختلطة في تكوين المصدر بعددها، والتردد الناتج من اختلاطها.



الجهاز الصوتي الإنساني

يشمل الجهاز الصوتي الإنساني كل الأعضاء التي لها أثر مباشر في عملية إصدار الصوت. ولما كانت الأصواتُ اللغوية العربية تصدر في حالة خروج هواء التنفس (الزفير)[1] من الرئتين مارًا بالقصبة الهوائية، فالحنجرة، فتجويف الحلق أسفله فأعلاه، ثم يسلك الهواء سبيله إلى الخارج إما عن طريق الفتحة الخلفية للتجويف الأنفي (المتصلة بأعلى الحلق) فيمر بالتجويف الأنفي ثم يخرج من الأنف، وإما أن يتجه من أعلى الحلق إلى تجويف الفم فيمر بين اللسان وسقف الحنك محوطا بالأسنان من الجانبين حتى يخرج من بين الشفتين.

ولما كان لكل من هذه الأعضاء أثرُهُ في إحداث الصوت، فإنها كلها تعد ضمنَ الأعضاء الصوتية - بالرغم من أن لكل منها وظيفتَه الأساسية (الفسيولوجية) الخاصة، وأن إحداث الصوت إنما هو ظيفة ثانوية بالنسبة لها. وينبغي من ثم الوقوف عند كل منها بدراسة تناسب دوره في **إحداث الصوت.**

الرئتان Lungs

ويهمنا من عملهما أنهما تدفعان الهواء - بعد دخوله إليهما في عملية التنفس - فيخرج من تجويف جهاز النطق، وتتكون «الحروف» في أثناء خروجه.

وتتم عملية التنفس عندما يتسع القفصُ الصدريّ الذي يضم الرئتين - بتباعد ما بين أضلاعه وهبوط الحجاب الحاجز الذي في أسفله - فتتمدد الرئتان فيه، ويندفع الهواء إليهما من الأنف أو الفم ليتعادل ضغطُ الهواء داخلَ الرئتين وخارجهما. وفي لحظات يستوفي الدم الذي في شعيرات الرئتين حاجته من الأكسجين الذي دخل ضمن الهواء،

---

(١) «وهناك أصوات تخرج حين إدخال الهواء - بعكس خروج الأصوات اللغوية العربية حين إخراج الهواء - ولكنها في العربية لا تُعد أصواتًا لغوية». انظر أمثلة لتلك الأصوات عند الحديث عن الصوت اللغوى.

فيرتفع الحجاب الحاجز إلى وضعه، وتتقاربُ أضلاع القفص الصدري فيضيق ويضغط على الرئتين فتدفعان الهواء ليخرج من الأنف أو الفم مارًا ببقية أعضاء الصوت – على ما مرّ من تفصيل – وهذا هو دور الرئتين في إحداث الصوت، بالإضافة إلى أنهما امتداد لفراغ القصبة الهوائية الرنان.

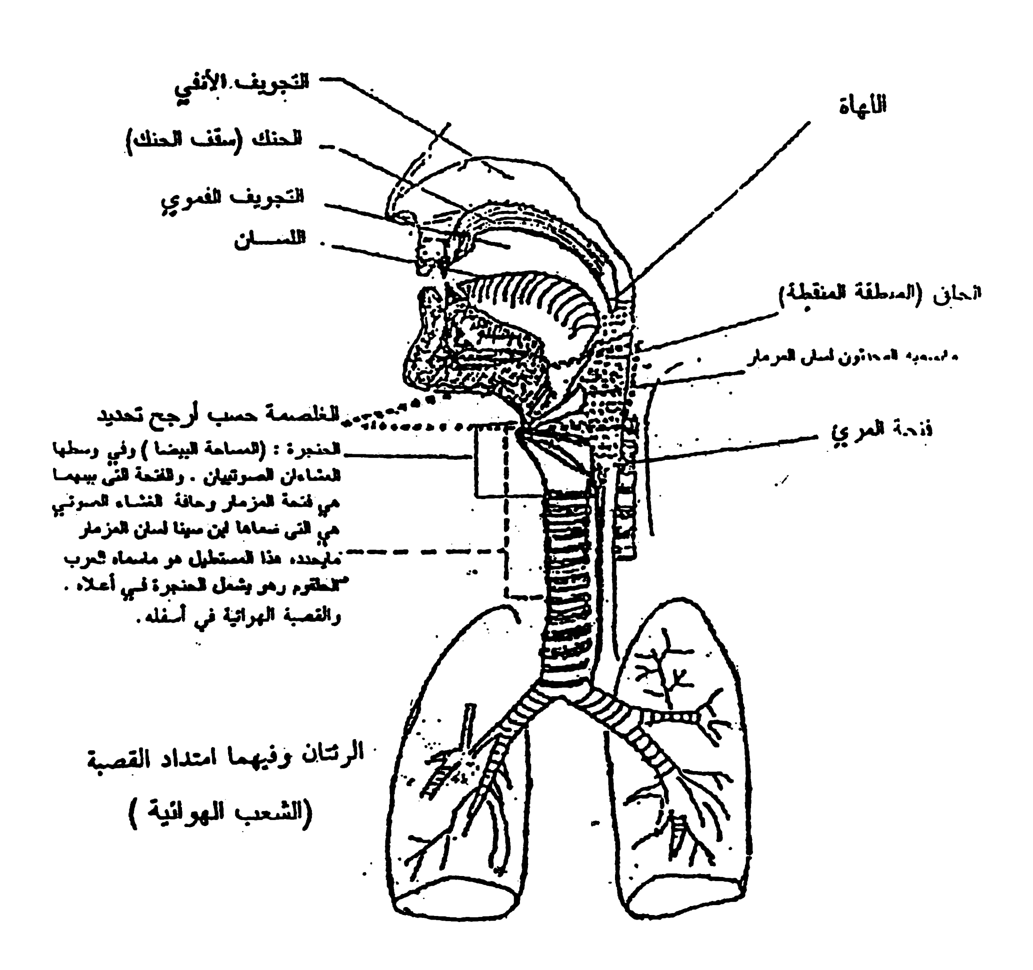
القصبة الهوائية: Wind Pipe

هي أنبوبة أعلاها قاعدة الحنجرة وأسفلها يتفرع إلى أنابيب أقل منها قطرًا، تصل إلى الرئتين وتتشعب فيهما لتوصل الهواء إليهما.

وتلك الأنبوبة (أعني القصبة الهوائية) تتكون من سلسلة من حلقات غضروفية متوالية يغلفها غشاء يجعلها أنبوبة، والجانب (الخلفي) المجاور للمرئ من هذه الحلقات منقوص الغضروف بحيث لا تتم منه إلا الحلقة التي هي قاعدة الحنجرة.

والقصبة الهوائية تُرى وتحس في الجزء الأمامي من الرقبة. ويتراوح قطرها بين ٢ ، ٢,٥سم وطولها حوالي ١١سم. ودورها في إحداث الصوت أنها توصل الهواء الخارج من الرئة إلى الحنجرة وما فوقها، حيث يحدث بمروره في الحنجرة وما فوقها الصوتُ والاحتكاكُ اللذان يُسمَع بهما جرس الحروف. كما أنها تُعَدّ غرفةَ رنين للصوت حين يحدث في الأجزاء العليا منها كما سنرى، لأنها دائما منفتحة لا تنطبق – بحكم الحلقات الغضروفية المكونة لها كما مر.

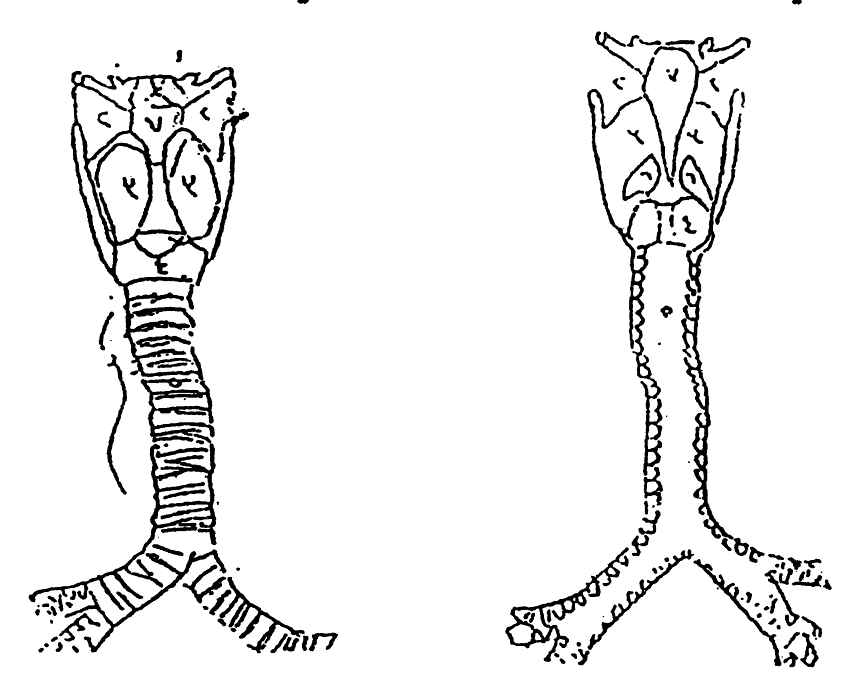
رسم توضيحي للجهاز الصوتي الإنساني



الحنجرة: Larynx

وهي تعد الجزء الأعلى من القصبة الهوائية. وهي غرفة أوسع منها قطرا والجزء العلويّ منها أشبه بالمثلث في شكله. وتحيط بأجزائها الداخلية الحساسة غضاريف تحميها. وأهم غضاريفها وأجزائها ما يلي:

منظر أمامي للقصبة الهوائية والحنجرة   **منظر خلفي للقصبة الهوائية والحنجرة**

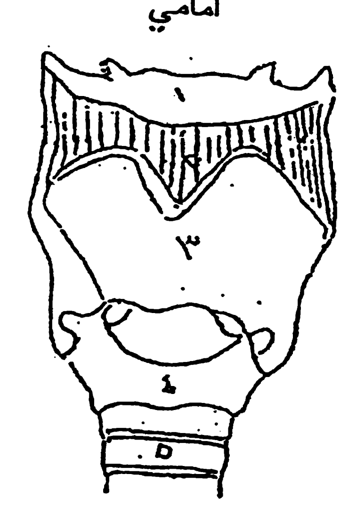


١- العظم الغضروفي.   ٢- غشاء رقيق.   ٣- الغضروف الدرقي وقرناه.
٤- الغضروف الحلقي.   ٥- القصبة الهوائية.   ٦- الغضروفان الهرميان.
٧- لسان المزمار.

(عن كتاب Human Physiology W.S. Furneaux ١٤١)

مناظر للحنجرة

أمامي



١- العظم اللامي.

٢- الغشاء الرقيق.

٣- الغضروف الدرقي.

٤- الغضروف الحلقي.

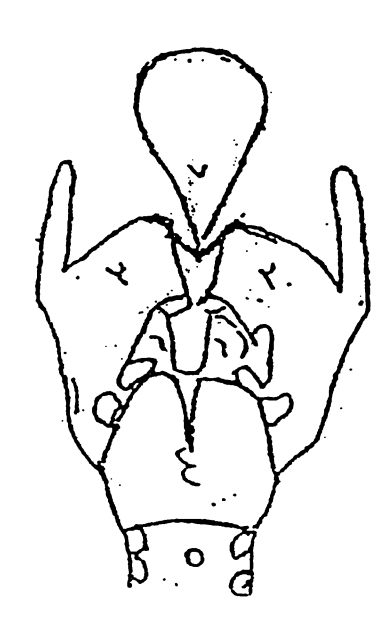
٥- القصبة الهوائية.

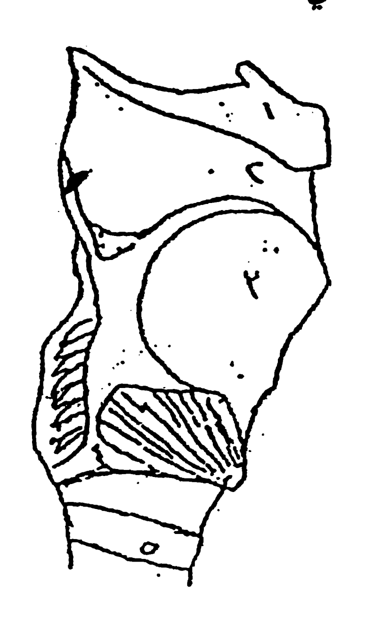
٦- الغضروف الهرمي.

٧- لسان المزمار.

جانبي







Human Physiology ٢٢٢ - ٢٢٣

أ - الغضروف الحلقي Cricoid:

وهو قاعدة الحنجرة ويعد أعلى القصبة الهوائية أيضا، وهو الغُضْروف الوحيد التام الاستدارة في قناة النفَس هذه. وارتفاع جِداره من الخلف أعلى بكثير من ارتفاع سائر محيطه (من الخلف نحو ٢ سم ومن أمام نحو ٠,٥سم).

ب - الغضروف الدرقي Thyroid:

وهو عبارة عن صفيحتين رُباعيَّتَيْ الشكل تلتحمان في شكل كتاب مفتوح قائم، كعبه (الغضروفي) في مقدمة الرقبة، ويميل في قيامه إلى الأمام بحيث تشكل الزاوية العليا من كعبه نتوءا يسمى البروز الحنجري - ويظهر بوضوح تحت الفك الأسفل في أعناق الرجال (تفاحة آدم). والمسافة بين البروز الحنجري والجدار الخلفي للغضروف الحلقي أوسع في الرجال والكبار منها في النساء والصغار. ونتوء البروز الحنجري وميله إلى الخارج في الرجال أكبر.

وتمتد من الزوايا الأربع الخارجية للصفيحتين قرون عضلية أربعة. فيمتد القرنان الأعليان - في ارتفاع كذراعي متضرع - حتى يتصلا بطرفي العظم اللامي كأنما تحملانه. ويمتد القرنان الأسفلان حتى يرتكزا على جانبي الجزء الأعلى (الخلفي) من الغضروف الحلقي. وكأنهما رجلان تحملان الغضروف الدرقي وعضلاته.

جـ - الغضروفان الهرميان: Arytenoid

وكل منهما هرمي الشكل له ثلاثة رءوس، فيرتكز كل منهما برأس على مؤخرة الغضروف الحلقي (الجزء المرتفع منه)، ويرتبط بها بحيث تسمح له بالحركة تجاه الغضروف الآخر أو بعيدا عنه، وتطل رأس أخرى من كل منهما على الفراغ الداخلي للحنجرة ويسمى هذا الرأس الصوتي، إذ يرتبط به الغشاء الصوتى. وهو غشاء رقيق يمتد إلى البروز الحنجري (الزاوية العليا للغضروف الدرقي)، وبذلك يمكن لهذين الغضروفين الهرميين والغشاء الممتد من كل منهما أن يغلقا الحنجرة تماما.. إذا التقت حافتا

الغشاءين وحافتا الغضروفين الهرميين في وضع أفقي متوتر، كما يمكن أن يلتقي الرأسان الصوتيان من الغضروفين الهرميين - دون أن يلتقي رأسا الارتكاز - فيلتقي الغشاءان ويسدان الجزء الذي تحتهما من فراغ الحنجرة ويبقى ما بين الغضروفين مفتوحا. ويمكن كذلك أن تلتقي حافتا الغضروفين الهرميين مع إمكان إحداث انفراج دقيق كالشق بين الغشائين.

د - الوتران الصوتيان Vocal Cords:

وهما ذانك الغشاءان الرقيقان اللذان تحدثنا عنهما آنفا. ويبدأ كل منهما امتداده من جانب من الحنجرة من غشاء في أعلاه يسمى القمع المطاطي[1] بحيث يغطي كل منهما بغشائه نصفَ فراغ الحنجرة في سدٍّ أفقي يبدأ من جدار الحنجرة حتى يصل ما بين النتوء الحنجري والرأس الصوتي للغضروف الهرمي الذي في جانبه[2].

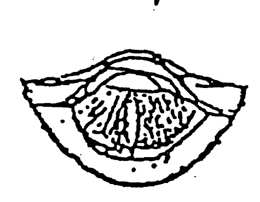
---

(١) القمع المطاطي جدار غشائي مثلث الشكل لكل من جانبي الحنجرة - والجزء الأعلى من الحنجرة يقارب المثلث كما قلنا - وذلك الجدار الغشائي أساسه الغضروف الحلقي وهو يربط بين هذا الغضروف من أسفله وبين صفحتي الغضروف الدرقي من أمام وبين مركزي الغضروفين الهرميين من الخلف.

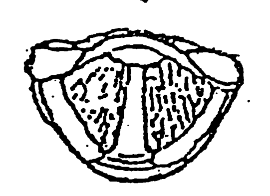
(٢) هناك غشاءان في أعلى الحنجرة وليس لهما دور في العملية الصوتية ويسميان الأوتار الصوتية المزيفة False Vocal cords.

منظر من أعلى للأوتار الصوتية

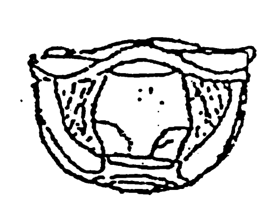
أ ب حـ



في حالة الجهر

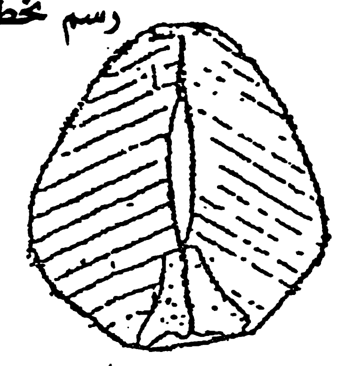


في حالة التنفس الهادئ



في حالة التنفس العميق

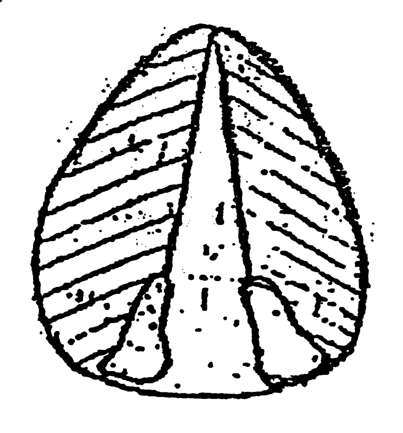
رسم تخطيطي لأوضاع الأوتار الصوتية



عند الجهر

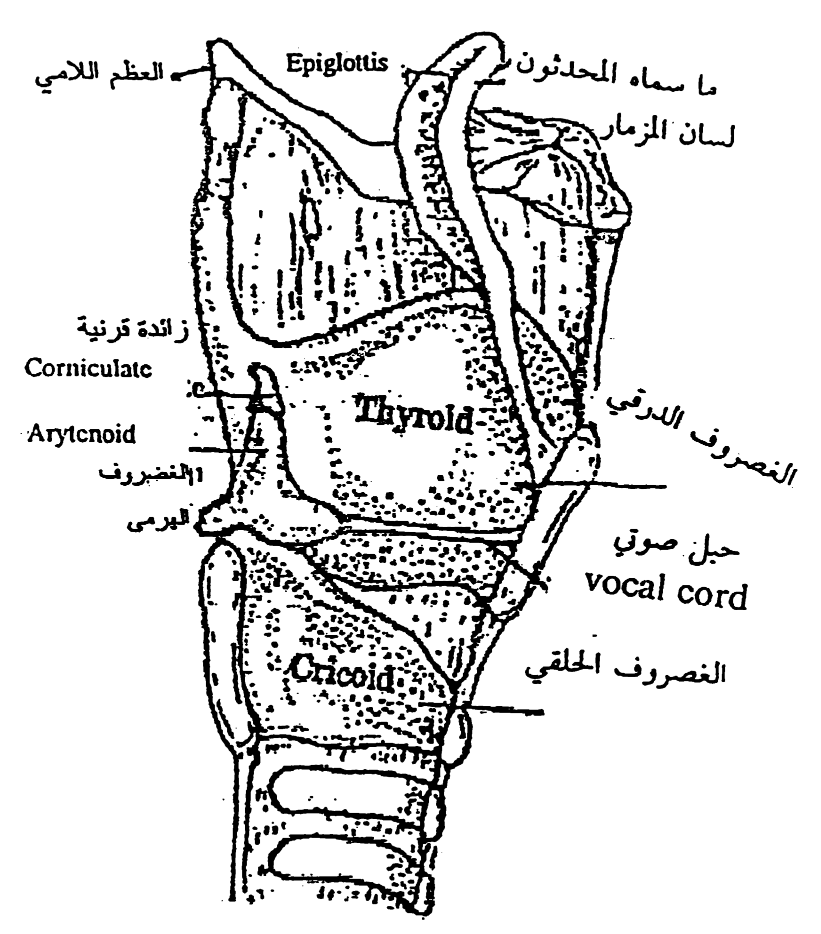


عند الهمس



عند التنفس

الحنجرة وأهم أجزائها



The Larynx sagittal section

وعندما يتاح للهواء المندفع من الرئة إحداث انفراج دقيق بين الغشاءين الصوتيين المذكورين فإن شدة اندفاع الهواء من الرئة مع ضيق المنفذ بين الغشاءين أمامه يجعل حافتي الغشاءين الصوتيين تتذبذبان بقوة حين مرور الهواء من بينهما، فيتولد صوت أي زمير هو ما نسميه زمير الجهر..

هـ - المزمار Glottis:

وهو تلك الفتحة المستطيلة التي تحدث بين الغشاءين الصوتيين إذا انحسرا إلى الجانبين. وقد تضيق هذه الفتحة فتكون كشق دقيق مستطيل وذلك في حالة صدور صوت الجهر. وقد تنفرج فتكون كمثلث - رأسه عند النتوء الحنجري، ويكون الهرمي في كل جانب امتدادا لأحد ساقيه، وقاعدته أعلى الغضروف الحلقي من الخلف ما بين مركزي الهرميين (وذلك في حالة التنفس). وقد يغلق ما بين الغشاءين ويبقى ما بين الهرميين مفتوحا - (وذلك في حالة الحروف المهموسة).

و - لسان المزمار Epiglottis:

وهو هنة ليفية النسيج تشبه ورقة الشجر ويمتد من قاعدة اللسان (مع اتصال جذعه بالنتوء الحنجري) يحيث يمكن أن يغطي أعلى الحنجرة - بما يشمل فتحة المزمار - عند بلع الطعام أو الشراب. (وقد أطلق ابن سينا هذه التسمية على ما سُمي الأغشية الصوتية. وهو إطلاق أدق).

وهو يجذب إلى الخلف عند تفخيم الصوت وإلى الأمام عند ترقيقه.

ز - العظم اللامي[1] Hyoid Bone:

وهو قوس عظمي على شكل حرف Λ - λ (اللام بالكتابة اليونانية) تقريبا قاعدته

---

(١) هذه التسمية استعملها ابن سينا (رسالة في أسباب حدوث الحروف ٧، ٨) نسبة إلى شكل حرف اللام في الكتابة اليونانية (Λ λ).

إلى الجانب الأمامي من الرقبة، وطَرَفاه إلى الداخل وهو يشكل امتداداً إلى أعلى للجدار الأمامي للحنجرة مع أنه لا يرتكز عليه وإنما يربطه به نسيج رقيق.

كما أن العظم اللامي يشبه القاعدة للسان.

الحلق Pharynx[1]:

وهو تجويف على شكل القناة. قاعه تنفتح فيه من الخلف - أي من الجهة المجاورة للعمود الفقري - قناة المريء، ومن الأمام تجويف الحنجرة وما يغطيه. ويمتد إلى أعلى شاملا ما فوق الغشاءين الصوتيين المزيفين إلى العظم اللامي، ويرتفع مقابل جذع اللسان إلى ما يوازي فتحة الفم. فذلك جانبه الأمامي. أما جانبه الخلفي فجداره غلاف العمود الفقري. وفي مقابل فتحة الفم أو أدنى قليلا يمتد التجويف - من الجانب الخلفي للحلق من وراء الحنك الرخو واللهاة - إلى أعلى بحيث يكون فتحة متصلة بتجويف الأنف الذي يعلو سقف الحنك ولطوله هذا يقسم إلى ثلاثة أقسام[2].

أ- الحلق الأقصى أي الأعمق. وهو الفراغ الممتد بين **قاعه** المكوّن من سقف الحنجرة، وفم المريء - من أسفل، ولسان المزمار والعظم اللامي عند جذع اللسان - من أعلى، ولذا يسمى الحلق الحنجري . وطول هذا الجزء نحو ٥سم، والجزء الأعلى من هـذا الحلـق يمكـن أن يتسع بتقدم جذع اللسان إلى الأمام، وأن يضيق بتراجع جذع اللسان إلى الخلف، فيتراوح قطره بين ٠,٥ ، ٢,٥سم، وهو في أسفله أوسع من ذلك.

ب- الحلق الأدنى أو (الفموي) وطوله نحو ٤سم. ويبدأ من العظم اللامي حتى

---

(١) يطلق لفظ Pharynx على التجويف الواقع خلف فتحة الفم الداخلية وهو عندهم يشمل مقابل الفتحة الخلفية (الداخلية) للأنف والفم وممر الهواء إلى الحنجرة (انظر المادة في .The Twent. Cent Dict وفي N.P. Larousse . والحلقُ في العربية مساغ الطعام والشراب (وممرٌ) النفس من الحلقوم (وإليه) (العين ٤٨/٣) فهما متقاربان في حدود المسمى، لكن التحديد الإنجليزي أدخلَ ضمنَه ممرّ الهواء إلى الخيشوم، فسمح بجعل مدخل الخيشوم قسمًا منه.

(٢) د. عبد الرحمن أيوب أصوات اللغة ص٦٥ وهو يسمِّى الحلقَ: البُلعوم، وأُفضل المصطلح القديم «الحلق» لأن تسمية البلعوم تشير إلى وظيفة واحدة ليست صوتية، في حين أن «الحلق» يعم البلع وغيره، والفراغ الذي تعنيه كلمة «الحلق» له وظيفة صوتية وهو الجانب الذي يهمنا ونعالجه هنا.

مؤخرة الحنك الرخو Velum (الطبق) فيكون في أعلاه فتحتان: الخلفية أول تجويف الأنف من الداخل، والأمامية أول تجويف الفم من الداخل أيضًا.

ولما كان الجدار الأمامي للحلق الفموي هو أعلى جذع اللسان، فإن قطره من الأمام إلى الخلف يختلف اختلافًا كبيرًا، نظرًا لمرونة اللسان وقيامه بحركات متعددة ومتفاوتة تبعًا للصوت الذي ينطق به.

وللحلق بقسميه هذين قسط في تكوين بعض أصوات اللغة.

جـ- فتحة الخيشوم الخلفية وهي فتحة في أعلى الحلق (الفموي) تبدأ من **خلف** نهاية سقف الحنك الرخو (= الطبق) حيث تتصل بالتجويف الأنفي من طريق الخياشيم الخلفية، والتجويف الأنفي يمتد فوق سقف الحنك ويصل إلى فتحتي الأنف. وفتحة الخيشوم الخلفية تلك يمكن **أن تغلق** بتراجع الحنك الرخو إلى الخلف مع انقباضه حتى يلتقي بالحائط الخلفي لهذه الفتحة، وبذلك تنقطع الصلة المباشرة بين تجويف الأنف وبين أعلى الحلق. كما يمكن **أن تفتح** بارتخاء الحنك الرخو وتقدمه قليلاً، فيتصل التجويفان. هذا، وتشترك الخياشيم والتجويف الأنفي في إخراج بعض أصوات اللغة كالميم والنون والغنة.

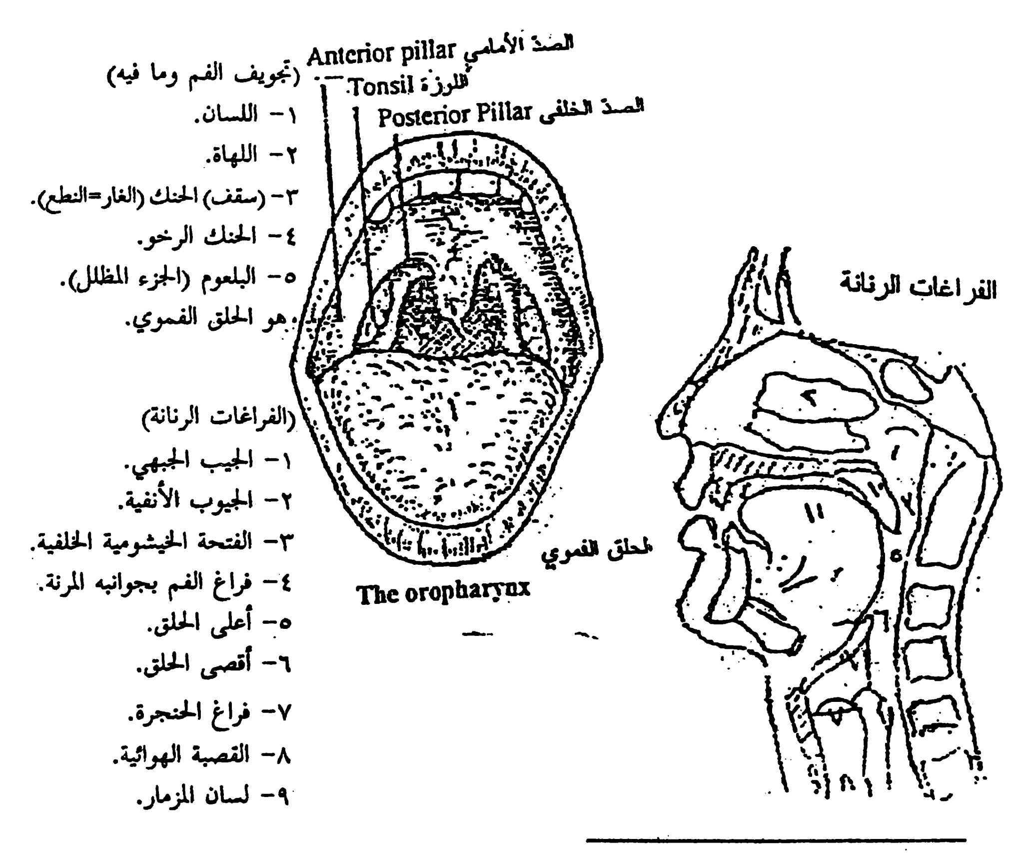
تجويف الفم: وهو تجويف أفقي يكوّن مع تجويف الحلق زاوية قائمة، وهو أكثر أجزاء الجهاز الصوتي إنتاجًا للأصوات. ويرقد اللسان في قاع هذا التجويف، ويَسقُفُه الحنك الأعلى. وتشكلُ الأسنانُ، ثم بُصْرُ الفكين جداريه من الجانبين ومن الأمام ويغطي الجدارين جلدُ الشدقين.

اللسان: وهو عضو عضلي يُغشّيه نسيج شبه مخاطي Mucous وهو يرقد بين لَحْيَيْ الفك الأسفل ويرتبط به. كما يتصل عند منبته بالعظم اللامي. واللسان يمتاز بالمرونة البالغة حتى إن كل جزء فيه يمكن أن يرتفع وينخفض، كما أن حافتيه، وطرفه، ووسطه يمكن أن ترق وتنبسط، ويمكن أن تنقبض فتعود إلى حجمها الطبيعي. كما يمكن لمقدم اللسان ووسطه أن يمتد إلى الأمام حتى يتجاوز أكثره الثنايا، وأن يتراجع كله حتى يكون أدخل منها بنحو ٣سم، ويمكن لأقصاه أن يلتوي متقوسًا حتى يلمس أول الحنك الرخو قبيل اللهاة، ويمكن لمتنه أن يتقوس محدّبًا أو مقعّرًا، وأن ترتفع حاشيتاه

حول متنه فيكون كقناة مستطيلة.. ولكل هذه المرونة أثرها في تكوين مختلف الأصوات وتنويعها. وبعض عيوب الكلام ترجع إلى قصور في أداء اللسان. كما أن جودة النطق والذَّرَابة تنسب إليه[1] ولهذا كله عُدّ اللسان «جارحة الكلام»[2]. واللغة تسمى «لسانًا» لذلك أو للمَلاحظ المتحققة في وظائف اللسان.

ويقسم اللسان من حيث أجزاؤه المؤثرة في الأصوات اللغوية - أقسامًا.

١- أصل اللسان أو قاعدته Base . واللسان راقد في تجويف الفك الأسفل فيبدو أصله كأنه رأسي، وارتفاع هذا الأصل أو سمكه هو المكون للجدار الفموي للحلق كما مر.



(١) انظر فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص١٠٨ .
(٢) لسان العرب ٢٧٠/١٧ .

٢- ظهر اللسان أوْ سطحه (الأفقي أو الراقد) ويقسم إلى ثلاثة أقسام: أقصى اللسان ووسطه وطرفه. وكل من هذه الأقسام يشترك في تكوين أصوات معينة. كما أن جانبي اللسان يشتركان في أصوات أخرى.

الحنك[١]: وهو سقف تجويف الفم. وهو في حقيقته سقف عظمي يمتد فوق الجدران العليا لهذا التجويف المتمثلة في لحيي الفك الأعلى وما فيهما من أسنان، ويبطن هذا السقف جلدة ملساء يتجعد بعض الجزء الأمامي منها وهو ما فوق لثة الثنايا والرباعيات.

وقُسِّم الحنك إلى أقسام:

اللثة وهي مغرز الأسنان: والمقصود هنا السطح الداخلي اللحمي للجدار الذي تنبت فيه الأسنان أي هي الغشاء اللحمي الذي يكسو أصول هذه الأسنان، وهو أملس تقريبًا.

النَّطَع[٢]: عُرِّف بأنه «الغار الأعلى في الفم» وهو وَسَطُ الحنك وأشدُّه ارتفاعًا - ويسمى المحَارة أيضًا، وهو صُلْب أملس. كما عُرِّف بأنه الجزء المحزز في مقدم الغار، وهذا يسمى الفَراش أو الفَراشة[٣] أيضًا. والتحديد الأخير هو الدقيق، لأن معنى الغار متحقق في مسماه، فلم يبق للنطع إلا مقدمه المحزَّز.

---

(١) يطلق لفظ الحنك لغويًا على باطن أعلى الفم من داخل أي (سقف) تجويف الفم، كما يطلق على أسفل مقدم اللحيين (تحت الذقن) ومن هنا التحنك في العمامة وهو إدراتها من تحت الحنك. والمقصود في الأصوات المعنى الأول.

(٢) قال في لسان العرب (نطع). والنِّطَع ما ظهر من غار الفم الأعلى، وهو الجلدة الملترقة بعظم الخُلَيقاء فيها آثار كالتحزيز وهناك موقع اللسان في الحنك (أي موقع مقدم اللسان وطرفه عند نطق بعض الحروف). وقال ابن الأثير (وغيره) هو الغارُ الأعلى في الفم.

(٣) اللسان (فرش) و(غور).

(٤) في اللسان (غور) «والغار: ما خلف الفَراشة من أعلى الفم».

الحنك الرخو: وهو آخر الحنك من الداخل ويقابل أقصى اللسان وينتهي آخرُه البالغُ الرخاوة فوق أعلى الحلق حيث يتدلى أو يتدلى غلافه الرخو متمثلاً في اللَّهاة التي تُشرِف على فراغ الحلق... والحنك الرخو يشترك في توليد أصوات معينة.

الأسنان: تتصدرها في كل فك الثنيتان وحولهما على الجانبين رَباعِيَتان، ثم نابان، ثم ضاحكان، ثم ستة طواحن، ثم ناجذان (= ١٦ في الفك الأعلى ومثلها في الفك الأسفل) وهي تساعد اللسان وتجويف الفم في توليد كثير من الأصوات اللغوية.

الشفتان: وهما باب الفم، وتتكون بعض الأصوات بالتقائهما في نقطة أقرب إلى ظاهرهما أو باطنهما، وبالتقاء باطن إحداهما بالأسنان وباستدارتهما أو انفراجهما... إلخ.

الأنف: وهو فتحة خارجية للتجويف الأنفي الذي يعلو السقف العظمي للفم (الحنك) أما هو فسقفه عظم قاع المخ. وتتكون بعض الأصوات بمرور هوائها فيه بيسر أو قوة.

الفراغات الرنانة في الجهاز الصوتي الإنساني:

وهي كثيرة تؤثر في تكوين بعض الأصوات وتسهم في إكساب صوت كل إنسان خصائصه ومميزاته. ومنها القصبة الهوائية، والحنجرة، والحلق، وتجويف الفم، وتجويف الأنف، والجيوب الأنفية في الجبهة، وفي العظمة الوتدية (تحت عظام الوجنتين)، وفي الفكين.



الصوت الإنساني والصوت اللغوي وكيفية صدورهما

بعد أن درسنا أعضاء الجهاز الصوتيّ الإنسانيّ يجدر بنا أن نقول إن كل ما يُسمَع من فم الإنسان هو صوتٌ إنسانيّ سواء كان مقصودًا به تكوين كلمات أو كان غير ذلك؛ كالصيحات اللا إرادية عند الفزع ونحوه، وكالأنين والرنين والقهقهة وصوت الجُشَاء وما إلى ذلك.

ونستطيع أن نخصّ ما يُقْصدُ به تكوينُ حرف أبجدي أو كلمات باسم الصوت اللغوي نسبة إلى اللغة التي هي كَلِمٌ يعبر به الناس عمّا في نفوسهم ويتبادلونه للتفاهم به، وهو شريحةٌ خاصة من **الصوت الإنساني العام**.

وعلينا الآن أن نبين كيف يصدر ذلك الصوت الإنساني لُغويًا كان أو غير لغويّ. ولكننا نحتاج إلى أن نحدد أولاً: حقيقة معنى كلمة (صوت)؛ لأننا استعملناها ويستعملها المحدَثون كثيرًا بمعنى اصطلاحي هو عين ما يُقْصَد بكلمة (حرف) أبجدي أو ألفبائي وسَنَده ذلك العموم الذي أشرنا إليه، كما سنستعملها في الحديث عن الجهر استعمالاً خاصًا يستند إلى المعنى اللغوي البَحْت لكلمة صوت.

تحرير المعنى اللغوي لكلمة صوت:

هذا التحرير بالغ الأهمية هنا، أولاً: لأن أية دراسة علمية – وبخاصة إذا كانت لغوية – تتطلب تحديد معاني المصطلحات. وتحرير المعنى اللغوي أساسي لتحرير المعنى الاصطلاحي. وثانيًا: لأن تعريف سيبويه لصفة الشدة وهي من صفات الحروف التي يدرسها كتابنا هذا – وتعريفه هو من أوائل التعريفات العربية التي صيغت للصفات – استعمل فيه لفظ (صوت) مكان لفظ (نفَس) وهو استعمال غريب يتطلب ذلك التحرير ﴿وفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾.

وضاعف أهمية التحرير أن استعمال (صوت) و(نَفَس) بلا دقة وقع قديمًا واستمر حتى الدراسات الصوتية المتأخرة – برغم ما يتبادر من أن معنى الصوت معروف بديهة.

ولعل أبكر ما كان من التعريف أو الشرح اللغوي لمعنى الصوت هو ما نجده في معجم العين: (صَوَّتَ فلان (بفلان) تصويتًا أي دعاه، وصات يَصُوتُ صَوتًا فهو صائت بمعنى صائح. وكلُّ ضَرْب من الأُغنيات صوت من الأصوات. ورجل صائت: حسن الصوت شديده. ورجل صيّت (كسيد): حسن الصوت[1]، وفي اللسان (الصَّوْتُ: الجَرْس معروف.. صات وأصات وصوّت: نادى.. ورجل صيّت: شديد الصوت عاليه)[2].

وواضح من هذا أن المعنى اللغوي للصوت هو ذلك (الزمير) الذي يُسْمَع عندما ننطق (ءااا) أو عندما ننادي شخصًا بعيدًا عنا، ويعبَّر عنه إذا كان مرتفعًا بـ (الصياح). وقد استعمل لفظ (الصياح) في تفسير الصوت كما رأينا، وكذلك لفظ (الدعاء) ولفظ (الغناء) ولفظ (النداء) – وكلها تعنى أنه ذلك الزمير المسموع خارجًا مع نَفَس الإنسان متميزًا عنه. فليس المعنى اللغوي للصوت هو مجرد النفَس مهما احتك بما يمر به ومهما سُمِع احتكاكه، ما دام ذلك النَّفَس لم يُصْحب بزمير. فإذا نطق الإنسان زميرًا ممتدًا مثل (ءااا) فذلك صوت وليس نَفَسًا. برغم أن ذلك الزمير لا يصدر عن فم الإنسان إلا بمرور نَفَسه من فتحة المزمار التي هي بين الوترين الصوتيين.. والصوت هو الذي يُسْمعنا قراءة الإمام في الصلاة الجهرية الصبح والمغرب والعشاء، والنفَس وحده هو الذي يُقْرأ به في الظهر والعصر وما زاد عن الركعتين في الصلوات الباقية. وقد أطلنا، لأن لفظ الصوت ليس له مرادف أوضح منه[3] يفسّر به، ولذا لمّا أراد ابن جني أن يفسره عرّفه فقال (اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النَّفَس مستطيلاً متصلاً) وهو يقصد بالعَرَض ذلك الزمير الذي ذكرناه، ثم قال إن الصوت مصدر صات الشيء... وهو عام غير مختص يقال

---

(١) العين (صوت) ١٤٦/٧ واستعمال الصوت للأغنية اصطلاح يشيع في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.

(٢) ينظر لسان العرب (صوت) وضبط فيه لفظ الجَرَس فيه بفتح الراء وهو ضبط غريب لم يذكر في اللسان إلا عن كراع فإسكان الراء في كلمة الجَرْس المفسّرة للصوت هو المعتمد.

(٣) يؤخذ مما في اللسان (صوت) و(جرس) أن الجرس بسكون الراء مرادف للصوت. والذي يبدو لي أن الجرْس أخص. ثم إن (الصوت) أوضح وأشهر منه.

سمعت صوت الرجل وصوت الحمار)[1] اهـ.. وقريب من هذا ما قاله ابن سينا والراغب الأصفهاني عن الصوت[2].

والخلاصة أن ما ذكرناه هنا يبين ويوثّق أن الصوت، هو ما سميناه الزمير، وهو المقصود بالجهر. وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ [طه: ١٠٨] فيه تحقيق لذلك. لأن خشوع الأصوات: انخفاضها. وإذا انخفض الزميرُ المسموع الذي وصفناه قَبْلًا حتى صار نَفَسا فحسْبُ صار همسًا.

أما معنى (النَّفَس) الذي هو الهواء الذي يسحبه الإنسان إلى رئتيه في حالة الشهيق ويخرجه في حالة الزفير فهو واضح. ولكن ننبه إلى أننا عادة نستعمل كلمة (نَفَس) إذا لم يكن مع ذلك الهواء زمير، أما إذا كان معه زمير فإنه يسمى صوتًا كما حررنا الآن.

ونعود الآن إلى بيان **كيفية صدور الصوت الإنساني** عامة، والصوت اللغوي خاصة فنقول: إننا عرَفنا من قبل أن الصوت - من حيث هو ظاهرةٌ طبيعية - إنما يحدث بسبب اهتزاز مصدره. والصوت الإنسانيّ لا يخرج عن هذا، فهو يصدر بسبب الاهتزاز أيضًا. إذ يمر الهواء المندفع من الرئتين إلى القصبة الهوائية فالحنجرة، ثم قد يجد الهواء مَنْفَذَه الذي في وسط الحنجرة يكاد يكون مغلقًا لشدة تقارب الغشاءين الصوتيين اللذَيْن يعترضان طريقه - فيكون نفاذه من بينهما بقوة واحتكاك شديدين لحفز الصدر من ورائه وضيق المنفَذِ أمامه - فيتذبذب الغشاءان الصوتيان ويصدر عن ذلك الاهتزاز زمير يمرق من الحلق إلى الفم أو الأنف ثم إلى الخارج فيسمع بوضوح. وقد يجد الهواء المنفَذَ الذي بين الغشاءين متسعًا لتباعد الغشاءين فيمر الهواء بلا زمير. ولكنه لاندفاعه بقوة يحتك بجدران مَمَرِّه في أي منطقة منه - في الحلق أو تجويف الفم أو الشفتين - فيهتز عمود الهواء ونسمع له حفيفا.

---

(١) ينظر سر صناعة الإعراب (تحقيق: مصطفي السقا وزملائه) ١/٦، ١١.

(٢) تكلم ابن سينا والراغب عن سبب الصوت ولم يُعَرِّفا الصوت نفسه قال ابن سينا «أظن أن الصوت سببه القريب تموّج الهواء دَفعة وبقوة وبسرعة من أي سبب كان» (ثم قال) أما نفْس التموج فإنه يفعل الصوت) (أسباب حدوث الحروف لابن سينا - صححه محب الدين الخطيب 3، 4). وفي المفردات للراغب (تحقيق: صفوان داودي) (الصوت: هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين).

والصوت الأول أي الزمير هو الجهر، والثاني الحفيف هو الهمس. وكلاهما يحدث بالاهتزاز: الجهر باهتزاز الأوتار الصوتية، والهمس باهتزاز عمود الهواء وأَثرِ احتكاكه بجدران مجرى الهواء في الحلق والفم.

أما **الصوت اللغوي** (= الحرف الهجائي[1]) فيحدث عندما يعترض النَّفَسَ الإنسانيَّ في سبيل خروجه - زامرًا أو غير زامر، من الحنجرة حتى الشفتين - مضيقٌ أو سدٌّ، فلا ينفذ النَّفَسُ منه إلا باحتكاك بجوانب الممَرّ في المضيق، أو انفجار من المسَدّ بعد الاحتباس، فينتَجُ من الاحتكاك، أو الحبس والانفجار - صوتٌ هجائي يناسب كُلاً في موضعه. (أي الاحتكاك في موضعه والحبس والانفجار في موضعه). ونظرًا لاختلاف الصوت الهجائي الناتج تأثرًا بالاختلاف في حالة النفَس زامرًا أو غير زامر، وباختلاف حالة المرور (احتكاكًا أو انفجارًا بعد حبس)، وبموضع الاعتراض = فإن القدماء عبروا عن اختلاف الصوت الناتج، أي تغاير صُوَره حسب الأمور السابقة هذا بأن (النفَس) «يتكيف بكيفية صوت هجائي» يناسب موضع التضييق أو السد.

فإذا أُغلِقَ مجرى النفَس عند الشفتين تولد لنا صوت شَفَوي هو الباء، وإذا أغلق عند وسط مقدَّم اللسان تولّد صوت شَجْري كالجيم، وإذا ضاق أو أُغلق عند أقصى اللسان تولد لنا صوت قَصَويّ قاف أو خاء أو غين، وإذا ضاق مجرى النفَس في الحلق تولد لنا صوت حلقي... وهكذا..

وتطبيقًا لما قلنا في الصوت الطبيعي من تأثر درجة أصوات الأوتار بطول الوتر ونوع نسيجه وسمكه ودرجة توتره أي اشتداده، فإن أصوات الصغار والنساء تكون أحدَّ من أصوات الرجال والكبار لقِصرَ الأوتار (أي حافات الأغشية) الصوتية في الصغار والنساء بسبب قصر المسافة بين البروز الحنجري ومرتكز الغضروفين الهرميين في حناجر هؤلاء

---

(1) عرف ابن سينا (٤٢٨هـ) الحرف بأنه هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدّة والثقل تميزًا في المسموع (فإذا حملت كلمة (صوت) على الأغلب، ثم على أن المقصود (هنا الصوت اللغوي خاصة) كان التعريف صالحًا.

عنها في حناجر الرجال والكبار. وقِصرَ هذه الأوتار يجعل توترها أشدّ، فإذا كانت أرق سُمْكًا - اكتملت بذلك أسباب الحدّة. كل هذا بالإضافة إلى اختلاف (نقاء) مصادر الصوت تبعًا للاختلاف بين نِسبَ العناصر في الأبدان ولو بدرجة طفيفة، وإلى اختلاف الفراغات الرنانة واختلاف أثرها.. مما يسهم في تمييز أصوات الناس.

(تساؤل):

ما الأصوات اللغوية (= الحروف)[1] التي تولدت من ذلك الجهاز الإنساني الصوتي، واتخذتْها لغتُنا ولغاتُ العالم؟ وما مدى تشابه تلك الأصوات أو اتحادها؟ ثم ما أغنى اللغات المعروفة بالأصوات اللغوية (= الحروف)؟ وما قيمة كثرة هذه الأصوات في لغة ما؟.

وفي إجابة سريعة لهذه التساؤلات نقول: أما في لغتنا فهناك ٣٤ أربعة وثلاثون صوتًا لغويًا (حرفًا) متميزة ومستعملة هي (الهمزة) ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض

---

(١) وقفة مع المصطلحات: (أ) شاع حديثا استعمال لفظ (صوت) بدل لفظ (حرف) من حروف الهجاء - ولئن كان هذا يناسب الجانب الصوتي المعتبر في هذه الدراسة إلا أنه عام ينبغي أن يوصف بكلمة (لغوي) ليتحدد، ولفظ (حرف) أخص لدلالته بالعرف العام على ذلك، ولاتفاق ذلك مع اصطلاح القدماء. كما أن لفظ (حرف) يجنب اللبس الذي يقع إذا تناول الحديث (صوت) أحد الحروف بمعنى جرسه الصوتي لا الحرف نفسه. وقد أحسن د. تمام حسان بحديثه عن الحرف باعتداده المقابل العربي للفونيم Phoneme .

(ب) بقي أن حروف الأبجدية تسمى عندنا حروف الهجاء (لأن الهجاء تقطيع اللفظة بحروفها (لسان العرب هجو) كما تسمى حروف (المعجم) فكلمة معجم مصدر ميمي بمعنى الإعجام فهي حروف الإعجام أي التقييد بالكتابة (وانظر معالجة مطولة لكلمة المعجم في سر صناعة الإعراب لابن جني ٣٨/١.. وسر الفصاحة ١٧) وقد جعل ابن جني صيغة (أفعل) في (أعجم) للسلب، ونرى أنها لتحقيق معنى (التماسك) الذي يؤخذ من عُجْمة الرمل (= الكثبة المتماسكة منه) ويتمثل ذلك في إمساك الكلام بإلصاق رموز أصواته كتابةً على الورق فلا يُجْحَد ولا يُنْسَى.

(ج) أما مصطلحات صفات الحروف فأهمّ ما فيها أن الحروف التي وصفها العرب بالشدة لأنها تحبس النفَس - من شدّ فم القربة ونحوها بمعنى رَبْطه وعقده ليمسك ما فيها من مائع أي يحبسه = سماها الأوربيون انفجارية Plosive لانفجار الهواء بعد احتباسه معها. ونأخذ مع هذه الصفة ضدها الرخاوة التي عبر عنها الأوربيون أحيانا بالاحتكاك. وسموّا المجهور مصوتًا Voiced والمهموسَ غيرَ مصوّت Voiceless ، وسموا المنحرف جانبيا Lateral .

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى ثم ألف المد وواو المد وياء المد ثم الفتحة والضمة والكسرة[1]. وهناك أيضًا أصوات عربية فرعية ذكر منها سيبويه النون الخفية، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم (مجهورة مثل J في نحو أشداق وأشغال)، والصاد التي كالزاي (في نحو مصدر إذا تساهلنا في الصاد فجهرنا صوتها)، وألف التفخيم في لهجة الحجازيين (في مثل الصلوة)... وهذه الأصوات الفرعية عدها سيبويه «مستحسنة يكثر استعمالها، ويؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار»[2]. ومما يستحسن ويقرأ به القرآن الكريم أيضًا - الإمالة الخفيفة والحركات البينية. وقد أحصى الفخر الرازي (٦٠٦هـ) الحركات أصليةً وبينيةً - قصيرةً ومشبعةً فبلغت ثماني عشرة غير الحركة المختلسة[*]. وهناك الروم والإشمام (المشار به إلى الضمة). وكلها عربي فصيح.

ثم ذكر سيبويه أيضًا أصواتًا أخرى «غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُه، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر» وهي الكاف التي بين الجيم والكاف (وعبارة أبي حيان «كاف كجيم» = الكَاف الفارسية أي عندما تنطق الكاف العربية كذلك - وقد سماها ابن الجزري الكاف الصمّاء) والجيم التي كالكاف (الجيم القاهرية - الكافية، وقد عُرفت في لهجة بعض قبائل اليمن القديمة)، والجيم التي كالشين (في مثل اجتمعوا تنطق اشتمعوا) والضاد الضعيفة (كالثاء وكالزاي أو الظاء العامية وكالدال المفخمة)، والصاد التي كالسين (شائعة في نطق النساء)، والطاء التي كالتاء (كنطق أهل شمالي مصر)، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء[3] (P) وقد ذكرها ابن دريد.

---

(١) هذه الحركات تحسب أصواتًا أي حروفًا لأن لها مخارج وصفات وقيمًا معنوية ورموزًا كتابية ثم إن نظائرها في اللغات الأخرى (الحركات Vowels) تحسب وتكتب. ونحن بصدد المقارنة بين لغتنا واللغات الأخرى.

(٢) الكتاب لسيبويه (٤٣٢/٤).

(*) ينظر مفاتيح الغيب (دار الغد العربي) ٧٥/١ .

(٣) الكتاب (٤٣٢/٤) والهَوْسيون في نيجيريا ينطقون هذه الـ P المهموسة فاءً فينطقون diploma دفلوما.

وتعرض ابن سيناء لخمسة عشر صوتًا فرعيا بعضها عرض هنا. ومن أهم ما ذكره الكاف التي ينطقها العرب (= البدو) في عصره بدل القاف، وهي عين القاف المعقودة (مثل Ga) والراء الغينية واللامية واللام المطبقة[١].

وبعض الخليجيين ينطقون الكاف كالشين أو CH ، ويصلح أن يكون هذا هو المراد بنطق الكاف كالجيم (المعطشة) لأن جرس التعطيش يشبه الشين.

وأما في اللغات الأخرى فقد أحصيت ما عرضته دائرة معارف تشمبرز[٢] من الأصوات الصامتة Consonants فبلغت ستة وخمسين. وذلك بصرف النظر عن أن بعضها مكرر بحسب اختلاف مخرجه[٣]، وعن مدى كونه بنائيًا أصيلاً. وعلى هذا المستوى يمكن أن نقول إن في لغتنا من الصوامت نحو ٤٥ صوتًا من بين الأصوات العالمية الستة والخمسين - وأكثرها مشترك بين لغتنا واللغات الأخرى أي موجود فيهن على السواء: بعضها له رموز خطية مستقلة كأصوات الباء والتاء والدال والراء والسين والزاي والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء، وبعضها ينطق باجتماع رمزين كالثاء والذال والشين.. وحروف العربية بهذا العدد تشكل نسبة عالية جدًا يندر أن يكون لها نظير بين لغات العالم.

ولكن **المقارنة الدقيقة** في رأينا هي التي تعقد بين العربية ولغات معينة. وتدقيق هذا إنما يكون بالمقارنة بين **الوحدات الصوتية** للغات لا بين الصور الصوتية لتلك الوحدات فهذه غير منضبطة. ومن هنا فسنرجئ هذه المقارنة إلى ما بعد الكلام عن الوحدات الصوتية والصور الصوتية، الذي سَيلي الكلام عن الحروف العربية بمخارجها وصفاتها وسائر الدراسة الإفرادية لها.

---

(١) ينظر «أسباب حدوث الحروف» للرئيس ابن سينا ١٤ : ١٦ . و«ارتشاف الضرب» تحقيق د. رجب عثمان ١/١١-١٦ .

(2) Chambers, s Encyclopaedia 1956 Volume 10, PP. 688 - 692 .

(٣) صوت R مثلاً ذكره مرة بين الحروف اللثوية الأسنانية، ومرة مع الحروف اللهوية لأنه لهوي في بعض اللغات (كالفرنسية).

مخارج الحروف وصفاتها

مَخْرج الحرف هو الموضع الذي يتولد فيه الحرف ويخرج[١]. وقد أسلفنا أن الصوت اللغوي (الحرف) يتولد عندما يصادفُ هواءُ الزفير - الزامر أو غير الزامر - سدًا أو مَضيقًا في أية نقطة في مجراه الممتد من الحنجرة إلى ظاهر الشفتين. وتحديد مخارج الحروف وصفاتها هو عمود الدراسة الصوتية اللغوية، كما أنه هو الذي يفسر ظواهر الإبدال والاستثقال والتصاقب وغيرها. وقد أسلفنا أن متقدمي علمائنا العرب كانوا يحصّلون معلوماتهم الصوتية (عن المخارج والصفات وغيرها) بمنهج الذوق، وأن المحدثين يستعملون أجهزة متنوعة.

وقد قسم علماء الأصوات مجرى هواء الزفير ذاك إلى أحياز يخرج من كل منها أكثر من صوت لغوي[٢].

وسنعرض من هذه المخارج - إجمالاً هنا وتفصيلاً فيما بعد - ما نطمئن إليه مما قرره القدماء[٣] والمحدثون على السواء. معتمدين في هذا الاطمئنان على الملاحظة والتجربة

---

(١) أضاف الخليل هنا مصطلحات: مبدأ الحرف وهو مخرجه، والحيز وهو مخرج لعدة أحرف (متجانسة) والمدرج أو المجرى وهو مسار هواء الحرف بعد خروجه، وقد يستعملان بمعنى المخرج. (تنظر مقدمة العين ورواياتها في تهذيب اللغة وتذكرة النحاة) وفي رأيي أن فتح ميم كلمة مَخْرج يعني الموضع المعتمد أو الطبيعي الذي يخرج منه الحرف، أما الضم فيعني الموضع الذي يمكن أن يُخْرج الناطق منه الحرف اختيارًا وعمدًا - وإن لم يكن هو المخرج المعتمد الطبيعي، ففتح الميم أدق.

(٢) خروج أكثر من صوت واحد من نقطة واحدة بعينها تقريب، لأن لكل حرف مخرجًا خاصًا - كما قال ابن الحاجب (متن الشافية باب الإدغام).

(٣) هذا هو التحديد القديم لمخارج الحروف بعبارة سيبويه (وقد أغفلنا التعديلات المتأخرة) «الحروف العربية ستة عشر مخرجًا. فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجًا الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجًا من الفم الغين والخاء، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف. ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء. ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام، ومن طرف اللسان بينه=

الخاصة من ناحية، وعلى مدى الثقة العلمية في دقة ما قرره كل من الفريقين من ناحية أخرى. وسننبه على ما يكون الخلاف فيه بين الأقدمين والمحدثين خلافًا لفظيًا - وهو كثير.

١- المزمار (فتحة ما بين الوترين الصوتيين) وتخرج منه الهمزة وألف المد - ومنه مع الحلق تخرج الهاء.

٢- وسط الحلق وتخرج منه العين والحاء.

٣- أصل اللهاة (وهو الجزء اللين من أقصى الحنك ويسمى الطبق) وأعلى جذع اللسان (= أقصى اللسان) وتخرج من بينهما الخاء والغين والقاف الفصحى (والسودانية، والحديثة = قاف القراء في مصر).

٤- الثلث الداخلي للسان مع الحنك اللين، وتخرج منه القاف الريفية (= المعقودة = الجيم القاهرية = الكاف الصماء = Ga).

٥- الثلث الداخلي اللسان مع أول الحنك الصلب للكاف الفصيحة.

٦- وسط مقدم اللسان وما يحاذيه من الحنك الصلب (= مقدم الغار) وتخرج منه الجيم المعطشة والجيم الشامية والياء والشين.

٧- طرف اللسان (ويشترك في إخراج شطر الحروف تقريبا).

أ- ذلق اللسان مع لمس طرفه لثة الثنايا العليا وتخرج بهذا الوضع اللام والراء والنون. ويخرج نفَس اللام من جانبي اللسان، ونفَس الراء من فوق ظهر اللسان، ونفَس النون من الأنف.

ب- حافتا اللسان مع لمس طرفه لثة الثنايا تحت نقطة اللمس السابقة وبه تخرج الضاد.

= وبين ما فُويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء. ومما بين طرف اللسان وفُويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد. ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة). الكتاب ٤/٤٣٣.. وقد أكملنا مخرج اللام من سر الصناعة لابن جني.

ج- طرف اللسان (ومقدمه) بلمسه لثة الثنايا العليا وأصولها وصفحتها تحت النقطة السابقة أيضًا وهو مخرج الطاء والدال والتاء.

د- أسلة اللسان باقترابها أشد القرب من **أطراف الثنايا** - للصاد والسين والزاي.

هـ- طرف اللسان بامتداده بين **أطراف الثنايا العليا والسفلى** وهو للظاء والذال والثاء.

٨- التقاء أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى وهو للفاء.

٩- التقاء الشفتين وهو مخرج الباء (يحتبس معها النفس)، والميم (يخرج النفس من الأنف).

١٠- الخياشيم للنون الخفيفة (الغنة حالة الإخفاء). وتشارك في إخراج النون المظهرة والميم.

١١- المزمار مع ارتفاع أقصى اللسان واستدارة الشفتين للواو، ومع ارتفاع وسط مقدم اللسان وانفراج الشفتين للياء.



صفات الحروف

صفة الحرف حِلْية صوتية تصحبه عند نطقه كالجهر أو الهمس والشدة أو الرخاوة إلخ. وهي تحدث بمراعاة الناطق لها، وتهيئته أعضاء نطقه لإصحابها أداءَ الحرف.

وللصفات قيمةٌ جوهرية هي أنها وسيلة التمييز بين الحروف المتحدة المخارج. وإذا علمنا أن أزواجًا كثيرة من الحروف الأبجدية متحدة المخارج ولا يميز بين كل منها وقرينه إلا اختلافُ الصفات كالعين والحاء مخرجهما واحد وإنما يميز صوت إحداهما من الأخرى أن العين مجهورة والحاء مهموسة، وكذلك الأمر في الغين مع الخاء، وفي الزاي مع السين وفي الذال مع الثاء إلخ. والصاد تتميز عن السين بالتفخيم الذي سببه الاستعلاء والإطباء، والقاف تتميز عن الغين والخاء بالشدة وهكذا. إذا علمنا هذا تبينت لنا الأهمية العظمى للصفات ولمراعاتها عند نطق الحروف.

وقد نبه الأئمة على هذه القيمة للصفات منذ القرن الثالث الهجري. وللإمام بكر بن محمد المازني (٢٤٩هـ) كلام مفصلٌ في هذا[1].

وهناك خمس مجموعات من الصفات العامة لا بد لكل حرف أبجدي[2] أن يحمل

---

(١) ممن نبه على قيمة الصفات هذه المازني (٢٤٩هـ) ومكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) (الرعاية ١١٥ ، ١٥٥، ١٥٦) وشهاب الدين القسطلاني (٩٢٣هـ) (لطائف الإشارات ١٥٦/١) وقد نقل مكي في الرعاية (١٤٣) قول المازني: (إن الذي فصل بين الحروف التي ألف منها الكلام سبعة أشياء) الجهر والهمس والشدة والإرخاء والإطباق، والمد واللين. قال لأنك إذا جهرت أو همست أو أطبقت أو شددت أو مددت أو لينت اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد. قال فعند ذلك يأتلف الكلام ويفهم المراد. قال ولو كانت المخارج واحدة، والصفات واحدة لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم التي لها مخرج واحد وصفة واحدة لا تُفْهَم. فهذه حكمةٌ جَبَلَ الله عليها هذه الحروف في أصوات بنى آدم لتخرج بهذه الصفات عن جنس أصوات البهائم، لأن أصوات البهائم لا اختلاف في مخارجها، ولا في صفاتها، ولذلك لا تفهم - فباختلاف صفات هذه الحروف في ألفاظ بني آدم، واختلاف مخارجها وتباين طباعها فُهِم الكلام وظهر المعنى القائم في نفس المتكلم للمخاطب وعلم المراد.

(٢) تستثنى الهمزة والهاء من صفات مجموعتي الاستعلاء والاستفال، والإطباق والانفتاح، لأنه ليس للسان عمل في هذين الحرفين. ولا تستثنى الألف لأن من الألفات ما يفخم لاستعلائه، ولا الحاء ولا العين لأن من المرجح أن جذع اللسان يسهم في تهيئة احتكاك نَفَس الحاء، وتضييق المنفذ الرخو لزمير العين.

صفة من كل مجموعة منها، وصفات خاصة تتصف بها بعض الحروف بشروط معينة.

ومجموعات الصفات العامة هي: الجهر أو الهمس، والشدة أو الرخاوة، والاستعلاء أو الاستفال، والإطباق أو الانفتاح، والذلاقة أو الإصمات.

الجهر والهمس:

الجهر زمير يصحب الحرف حينَ نطقه، والهمس هو عدم إصحاب الحرف زميرًا عند نطقه. وسواء في الحالتين - جَرَى مع خروج الحرف نفَس أو لم يَجْر. فإذا نطقت اللام - مثلاً - ساكنة بعد مدّ (ءااا لْ لْ لْ) تجد الزمير مخالطًا لجرْسها - أى أن الزمير يصحب نطقَها ولا ينقطع عند الوصول إليها، فهي مجهورة. ويجرى معها نفَس، وإذا نطقت الدال كذلك قلت (ءااا د) فيصحبها زمير لكن لا يجرى نفَس. وإذا نطقت الفاء ساكنة بعد مدّ (ءااا فْ فْ فْ) تلحظ أن الزمير ينقطع عند الوصول إليها أى أنها لا يصحب نطقَها زميرٌ لكن النفس يجرى - فهي مهموسة رخوة. وإذا نطقت التاء (ءااا ت) ينقطع الزمير، والنفَس لا يَمُرّ لأنها - مع كونها مهموسة - شديدة يحتبس معها النفس. وقد طوَّلنا همزة الوصل التي يُتوصل بها إلى نطق الحرف ساكنًا حتى صارت مدًّا ليَظْهر وجودُ زميرِ الجَهْر قبل الحرف المَذُوق (فهذا المدّ هو عينه زمير الجهر)، فإذا استمر الزمير أثناء نطق الحرف فالحرف مجهور، وإذا انقطع عند نطق الحرف فالحرف مهموس. وستأتي طريقة ذوق وجود الصفتين.

سبب الجهر والهمس:

وسبب صدور زمير الجهر أن الهواء المندفع من الرئة - والذي يحدث الحرفُ بحبسه أو تضييق سبيله في مخرجه - قد تتضايق أمامه فتحة المزمار (التي بين الوترين الصوتيين) فلا ينفذ إلا باحتكاك شديد بالوترين الصوتيين المكوّنين لجانبيها بسبب حفز الصدر له من ورائه وضيق المنفذ بين الوترين أمامه، فلذلك الاحتكاك تتذبذب الأوتار الصوتية بشدة فيصدر ذلك الزمير الذي هو الجهر.

وليس الحال كذلك مع كل الحروف بالطبع، فإن الوترين قد ينفرجان عند مرور هواء بعض الحروف بينهما، فلا يحتك الهواء بهما ولا يصدر زمير يصحب نطق الحرف. ويوصف مثل ذلك الحرف بأنه مهموس.

حروف الجهر وحروف الهمس:

والحروف المهموسة جمعها القدماء في عبارة (سكت فحثه شخص) أي السين والكاف.. إلخ. وباقي حروف الأبجدية العربية مجهورة. وقد جمعوها في عبارة (ظلٌّ قَوّرَبَضَ إذْ غزَا جُنْدٌ مطيع). وسنعرف عند تفصيل الكلام على الحروف أن جمهور لغويينا المحدثين ينفون جهر الهمزة تبعًا للأوروبيين، وأن الطاء والقاف صارتا - في نطق جمهور المُحْدَثين - مهموستين. ولكن الصواب والفصيح أن هذه الأحرف الثلاثة مجهورة.

طريقة ذوق اتصاف الحرف بالجهر والهمس:

يُعلم مما سبق أنه يمكن ذَوق صفة الحرف من حيث الجهر والهمس بنطقه ساكنًا في أثناء نطق مد (مثلاً يَافْ .. ياثْ .. ياذْ .. يالْ ... إلخ). والمد زمير أي جهر، فإن استمر الزمير مع الحرف المذوق الساكن فهو مجهور، وإن انقطع فهو مهموس.

وهناك طريقة أخرى لتبين ما إذا كان الحرف مجهورًا أو مهموسًا هي وضع الأصابع على الحنجرة من الخارج أي تحت الذقن، ونطق الحرف ساكنًا، فإذا شعرت الأصابع بأزيز عند نطقه فهو مجهور وإن لم تشعر بأزيز فالحرف مهموس. ويُفَضَّل استعمال هذه الطريقة الأخيرة في ذوق جهر الحروف الشديدة أو همسها. وهي المجموعة في عبارة (أجدك قطبت).

وينبغي أن ننبه إلى أن الجهر يتميز من الهمس عند الكلام بصوت معتاد. أما في مثل حالة السِّرار (= الوشوشة) والمخافتة، فإن الكلام كله مهموس - ولذا سمَّى القرآن الكريم الكلام على هذا المستوى همسًا ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾ وقابله بالجهر ﴿ولا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولا تُخَافِتْ بِهَا﴾[1].

الشدة والرخاوة:

الشدة حبس النفَس في مخرج الحرف آن - نطقه - سواء كان مع النفَس صوتٌ أى زمير أو لم يكن. ويكون ذلك بإغلاق مجرى النفس عند مخرج الحرف - فإذا اقتضى

---

(١) طه: ١٠٨ ، والإسراء: ١١٠.

نطقُ حرفٍ ما التقاءَ أعضاء النطق في مخرجه بحيث تحبِس النفس حبسًا مُحكمًا فذلك الحرف شديد، ويمكن ذَوْق ذلك بنطق الحرف ساكنًا بعد أيّ حرف آخر أو بعد همزة وصل مفتوحة (أو مكسورة) كما أشار الخليل (آقْ - اَكْ - اَتْ ... إلخ) فإذا كان النَّفَس يحتبس في حالة الإسكان هذه مهما استمرت - كما في هذه الحروف المذكورة - فالحرف شديد. والحروف الشديدة مجموعة في عبارة (أَجِدُكَ قَطَّبْتَ).

ويجدر أن نذكر هنا أن مصطلح الشدة مأخوذ من استعمال (الشَّدّ) لغويًا بمعنى رَبْط فم الكيس أو الوعاء[1] حتى لا يخرج منه شيء تسيُّبًا أو تبعثرًا. والمعنى الاصطلاحي هو كما قلنا حبس النفس في **مخرج الحرف آن نطقه**، وهذا الحبس يكون باعتراض اللسان مجرى النفس في نقطة المخرج اعتراضًا محكمًا (كما في نطق القاف والكاف والجيم والدال والتاء والطاء) أو بالتقاء الشفتين التقاء محكمًا (كما في نطق الباء) فهذا الاعتراضُ المُحْكَم أو الالتقاءُ المُحْكَم يحبس النَّفس حبسًا تامًا لا يدعه يخرج، وهذا يشبه شدّ فم الكيس (أي ربطه) شدًّا تامًّا فلا يخرج منه شيء. وليست صفة الشدة مأخوذة من الشدة بمعنى القوة كما ظن بعض علماء التجويد المتأخرين.

والرخاوة جريان النفس وَنَفَاذُهُ من مخرج الحرف آن نطقه سواء كان مع النفَس الجارى صوت أى زمير أو لا. ويكون ذلك إذا تولد الحرفُ بتضييق مجرى النَّفَس عند مَقْطَع الحرف أي مخرجه. والتضييق وَحْده لا يحبس النفس أي لا يمنع تَسرُّبه أو نَفاذَه من المضيق، بل يسمح بمروره مع احتكاكه بجدران المضيق - مثل اَفْ اَسْ أَخْ.. إلخ) فنجد النفس مستمرًا في خروجه عند إسكان الحروف. فمثل هذه الحروف تسمى رِخوة لجرَيان النفس من مخرجها عند نطقها ساكنة.

وهناك مجموعة ثالثة من الحروف عَدّها سيبويه بين الرِّخْوة والشديدة، فصرّح بوصف

---

(١) الشَّدُّ بمعنى الإيثاق في لسان العرب (شدد)، والشِّدَاد بمعنى الرباط في اللسان (نطق) والشد بمعنى ربط فم السقاء أو القربة ونحوهما استعمل في اللسان (وكي) كثيرًا. قال (الوكاء كل سير أو خيط يُشَدُّ به فمُ السقاء أو الوعاء، وقد أوكيته... إذا شَدَدْتَه،.. الوكاء رباط القربة وغيرها الذي يُشَدُّ به رأسُها.. الوكاء: الخيط الذي تُشَدّ به الصُرّة والكيس وغيرهما، أَوْكَى على ما في سقائه: إذا شَدَّهُ بالوكاء. أوكُوا الأسقية: أي شُدُّوا رؤوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء. عليكم بالسقاء الموكَى: أي السقاء المشدود الرأس (= الفم).

العين بذلك، ثم وصف كلا من اللام والميم والنون والراء بأنه (حرف شديد جرى فيه (النَّفَس)[1] - أي يجمع بين الشدة المتمثلة في اعتراض طريق النفس، والرخاوة المتمثلة في خروج النَّفَس رغم ذلك بانحرافه إلى مَنفَذ، ومن هنا عد الشُّراح حروف (لن عمر) متوسطة بين الشدة والرخاوة. **ونحن نرى أنه ما دام مَناطُ الوصف بالشدة أو الرخاوة هو حبس النفس أو خروجه عند نطق الحرف فيجب أن تُعدّ هذه الحروف رخوة لأن النفس يخرج معها.**

وقد جمع القدماء الحروف الشديدة في عبارة (أجدك قطبت) كما سبق فالحروف الرخوة هي ما عدا هذه أي كل الحروف الألفبائية ما عدا هذه الثمانية. وسنرى - بعد - أن وصف الهمزة والقاف والطاء بالجهر، ووصف الضاد بالرخاوة، ووصف بعض أنواع الجيم بالشدة.. كل ذلك أصبح موضع بحث عند المحدثين. كما سنرى ما يوضح أن الحق مع القدماء.

ومما سبق يعلم أن طريقة ذَوْق اتصاف الحرف بالشدة أو الرخاوة هى نُطْقُه ساكنًا بعد همزة وصلٍ مثلاً، فإنْ جرى النفَس من مخرج الحرف أثناء نطقه فالحرف رخو، وإن احتبس النفَس في المخرج حينئذ فالحرف شديد.

تنبيه مهم:

لا ينبغي أن يُظن أن الحرف إذا نُطِق متحركًا يتغير اتصافه بالجهر أو الهمس، وبالشدة أو الرخاوة. كَلّا. فما يتصف به الحرف وهو ساكن من حيث الجهر أو الهمس، والشدة أو الرخاوة يبقى كما هو. وإنما اشترطوا ذوق الحرف ساكنًا ليفردوه عما سواه فتظهر صفته، ولا يتأثر بحركته. ذلك أن الحركة صوت آخر أي حرف آخر، وهي تقع بعد الحرف، وتتصف دائمًا بالجهر والرخاوة، ولها أحكام أخرى أيضًا. فإذا قلنا (بُشِرَ الجلد) فإن الباء وحدها حرف وهي مجهورة وشديدة، وبعد الباء ضمة وهي حركة مجهورة رخوة. وبعد الضمة شين وهي حرف مهموس رخو، وبعد الشين كسرة وهي أيضًا

---

(١) الذي في الكتاب ٤٣٥/٣ - (الصوت). ولكن الصواب استعمال كلمة نَفَس هنا بدلا من كلمة «صوت، لأن الشدة خاصة بالنفَس سواء كان معه صوت أو لا».

حركة مجهورة رخوة، وبعد الكسرة راء وهي حرف مجهور رِخو، وبعد الراء فتحة وهي حركة مجهورة رخوة.. وهكذا فالحرف ينبغي أن يُنْظَر إليه دائمًا نظرة مستقلة عن الحركة التي تليه. وهذا هو سِرُّ ذَوْق الحروف ساكنة.

العلاقة بين مجموعتي الجهر والهمس والشدة والرخاوة

١- المجموعتان لهما علاقة بالنَّفَس من حيث: أ- إن زمير الجهر لا يصدر إلا مع مرور النفس من المزمار حين ضيق فتحته فترتَعِدُ حافَتا الفتحة ويصدر الزمير. والهمس إنما هـو مـرور النفـس من فتحة المزمار حين اتساعها فلا ترتعدُ حافتا الفتحة ولا يصدر زمير.

ب- وأن الشدة هي حبس النَّفَس في مخرج الحرف عند نطقه. والرخاوة مرور النفَس من مخرج الحرف عند نطقه.

لذلك وجب بيان العلاقة بين المجموعتين بيانًا صحيحًا، لأن بعض المتأخرين من علماء التجويد عَرَضوا لهذه العلاقة بين المجموعتين، وقالوا إن الشدة تؤكد الجهر، وكذلك عَرَضوا للعلاقة بين الصوت والنَّفَس واستعملوا لفظي الصوت والنفس في غير موضعهما بالنسبة لصفات المجموعتين[١] - وإن كانوا في استعمال لفظ (الصوت) في غير موضعه مسبوقين بسيبويه وكثيرين بعده. وكذلك يجب بيان العلاقة بين المجموعتين لأن بعض الدارسين المحدَثين قد يتوهم أن الشدة توقف الجهر، وأن كل شديد لا بد أن يكون مهموسًا بسبب أن الشدة تُوقف جريان النفَس، وزمير الجهر لا يصدر إلا بجريان النفَس من بين الأوتار الصوتية. كما قد يُتوهم أن كل مجهور لا بد أن يكون رخوًا، لأن الجهر زمير يمر مع النفس.

وقد حرّرنا من قبل ووثّقنا أن (الصوت) هو ما سمّيناه الزمير، وهو المقصود بالجهر،

---

(١) الكلام عن العلاقة، وأن الشدة تؤكد الجهر، واستعمال الصوت والنفس استعمالاً غير دقيق بالنسبة لمجموعتي صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة في نهاية القول المفيد (البابي الحلبي) ٤٦ - ٤٩ .

ونبّهنا إلى أننا عادة نستعمل كلمة (نَفَس) إذا لم يكن مع ذلك النفَس زمير، أما إذا كان معه زمير فإنه يسمى صوتًا (فقط).

العلاقة:

ولضبط العلاقة بين مجموعة الجهر والهمس، ومجموعة الشدة والرخاوة علينا أن نتذكر:.

١- أن نقطة صدور الزمير (= الجهر) غير نقاط حبس النَفَس (= الشدة). فنقطة صدور الزمير لها خاصتان:

أ- أن لها موضعًا واحدًا ثابتًا مع كل الحروف المجهورة، وهو فتحة المزمار التي بين الوترين الصوتيين.

ب- وأنها أعمق نقاط صدور الصوت اللغوي.

أما نقاط حبس النفس (= الشدة) فهي متعددة ومتنقلة، **لأن حبس النفس في الحرف الشديد يقع في مخرجه، والمخارج لها مواضع متعددة:** فحبس النفس مع القاف يقع عند أقصى اللسان، ومع الكاف يقع أَخْرَج من الأقصى قليلاً، ومع الجيم في وسط مقدَّم اللسان.. وفي نطق الباء يقع الحبس بالتقاء الشفتين وهكذا.

٢- كل زمير أو كل جهر فمعه نَفَس ضرورةً. والعكس ليس صحيحًا، لأن النفس يمكن أن يمر بلا زمير لاتساع ما بين الأوتار الصوتية عند مروره كما في نطق الثاء والحاء والخاء... إلخ. ثم إن حبس النفَس - إذا كان الحرف شديدًا - يقع في مخرجه. ونقطة المخرج متأخرة عن نقطة صدور الجهر - كما سبق، إلا في الهمزة والهاء وحروف المدّ.

٣ - **إذا كان الحرف يتصف بالجهر** فإن زمير الجهر يصدر **قبْل خروج الحرف من مخرجه**، وذلك بمرور النفس من فتحة المزمار وهي ضيقة، ويستمر زمير الجهر حتى يصحب تكوّن الحرف في مخرجه، وبهذا يتصف الحرف بالجهر. ثم إذا كان الحرف يتصف - مع الجهر - بالرخاوة فإن الزمير يستمر مع النَفَس بلا أية مشكلة، وإذا كان يتصف بالشدة بدلاً من الرخاوة **فإن النَفَس يحتبس في مخرج الحرف آن تكون صوت الحرف**، ولكن هذا الاحتباس في المخرج لا يُوقِف مرور النفَس من فتحة المزمار أي لا يوقف صدور الزمير، وذلك لأن الحبس لا يستغرق إلا نحو (٠,٠٥) خمسة في

المئة من الثانية ثم يعود إلى الجرَيان. ولهذا القِصَر البالغ في زمن حبس النفس فإن توقف جريان النفَس لا يبلغ إلى نقطة فتحة المزمار[1] بل يظل النفَس يمر بين الأوتار محدثًا زمير الجهر. وهكذا فإن الشدة لا تؤثر في الجهر أي لا توقفه أي لا تحول المجهور إلى مهموس، وهي من باب أولى لا تزيد الجهر ولا تقويه. أي أنه ليس هناك علاقة تَلازُم بين الجهر والشدة لا إيجابية ولا سلبية.

٤ – وكذلك الأمر في الجهر والرخاوة فالحرف الرخو إذا كان مجهورًا يصدر زميره أولاً، ثم يستمر النفَس الحامل للزمير فيمر من مخرج الحرف بلا مشكلة كما قلنا فليست هناك علاقة أيضًا.

٥ – والمهموس لا مشكلة له لا مع الشدة ولا مع الرخاوة لأنه ليس فيه زمير يُبْحَثُ عن توقفه أو عدم توقفه. وإنما يُبْحَث عن شدته أو رخاوته، وهما يحدثان في المخرج نفسه.

وبذا تبين أن المجموعتين مجموعة الجهر والهمس، ومجموعة الشدة والرخاوة لا تؤثر إحداهما في الأخرى لا بالسلب ولا بالإيجاب.

فقد يكون الحرف مجهورًا ويكون مع ذلك **شديدًا** كالهمزة والقاف والجيم والدال والطاء والباء، أو يكون مع الجهر **رخوا** كالزاي والراء والضاد وغيرهن. وقد يكون مهموسًا وهو مع ذلك شديد كالكاف والتاء، أو مهموسًا وهو مع ذلك رخو كالحاء والخاء والسين وغيرهن.

ومفتاح عدم التعارض أن نتذكر أن الجهر والهمس مسألة زمير يصحب نطق الحرف أو لا يصحبه، وأن الشدة والرخاوة مسألة نَفَس يجرى في مخرج الحرف عند نطقه أو يحتبس، وأن موطن صدور زمير الجهر أعمق في جهاز النطق من موطن وقوع الشدة أو الرخاوة. فالجهر أو الهمس يحدثان أولاً ثم تحدث الشدة أو الرخاوة ولا تؤثران في

(١) لتقريب هذا الأمر نقول إن جدول الماء الجاري إذا سُدّ في نقطة فإن جريان الماء يتوقف عند نقطة السدّ فورًا، لكن يظل الماء يجري – ولو ببطء – في المسافة السابقة لنقطة السدّ لمدة قصيرة، ثم يتوقف. وكلما بعدت المسافةقبل موضع السد – تأخر زمن حدوث توقف جريان الماء. وهكذا الأمر في جريان الهواء في قناة تجويف الجهاز الصوتي من الحنجرة إلى الشفتين.

صدور الزمير أو عدم صدوره، لقِصَر زمن الشدة قِصَرًا بالغًا بحيث لا تسبب توقفَ مرور النفَس من بين الأوتار.

الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف. ويقع ذلك عند نطق حروفٍ جمعها القدماء في عبارة (خُص ضغط قظ). وسنعرف بعدُ - الحروفَ والحالاتِ الأخرى التي يستعلي معها أقصى اللسان[1]. وواضح أن ارتفاع أقصى اللسان يكلّف جُهدًا أكثر من ارتفاع طرفه ولذا فهو أثقل ويناسب المعاني القوية، ويرتبط بالتفخيم كما سيأتي.

والاستفال هو انحطاط أقصى اللسان عند خروج الحرف - لا بمعنى انخفاضه عن مستواه، بل بمعنى عدم ارتفاعه نحو الحنك. والحروف المستفلة هي ما عدا المستعلية. وواضح بالمقابلة - أن الحروف المستفلة خفيفة بالنسبة للمستعلية.

الإطباق والانفتاح:

الإطباق عرّفه سيبويه بأنه رفع اللسان إلى ما حاذاه من الحنك الأعلى في مواضع الحروف المطبقة وهي (ص ض ط ظ) بحيث ينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك

---

(١) عن الاستعلاء:
أ- نبه الأئمة مبكرًا على هذه الصفة. فذكرت رواية لمقدمة العين للخليل أوردها الأزهرى في التهذيب ثم أبو حيان في تذكرة النحاة ص٢٦ عن كتاب الزهكال لجناده بن محمد (٣٩٩هـ) ذكر فيها أن من الحروف خمسة شواخص (الشخوص الارتفاع - فهو يقصد مستعلية) فذكرها تاركًا منها الخاء والغين. وذكر سيبويه خمسة منها مفرقة في ٤٧٩/٤ - ٤٨١ معبرًا عن استعلائها بأنها تتصعد نحو الحنك الأعلى (ولم يذكر الضاد، كما يبدو أنه يستبعد الظاء فلا يعدها مستعلية - ينظر الكتاب ٤٨١/٤ وما قبلها. وذكرها المبرد كاملة في المقتضب ٣٦٠/١ - ٣٦١ مصرحًا بتعبير الاستعلاء (ثم استقرت الصفة).
ب- الذي هداني إليه تتبع معالجات الأئمة للأصوات اللغوية أن أول من نبهت عبارته على أن الاستعلاء إنما هو ارتفاع أقصى اللسان خاصة - لا أي جزء آخر منه - هو علي بن مسعود (٥٤٨هـ)، «والاستعلاء فيها من حيث إن أصل اللسان يصعدها»، (المستوفي ٥٨٨/٢)، ثم الجاردبردي (٧٤٦هـ) ثم الشيخ زكريا الأنصاري (٩٤٦هـ)، (مجموعة الشافية ٣٤٢/١ ، ٢ ٢٤٢ - على التوالي)، ثم المرعشي (١١٥٠هـ)، (نهاية القول المفيد - ٥١) وهؤلاء عبروا باستعلاء (أقصى اللسان).

إلى موضع الحرف[1]. أي أنها تنطق باجتماع ارتفاعين معًا في اللسان: ارتفاع أقصى اللسان وكذا ارتفاع مقدَّمه أو طرفه كلٌ إلى ما فوقه من الحنك، مع تقعُّر وسط اللسان بحيث ينحصر النفَس والصوت بينه وبين الحنك. ويعتمد مقدّمُ اللسان على ما يعلوه من الحنك في الطاء، وفي الضاد يماسّ طرَفه لثةَ الثنايا تحت نقطة التماسّ في نطق اللام، ويقتربُ فحسب دون اعتماد أو مَساس في الصاد. أما الظاء فطرف اللسان فيها يكون ممتدا بين أطراف الثنايا، وما قبل الطرَف يكون مرتفعا شيئا ما. ويكون هذا - مع ارتفاع أقصى اللسان في الحروف الأربعة. وبذا يكون الحنك كالطبق على وسط اللسان.

وأقرب عبارات الأئمة عن الاطباق هي قول مكي إن «طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف وينحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها» ولو قال أقصى اللسان ومقدمه بدل كلمة (طائفة) لكان دقيقًا. وعبارة سائرهم[2] بالإلصاق ليست صوابًا.

والانفتاح ضد الإطباق - ومعناه تجافي أقصى اللسان أو طرفه أو كليهما عن الحنك - لا يرتفعان معًا إلى الحنك عند نطق الحرف. فحقيقة الانفتاح أنه عدم اجتماع الارتفاعين، سواء وقع ارتفاع واحد أو انتفى الارتفاعان معًا. وتعريف الإمام الجعبري عن الانفتاح بأنه «تجافي كل من طابقتي اللسان عن الأخرى» غير موفق.

وكل الحروف منفتحة ما عدا الحروف المطبقة الأربعة. فالانفتاح أعم من الاستفال، لأن كل مستفل منفتح دون العكس، لأن القاف والخاء والغين منفتحة وليست بمستفلة.

هذا والإطباق - في تكوين الصوت - أثقل من الانفتاح، ولذا فإن له غِلَظا وقوة ويكسبُ صوتَ الحرف ضخامة.

---

(١) عبارة سيبويه الكتاب ٤٣٦/٤ «وهذه الحروف الأربعة (ص ض ط ظ) إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانُك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك. فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف... فهذه الأربعة لها موضعان في اللسان. وقد بُيّن ذلك بحصر الصوت».

(٢) ينظر الرعاية، وعبارة ابن جني «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطْبِقًا له (سر الصناعة ١/ ٧٠)، وفي (القول المفيد ٥٢) إطباق أي تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان. وينظر بينهما - سر الفصاحة ٢٤ ، والشافية بشرح الرضي (٢٦٢/٣)، ولطائف الإشارات للقسطلاني ١/ ١٩٨ - ١٩٩ وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٧٣/٢) (حرف)، ونهاية القول المفيد ٥٣ .

الذلاقة والإصمات:

الذلاقة: ومعناها حدّة اللسان وطلاقته. والمراد هنا الأحرف التي تتصف بالخفة والسلاسة في نطقها. وهي اللام والراء والنون. وسميت أحرف الذلاقة لأنها تخرج بوضع طرف اللسان على أعلى لثة الثنايا العليا، فيمر صوت اللام من جانبي الطرَف وهما ذَلَق اللسان (حدّا طرفه)[1]، ويمر صوت الراء من فوق ظهر اللسان عند مفارقة طرَفه موقعَه مرّات بالارتعاد. ويمر صوت النون من الأنف[2] (فاللام وحدها هي الحرف الذلقي تمامًا. وقد ضمت إليها ثلاثة أحرف شفوية وهي الفاء والباء والميم، سميت أحرفَ ذلاقة للخفة التي فيها. فصارت الأحرف الذُّلُق ستة.

وفي العين «فلما ذلقت الحروف الستة، ومذل بهن اللسان[3]، وسهُلت عليه في المنطق = كثرتْ في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يَعْرَى منها أو من بعضها».

الإصمات: وهو ضد الذلاقة.. وحروفه هي بقية الحروف الهجائية - أي ما عدا حروف الذلاقة. وقد سموها مُصمتة لثقلها (بالنسبة إلى خفة حروف الذلاقة)[4]. فالشيء المصمت - أي الممتلئ الجوف - أثقل من الفارغه. وقد علل ابن جني تسميتها مصمتة بأنها «صُمِت عنها أن تُبنى منها كلمة رباعية أو خماسية مُعَرّاة من حروف الذلاقة»[5].

---

(١) وفي العين للخليل ٥٧/١ «تخرج من ذلق اللسان (من) طرف غار الفم» كأن المقصود (يمر الهواء قبل وصوله إلى الذلق..

(٢) هذا هو الصواب. وهو واضح في الذوق وفي الكتاب بالنسبة للنون، وكان سيبويه يظن أن هواء الراء يمر من جانبي اللسان كاللام. وفي مقدمة العين أن اللسان «لا ينطلق إلا بالراء واللام والنون» وقد ذكرنا الصواب.

(٣) هذا تسامح كبير فإنه لا عمل للسان في الميم والباء والفاء فهن شفهيات، ولكنهن حملن على اللام والراء والنون. والتحرير المفصّل أن الراء والنون حملتا على اللام في صفة الذلاقة، ثم حملت الثلاثة الشفهية على مجموعة اللام، لاشتراك الستة في الخفة.

(٤) ينظر شرح الرضي شافيه ابن الحاجب ٢٦٢/٣ .

(٥) سر صناعة الإعراب ٧٥/١ .

صفات خاصة

الصفير

وهو المُكَاء (= ما يُسمع عند نفاذ الهواء بقوة من منفذ دقيق). وهو ما يميز الصاد والزاى والسين عند خروجهن. وسببه انحصار النفَس عند خروجهن بين طرف اللسان وصفحتى الثنايا العليا فيصفر في خروجه بسبب ضيق منفذه.

الانحراف:

يؤخذ من كلام سيبويه أن صفة الانحراف تعنى:

أ - انحراف اللسان بمعنى تجافي جانبيه (دون طرفه) من أجل خروج الصوت.

ب - خروج (صوت) الحرف (أي تكونه بالمرور) من جانبي اللسان اللذين، تجافيا.

ولم يصف سيبويه بصفة الانحراف هذه صراحة إلا اللام، وهي التي تحقق فيها الأمران اللذان ذكرناهما[1] وكذلك خص المبرد اللام بهذه الصفة[2]. وهذا هو الذي نأخذ به من حيث تعريفُ الانحراف، والحرف الموصوف به.

ثم إن سيبويه قال عن الراء إنها «حرف ... يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام..»[3] وقال عنها مرة أخرى «لأن فيها انحرافا نحو اللام قليلا»[4] وهذا قد يؤخذ منه أن سيبويه يرى أن الراء أيضا منحرفة. وبهذا قال المتأخرون[5].

---

(١) نص كلام سيبويه هنا «ومنها (أي الحروف) المنحرف، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافي عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك». الكتاب ٤/٤٣٥ .

(٢) المقتضب ط٣، جـ١/٣٤٨ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٥ .

(٤) نفسه ٤/٤٥٢ والنص «فيهما» وهو تحريف طباعي لأن الضمير للراء وحدها.

(٥) ينظر نهاية القول المفيد للعلامة محمد مكي نصر ٥٦ - ٥٧ .

وجاء في العين نسبة هذه الصفة إلى اللام والراء والنون معا[1].

ونحن نقول إن وصف الراء والنون بصفة الانحراف ليس صحيحًا، لأن صوت الراء لا يخرج من جانبي اللسان كاللام، وإنما هو يمر من فوق ظهر اللسان عند تجافي طرف اللسان عن الحنك بين لَمَساته أو طَرقَاته المتوالية للحنك - وهي اللَّمَسات التي تصنع صفة التكرار في الراء. وكذا صوت النون لا يخرج من جانبي اللسان وإنما من الأنف. وهذا يثبته الذوق، وبعض كلام سيبويه نفسه أيضا:

فقد قال عن مخرج النون «ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون»[2] وهو هنا يتحدث عن وضع اللسان في الحنك باعتداده المخرج - على ما هو منهجه - بما خلاصته أن ظهر[3] طَرَف اللسان يكون حين إخراج النون ملتصقا بالحنك الأعلى في نقطة ما فُويق الثنايا. أما خروج صوتها من الأنف فقد ذكره صريحا في موضع آخر، وأضاف «فإنما تُخرجه من أنفك واللسانُ لازم لموضع الحرف»[4] فليس هنا انحراف للسان ولا للصوت، إذ لم يذكر أحد أن خروج صوت النون والميم من الأنف - لا الفم - انحراف.

وقال عن مخرج الراء «ومن مخرج النون غير أنه أَدخَلُ في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»[5] ويقول في وصفه لهيئة حدوث التكرير في الراء «فتجافَي للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه»[6] فتجافي طرف اللسان مرات هو الذي يمرِّر صوتها.

---

(١) ينظر العين (المخزومي) ١/٥٢ فقد قال عن حروف اللسان «... ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون».

(٢) نقلت كلام سيبويه عن مخرج النون من سر صناعة الإعراب لابن جني (تحقيق: السقا وزملائه) ١/ ٥٢ لأنه نقل المخارج عن سيبويه، ولأن نشرة العلامة هارون من كتاب سيبويه تداخل فيها الكلام عن مخرج اللام والنون بعضه في بعض سهوًا من الطابع.

(٣) هذا لازم لأن الذي يلي الحنك هو ظهر اللسان لا باطنه. ولم يقل أحد - ولا يقال - إن الذي يُعْتَمَد به من اللسان على الحنك في نطق النون هو باطن طَرَفه.

(٤) الكتاب ٤/٤٣٥ . (٥) نفسه ٤/٤٣٣ .

(٦) نفسه ٤/٤٣٥ . وكلمة تجافي أصلها تتجافى.

ومعنى التجافي هنا مفارقةُ ظهر اللسان لنقطة تماسه مع الحنك، ثم إنه يعود إلى المماسة فالمفارقة... وبهذه المفارقة المتكررة يمر نفَس الراء وصوتها من فوق ظهر اللسان متقطعين. فالكلام عن انحراف الراء بعد ذلك كله غير دقيق. حتى لو كان لسيبويه. فاللام هي الحرف المنحرف الأشهر. ثم إن الضاد الفصحى تشارك اللام في هذه الصفة. بل إن الضاد أمكن من اللام فيها، لأن صوت اللام يمر بحافتي اللسان عند مقدمه فحسب، أما صوت الضاد فإنه يمر بحافتي اللسان أي جانبيه من أولهما عند أقصى اللسان إلى قرب طرَفه. فالضاد الفصحى تتحقق فيها صفة الانحراف تمامًا. هذا، وما ذكرته عن أن اللام هي المنحرفة (دون الراء والنون) سبق به ابن الحاجب ونسب إلى أكثر المصنفين والقراء[1]، وأرى أن عدم ذكر المتقدمين انحراف الضاد إنما هو لغموض أمرها.

بقيت نقطة أخيرة هنا، وهي أن الأوربيين نظروا إلى المرحلة الأخيرة من مسار اللام وهي مرور صوتها من جانبي اللسان، فوصفوها بأنها جانبيه Lateral . فإذا طبقنا تسميتهم صار عندنا حرفان جانبيان: أحدهما احتكاكي Fricative أي يمر هواؤه من مخرجه باحتكاك محسوس وهو الضاد، والآخر غير احتكاكي non-fricative وهو اللام.

التكرير:

هو إعادة الشيء مرة أو أكثر. والمراد به هنا ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالراء بحيث يلمس أعلى اللثة لمسات متوالية، وهو صفة لازمة لها - ولكن ينبغي التحرز من المبالغة فيها وبخاصة عندما تكون مشددة. وتأويل التكرير بأن المقصود به منع التكرير= باطل مركب[1].

التفشي:

وهو الانتشار والانبثاث. والمراد هنا انتشار خروج هواء النفس - في نطق الشين - بين اللسان والحنك بسبب انبساط مقدم اللسان عند النطق بهذا الحرف. وقد نسبت صفة التفشي إلى حروف أخرى أيضا.

الاستطالة:

والمقصود هنا امتداد صوت الضاد معها من أول حافة اللسان إلى آخرها. وقد وصف سيبويه الشين أيضا بالاستطالة.

---

(١) ينظر ص ١٠٨ - ١٠٩ هنا، و(تحقيقات في التلقي والأداء)، د. محمد حسن جبل ٣٦ - ٣٧ .

الخفاء:

والمراد به خفاء صوت الهاء، ووصف به قدماء اللغويين العرب حروف المد أيضا. أما خفاء الهاء فلاجتماع صفات الضعف فيها. فهي مهموسة ورخوة مهتوتة - ولا يتيسر مد صوتها، وذلك لشدة اتساع ما بين الأوتار عند النطق بها - فيتدفق النفس عند إخراجها ولا يكون في طريقه مَضِيق يحتكّ به احتكاكا يُسمَع له حفيف. ومن هنا فهي خَفية لفقدها الزمير والحفيف كليهما.

وقد قال عنها الخليل مرة «إنها مهموسة خفية لا صوت لها»، وقال مرة أخرى «إنما هي نَفَس لا اعتياص فيها[1]»، وذكر سيبويه ما فيها من الضعف والخفاء.

ونضيف هنا أن الحاء تلي الهاء في صفة الخفاء. وأما خفاء حروف المد فهو وصف لها جاء في كلام القدماء نوجّهه نحن باحتمال أنهم يقصدون به أن كلا منها صوت ممتد أملس ليس فيه ثنية حادة تكسبه ملمحا يميزه كسائر الحروف الأبجدية. فهي حروف جوفية وهوائية يجري صوتُها بعد خروجه من الحنجرة (وهي رأس الرئة التي في الجوف) - في هواء جهاز النطق ليس لها حيز يضغط صوتها ضغطة تشكله وتميزه عن غيره. لكن التعبير عن هذا بالخفاء تعبير غير موفّق بالمرة، لأن حروف المد مجهورة ورخوة، وهي حروف التصويت أي رفع الصوت وهم يعلمون هذا. فقد ذكره سيبويه[2]، وسماها المبرد الحروف المصوتة[3]. فكان عليهم أن يعبروا عما قصدوا بوصفها بالملاسة أو الطلاقة أو غيرها - لا بالخفاء الذي يوهم مضادة خصيصتها الأساسية وهي التصويت أي ارتفاع الصوت.

---

(١) ينظر العين (تحقيق: المخزومي..) ١/٥٤ .

(٢) ذكر سيبويه في الكتاب (٤/١٦٥ - ١٦٦) أن العرب يأتون في النداء بالألف وفي الندبة بالألف والياء والواو لأنه موضع تصويت وتبيين، فأرادوا أن يمدوا فألزموها الهاء في الوقف لذلك (يعني هاء السكت). وذلك قولك يا غلاماه، ورازيداه، وواغلامهوه، وواذهاب غلامهيه». أي أن هاء الوقف يؤتى بها بعد حروف المد لتتمكن من أداء خصيصتها التي يقتضيها مقام النداء والندبة وهي التصويت.

(٣) في المقتضب للمبرد، ط٣، جـ١/١٩٩ وصف حروف المد واللين: الألف والواو والياء بأنها المصوتة.

الأصوات اللغوية غير العربية ومخارجها وصفاتها

بعد أن عرفنا أن بين اللغات المختلفة قدرا عظيما من الاشتراك في الأصوات التي تستعملها، وأن جُلَّ الأصوات اللغوية العربية مستعملة أيضا في اللغات الأوربية - وسائر اللغات الأخرى، يحسن بنا ÷ نحن المتخصصين - أن نكون دائما على بينة من دراسات الغربيين وبخاصة أحكامُهم عن الحروف المشتركة بيننا وبينهم، فهذا حق العلم علينا.

ونظرة إلى المصفوفة (الجدول) التي عَرَضت فيها موسوعة تشمبرز الأصوات العالمية تبين التقارُب في تحديد المخارج، وفي الصفات، وإن كان هناك شيء من الاختلاف في النظرة وفي المصطلحات.

ففي تحديد المخارج نلحظ أنهم نظروا إلى الحنك أي سقف الفم ونسبوا الحروف الحنكية اللسانية - التي تخرج من التقاء اللسان بالحنك أو اقترابه منه - إلى الحنك وحده، ولم يبرزوا بالقدر ذاته دَور اللسان في تكوين الصوت - كما فعل علماء العرب.

وفي الصفات نلحظ أنهم عبّروا عن صفة الشدة بالانفجار وسموا الحرف الشديد انفجاريا Plosive ناظرين إلى انفجار الهواء بعد أن يحتبس عند إسكان أي حرف من الحروف الشديدة، كما أنهم عبروا عن الرخاوة بالاحتكاك friction قاصدين أن الحرف الرخو يحتك نفَسه بالمَضيق الذي يخرج منه.

وأنهم لحظوا الصفات الخاصة لبعض الأحرف والتي لحظناها نحن أيضا كالارتعاد في الراء، والانحراف في اللام ولكن عبروا بأنها جانبية أي من جانب اللسان لاظهره. هذا، وأما صفتا الجهر والهمس فمع أنهما لم يُذكرا في المصفوفة فإنهم عرَفوهما والتقوا فيهما مع الدراسات العربية فسموا المجهور voiced أي مصوت، والمهموس غير مصوت.

وبالنسبة للأصوات ذاتها نلحظ كثرة الأصوات المشتركة بين العربية وغيرها ب ت ج د ر ز س ف ق ك ل م ن هـ و ى والحركات الطويلة والقصيرة. (٢١ حرفا من ٣٤

حرفا عربيًا - هذا بخلاف ما له في الإنجليزية مثلاً رمزان معًا كالثاء والذال والشين والغين، وبخلاف ما ليس له فيها رمز خاص لكنه ينطق وهو الهمزة، وبخلاف الحروف الموجودة في المصفوفة ولها نظائر عربية فرعية كالجيم القاهرية G، والشامية j والصاد التي كالزاي وغيرهن).

كما نلحظ تكرر بعض الرموز في أنهار المخارج مثل C Z M N V R وغيرها. وإنما ذلك لأن هذه الأصوات تنطق عند كثير من الشعوب لكن بمخارج منحرفة وصفات مختلفة إلى حدٍّ ما عنها في نطق شعوب أخرى.

ونلحظ أيضا خلو نهر الأصوات الحلقية pharyngal من أي رمز أوربي، وذلك لخلو اللغات الغربية من الحروف الحلقية. (وقد ذكرنا ذلك من قبل).

وبالمقارنة التفصيلية والفاحصة يتضح أن التحديدات العربية أكثر دقة، إذ لم تُغفلَ في تحديد المخارج في الحروف الحنكية اللسانية - مثلا - دَور اللسان ولا غيره في أداء أيّ منها، وليس اللسان بأقل خطرا من الحنك في إخراج هذه الأصوات، كما أن الصفات العربية أكثر تفصيلا ودقة... ومن هنا فنحن نفضل التقسيم العربي، والاصطلاحات[1] العربية في تحديد المخارج والصفات.

---

(١) انظر ما سبق أن تناولناه في وقفة مع المصطلحات ص٤٩هـ وانظر أيضًا المعالجة التفصيلية لكل من الحروف الأبجدية في ما يأتي حيث نعرض عادة لما قرره الأوروبيون عن مخارج الحروف المشتركة بين العربية والأوربيات.

		Bi-labial	Labio-dental	Dental and Alveolar	Retroflex	Palato-alveolar	Alveolo-palatal	Palatal	Velar	Uvular	Pharyngal	Glottal
CONSONANTS	Plosive	p b		t d	ʈ ɖ			c ɟ	k g	q ɢ		ʔ
	Nasal	m	ɱ	n	ɳ			ɲ	ŋ	ɴ		
	Lateral Fricative			ɬ ɮ								
	Lateral Non-fricative			l	ɭ			ʎ				
	Rolled			r						ʀ		
	Flapped			ɾ	ɽ					ʀ		
	Fricative	ɸ β	f v	θ ð | s z | ɹ	ʂ ʐ	ʃ ʒ	ɕ ʑ	ç ʝ	x ɣ	χ ʁ	ħ ʕ	h ɦ
	Frictionless Continuants and Semi-vowels	w | ɥ	ʋ	ɹ				j (ɥ)	(w)	ʁ		
VOWELS								Front Central	Back			
	Close	(y ʉ u)						i y ɨ ʉ	ɯ u			
	Half-close	(ø o)						e ø ɘ	ɤ o			
	Half-open	(œ ɔ)						ɛ œ æ ə	ʌ ɔ ɐ			
	Open	(ɒ)						a	ɑ ɒ			

OTHER SOUNDS.—Palatalized consonants: ƫ, ȡ, etc.; palatalized ʃ, ʒ: ʆ, ʓ. Velarized or pharyngalized consonants: ɫ, ᵭ, ᵴ, etc. Ejective consonants (with simultaneous glottal stop): pʼ, tʼ, etc. Implosive voiced consonants: ɓ, ɗ, etc. ɼ fricative trill. σ, ƍ (labialized θ, ð, or s, z). ʃ, ʒ (labialized ʃ, ʒ). ʇ, ʖ, ʗ (clicks, Zulu c, q, x). ɺ (a sound between r and l). ɴ Japanese syllabic nasal. ɧ (combination of x and ʃ). ʍ (voiceless w). ɪ, ʏ, ʊ (lowered varieties of i, y, u). ɜ (a variety of ə). ɵ (a vowel between ø and o).

Affricates are normally represented by groups of two consonants (ts, tʃ, dʒ, etc.), but, when necessary, ligatures are used (ʦ, ʧ, ʤ, etc.), or the marks ͡ or ͜ (t͡s or t͜s, etc.). ͡ ͜ also denote synchronic articulation (m͡ŋ = simultaneous m and ŋ). c, ɟ may occasionally be used in place of tʃ, dʒ, and ʦ, ʣ for ts, dz. Aspirated plosives: ph, th, etc. r-coloured vowels: eɹ, aɹ, ɔɹ, etc., or eʴ, aʴ, ɔʴ, etc., or ɝ, ɚ, etc.; r-coloured ə: əɹ or əʴ or ɹ or ɚ, or ɝ.

LENGTH, STRESS, PITCH.—ː (full length). ˑ (half length). ˈ (stress, placed at beginning of the stressed syllable). ˌ (secondary stress). ¯ (high level pitch); ˍ (low level); ˊ (high rising); ˏ (low rising); ˋ (high falling); ˎ (low falling); ˆ (rise-fall); ˇ (fall-rise).

MODIFIERS.—˜ nasality. ˳ breath (l̥ = breathed l). ˬ voice (s̬ = z). ʻ slight aspiration following p, t, etc. ̫ labialization (n̫ = labialized n). ̪ dental articulation (t̪ = dental t). ̡ palatalization (z̡ = ʑ). ̣ specially close vowel (ẹ = a very close e). ̨ specially open vowel (ę = a rather open e). ˔ tongue raised (e˔ or ẹ = ẹ). ˕ tongue lowered (e˕ or ę = ę). ˖ tongue advanced (u˖ or u̟ = an advanced u, t̟ = t̪). ˗ or ˉ tongue retracted (i˗ or i̠ = ɨ, t̠ = alveolar t). ˒ lips more rounded. ˓ lips more spread. Central vowels: ï (= ɨ), ü (= ʉ), ë (= ə), ö (= ɵ), ɛ̈, ɔ̈. ̩ (e.g. n̩) syllabic consonant. ̯ consonantal vowel. ʃʲ variety of ʃ resembling s, etc.

FIG. 20.—THE INTERNATIONAL PHONETIC ALPHABET, REVISED TO 1951

ما يقابل الأبجدية العربية من الرموز الصوتية الدولية

الحرف	الرمز	مثال	الحرف	الرمز	مثال
- الهمزة المحققة سأل	?		ع - العين	ʕ	
ب - الباء	b		غ - الغين	ɣ	
ت - التاء	t		ف - الفاء	F	
ث - الثاء	θ	thank	ق - القاف	q	
جـ - الجيم المعطشة	dʒ	jam, edge	ل - اللام المرققة	l	
جـ - الجيم القاهرية	g	gap	ل - اللام المفخمة	l	
جـ الجيم الشامية الرخوة	ʒ	garage	م - الميم	m	
حـ - الحاء	h		ن - النون	n	
خـ - الخاء	x		هـ - الهاء	h	
د - الدال	d		و - الواو الصامتة	w	
ذ - الذال	ð	that	ي - الياء الصامتة	j	yet, onion
ر - الراء العربية	r		فتحة رقيقة قصيرة	ə	gather
بالنطق الفرنسي "نحو" (لهوية)	R		فتحة مفخمة (طلع)	ʌ	duck, come
ز - الزاى	z		ألف مد مرققة كاتب	a	bat
س - السين	s		ألف مد مفخمة طالب	a:	far
ش - الشين	ʃ	shark	كسرة . من	i	women
ص	ṣ		ياء مد	i:	sheep
ض = الضاد المصرية (دال مفخمة)	ḍ		ضمة (حادة) قُل / يُقبل	u	book, could
ط = الطاء المصرية (تاء مفخمة)	ṭ		واو مد حادة مرققة	u:	rule, who
ظ = بالنطق العامي (ز	z		ضمة مفخمة	ɔ	cock
مفخمة = ص مجهورة	ʒ̣		واو مد مفخمة	ɔ:	lown, cought

تفصيل الكلام في الحروف

الحروف المزمارية

الهمزة:[1]

تخرج الهمزة من فتحة المزمار نفسها بعصر زمير الأوتار لحظة اتجاهها للالتقاء وإغلاق تلك الفتحة، أو لحظة افتراقها بعد أن كانت مغلقة.

والهمزة مجهورة وشديدة.

ولكل من هذه الأمور (= مخرجها، وهيئة خروجها المميزة لصوتها، واتصافها بالجهر، والشدة) حديث.

فأما عن **مخرجها** فقد قلنا إنه فتحة المزمار. وقد عرفنا أن المزمار هو الفتحة التي بين الوترين الصوتيين اللذين هما حافتا الغشاءين الصوتيين. وهذه الفتحة هي التي يتولد منها زميرُ الجهر بارتعاد وَتَرَيْها إذا كانا جِدَّ متقاربين ومرّ هواءُ النفَس من بينهما باندفاع قوي.

وأما عن **هيئة خروجها** وتميز صوتها فإنها تخرج بعصر الزمير (أي ضغطه) عصرا مرتبطًا بإغلاق فتحة المزمار – أي قبيل إغلاقها مباشرة، أو لحظة انفتاحها بعد إغلاق؛ إذ لا يتم صوت الهمزة ولا يتميز إلا بأربعة أمور:

أ – وجود زمير. ب – عصر ذلك الزمير أي ضغطه.

جـ – كون ذلك الزمير المعصور سابقًا أو تاليا لإغلاق فتحة المزمار سبقا أو تُلُوًّا مباشرًا، بأن يقع العصر السابق للإغلاق **لحظة** اتجاه الفتحة، وهي زامرة، إلى الانغلاق فالهمزة تتمثل في عصرة الزمير المؤدية إلى انغلاق الوترين، أو بأن يقع العصر التالي للانغلاق على **بداية** الزمير الصادر مع انفجار النفس من الفتحة حين تفتح بعد الانغلاق. فالهمزة تتمثل هنا في عصرة الزمير **لحظة صدوره**.

---

(١) كل كلامي هنا عن الهمزة اجتهاد مبني على الخبرة.

د - والأمر الرابع المميز لصوت الهمزة هو قِصَره. وذلك القِصَر لازم للعصر المكوّن للهمزة، لأنه إما عصر ينقطع به الزمير - أي هو يؤدي إلى انغلاق فتحة المزمار وإيقاف الزمير - فاللحظة الأخيرة من الزمير في هذه الحالة هي الهمزة - والزمير الممتد قبل هذه اللحظة هو زمير جهر حركة سابقة للهمزة، أو زمير حرف مجهور سابق للهمزة، وإما عصر يبدأ به الزمير مع انفجار النفس لحظة الانفتاح فاللحظة الأولى من الزمير في هذه الحالة هي الهمزة، وأي امتداد له بعد لحظة بدئه هو حركة تالية للهمزة.

وهذا القصر ملحظ خاص بالهمزة، لأن الاستمرار في هيئة إخراج الحرف الرخو - مع استمرار دفع النفس - ممكن، وبه يستمر صدور صوته أو نفَسه بقدر استمرار النفس (إز ز ز ز ... إلخ)، (إس س س...) والاستمرار في هيئة صدور الحرف الشديد ممكن بقدر تحمل حبس النفَس، ولكن لا يستمر صدور صوته (إق....) ولا نفَسه (إتْ...) - بل يكون هناك صمت كامل يستمر مع احتباس النفس. والهمز الصادر بعصر مؤدٍّ إلى انغلاق فتحة المزمار شأنُه شأنُ الحرف الشديد يأتي بصمت ممتد فحسب. والاستمرار في هيئة صدورها حالة وقوعها مع انفجار النفس (أي وقوع عصر زميرها بعد إغلاق) يولد زميرًا ممتدًا لا يكون همزة بل يكون حركة قصيرة أو طويلة تالية لها، والحركة صوت مختلف عن صوت الهمزة. فالاستمرار على هيئة نطق الهمزة حينئذ يأتي بحرف مختلف.

ويتضح مما ذكرناه في (ج) و(ب) أن الهمزة لا بد أن ينقطع اتصال زميرها بما يجاوره من أحد الطرفين - طرف بدء الزمير أو طرف نهاية الزمير - فقط، أي لا يكون الانقطاع من الطرفين جميعًا. وهذا الانقطاع سببه إغلاق فتحة المزمار بالتقاء الوترين الصوتيين إما بعد أداء صوت الهمزة، وإما قبل بدء صوت الهمزة على ما ذكرنا الآن.

ولكل من حالتي تكوّن الهمزة (حالة عصر الزمير عصرًا يؤدي إلى إغلاق الأوتار، وحالة عصر الزمير المنفجر مع النفَس بعد أن كانت الأوتار مغلقة =) مواطنُ يقع فيها.

فالهمزة التي تتكون بعصر الزمير المنفجر مع النفَس هي:

أ - الهمزة المتحركة مطلقا مثل أخذ وسأل ومسألة ويؤم ومسئولْ ومطمئِنّ.

ب- كذلك الهمزة الساكنة للوقف إذا كانت مسبوقة بهمس مثل: دِفْء، نَشْء، نَسْء، وهذا أخذا بكلام الإمام مكى بن أبي طالب (٤٣٧هـ) بضرورة إظهارها حينئذ[١].

والهمزة التي تتكون بعصر مؤد إلى إغلاق الأوتار هي:

أ- الهمزة الساكنة لغير الوقف مثل الهمزة في كلمات رأْس، وبئْر، وسؤْل.

ب- كذلك الهمزة الساكنة للوقف إذا كانت مسبوقة بجهر حركة قصيرة كالملأْ، أو طويلة كالسماءْ، أو صامت مجهور كالمرْءْ. وهذا الذي ذكرناه في (ب) هذه ترجيحٌ أساسه أن الهمزة تكون متميزة عند الوقف عليها هنا. لكن كلام الإمام مكي بن أبي طالب يصدق على هذا كما يصدق على ما جاء في (ب) في الفقرة السابقة[٢].

صفات الهمزة:

أما عن اتصاف الهمزة **بالجهر** فواضح مما سبق أنها قطعة جهر، حيث إن جسمها أو حقيقتها أنها زمير معصور قصير، والزمير هو عين الجهر. فالهمزة مجهورة.

وما احتجت به دراسات الغربيين من أن الهمزة تحدث بإغلاق الوترين الصوتيين، ولا زمير معها حينئذ، فإما أن توصف بأنها مهموسة وإما أن توصف بأنها لا مجهورة ولا مهموسة = هذه (الحجة) غير مقبولة، لأن الهمزة لا تتكون بنفْس حالة انغلاق الأوتار بل تخرج بعصر زمير سابق للانغلاق أو مسبوق به - كما قلنا. **أي أن حالة كون الوترين مغلقين ليست هي الهمزة ولا هي هيئة خروج الهمزة، بل ولا هيئة خروج أي صوت آخر.**

وأما عن اتصافها **بالشدة** فإن ارتباط خروج الهمزة المحققة (وهي الأصل) بإغلاق فتحة المزمار إغلاقا يمنع النفس منعًا تامًا قبل نطقها أو بعده، بحيث لا تُنْطَق بغير مقارنة ذلك الإغلاق = ذلك يجعلنا نطمئن إلى وصفها بالشدة لأن الشدة **لازمة** لإخراجها. أما الهمزة المخففة بالتسهيل بين بين والهمزة المبدلة حرف مد فكل منهما رخوة، لأن زميرها يخرج والأوتار بينها فتحة ضيقة، لا يُسْبَقَ زميرها ولا يُلْحَق بإغلاق الأوتار

---

(١) ينظر كتابه «الرعاية» ص١٥٠ - ١٥١ .

(٢) ينظر الموضع السابق.

الصوتية فنفَسُها لا يقترن بحبس، فهيْ رخوة. ولا يخفي أن الهمزتين (بين بين والمبدلة) تفقدان أيضا خصيصة أخرى من خصائص الهمزة المحققة - بجانب فقدهما صفة الشدة، هي خصيصة انقطاع زمير الهمزة من أحد طرَفيه عما يليه. فالهمزة المسهلة بين بين والمبدلة يتصل زميرهما بزمير ما يسبقهما ويلحقهما ما دام ليس هناك ما يفصلهما عنه. لكن همزة بين بين تظل موجودة ومتميزة عن الزمير السابق واللاحق بدرجة من العَصْر أقل من عَصْر المحققة وذلك عند بداية أدائها. وبهذه الدرجة من العصر يتميز زميرها عن زمير الحركة، وبعض المؤدين لها لا يحسن تلك الدرجة من العصر فيؤديها كالهاء - وهذا غلط، لكنه يُثبت وجودها وتميزها. أما المبدلة فيحلُّ بدلُها محلها، والمحذوفة لا يحل محلها شيء.

★★★

وبما سبق يتبين أن القول بأن دونَ جَهْرِ الهمزة استحالةً مادية هو استنتاج مبني على التسليم بادعاء الأوربيين أن الهمزة تخرج بالتقاء الوترين الصوتيين - أي بتمام الالتقاء لا قبله ولا بعده. وقد قلنا إنه في أثناء حالة تمام الالتقاء هذه لا تخرج همزة ولاغير همزة. وقلنا إن الهمزة عصرة لزمير سابق لالتقاء الأوتار وانغلاق فتحة المزمار، أو مصاحب لانفجار النفس بعد الانغلاق. فالهمزة جسمها وحقيقتها زمير (أي جهر) معصور قصير.

★★★

وكذلك يتبين أن القول بأن همزة بين بين لا وجود لها، وإنما الموجود حركتها هو قول غير دقيق، بعضه مبني على التسليم بكلام الأوربيين السابق وكلامهم غير صحيح. فهمزة بين بين تتميز عن حركتها بغمز الزمير، غمزة أخف من غمزة المحققة (ولذا لا تؤدي إلى انغلاق فتحة المزمار، ولا تُسْبَق بانغلاق) فهي زمير مغموز يتصل به زمير الحركة السابقة أو التالية له، وزمير الحركة سَلِس غير مغموز.

الألف = ألف المد

بعد أن فرغنا من الكلام عن الهمزة ننتقل إلى الكلام عن الألف.

والمقصود هنا ألف المد التي نسمعها في مثل قام ودعا وسعى.

الألف زمير ممتد يخرج بارتعاد وَتَرَىْ فتحة المزمار حين اندفاع الهواء من بينهما وهما جدُّ متقاربين - دون تدخل من اللسان أو الشفتين في أثناء ذلك الزمير. فألف المد أخت الهمزة تخرج من الوترين الصوتيين في الحنجرة، وكلاهما حقيقته زمير. لكن بينهما فروقا:

أ - فالهمزة زمير معصور والألف مجرد زمير سلس أي غير معصور.

ب - وزمير الهمزة المعصورة جِدُّ قصير لا يمتد زمنه إلا بقدر امتداد زمن أي حرف صحيح (نحو ٠,٠٣ إلى ٠,٠٥ من الثانية) في حين أن زمير الألف يمتد بمقدار امتداد حركتين على الأقل (أي ٠,٣٢ من الثانية)[1] وقد يزيد إلى مقدار ست حركات أو أكثر من ذلك كما سيأتي.

جـ - الهمزة صدور زميرها له هيئتان: فقد تكون بعصر الزمير المنفجر مع الهواء من فتحة المزمار بعد أن كانت مغلقة، وقد تكون بعصر الزمير عصرًا مؤديا إلى انغلاق فتحة المزمار. فهي مرتبطة بإغلاق فتحة المزمار قبلها أو بعدها، وقد مرّ كل ذلك، في حين أن ألف المد زمير مطلق غير مقيد بهيئة معينة له أو لما قبله أو بعده: فقد تبدأ ألف المد بعد انفتاح واسع للوترين، كما إذا كان قبلها حرف مهموس مثل يشتاق، أو انفتاح ضيق زامر - كما إذا كان قبلها حرف مجهور فيتصل زميرها بزميره مثل يُباع ويُراد، أو يكون زميرها امتدادا لزمير الهمزة مثل آمن، وقد يتلوها انفتاح واسع للوترين لأن ما بعدها مهموس مثل صافوا إخوانكم، أو انفتاح ضيق زامر كما إذا كان بعدها حرف مجهور مثل صاموا.

---

(١) تحديد طول المدّ حسب نتائج بحث علمي بمجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد ١٥ .

د - الهمزة مقيدة بانقطاع يميّز إما بدْءَ صوتها - وهي المتحركة، كما في نطق كلمة مسألة، وإما انتهاءه - وهي الساكنة مثل «سُؤْل». وقد سبق ذلك، والألف لا تتقيد بذلك - وهذا وذاك يؤخذان مما في (ج) وبهذا الانقطاع يتميز صوت الهمزة عما قد يسبقها أو يلحقها من زمير.

هـ - والهمزة تقع في كل المواقع أول الكلمة مثل «أخذ»، ووسطها مثل «سأل»، وآخرها مثل «ملأ». والألف لا تقع في أول الكلمة أبدًا (همزة الوصل ليست ألفا إلا في الرسم. وهي في الصوت همزة فقط إن وقعت موقعا تنطق فيه) فالألف تقع وسطا مثل صام وآخرًا مثل زكا ورمى.

وجدير بالذكر هنا أن حقيقة حرفي المد الآخرين (واو المد وياء المد) وهي كحقيقة ألف المد: زمير ممدود. لكن ألف المد تميزت بأنها تخرج دون أن يتدخل اللسان أو الشفتان في صوتها. فاللسان يكون عند نطق الألف راقدًا في مهده بين الفكين السفليين دون ارتفاع يُذْكَر عن وضعه المعتاد، والشفتان تكونان في الوضع المعتاد المحايد. وقد نوّه سيبويه بذلك في كلامه عن الاختلاف بين الواو والياء من ناحية والألف من ناحية أخرى بسبب خفة الألف فقال «وإنما خَفَّت الألف هذه الخفة لأنه ليس منها علاج (= جهد) على اللسان والشفة، ولا تُحرّك أبدًا. فإنما هي بمنزلة النفَس»[1].

لكن للسان والشفتين شأنًا آخر عند نطق الواو والياء المدّيتين. فعند نطق الواو يرتفع أقصى اللسان وتستدير الشفتان استدارة تامة، وعند نطق الياء يرتفع مقدم اللسان وتنفرج الشفتان انفراجًا تامًا. واستدارة الشفتين مع نطق الواو أقوى وأظهر وارتفاع مقدم اللسان مع نطق الياء أقوى وأظهر أيضًا. ومن هنا صح أن يُنْسَب كلٌّ من حروف المد إلى أظهرِ ما يميزه: فالألف نُسبت إلى مصدر زميرها لأنه أَبرزُ ملامحِها ولعدم تدخل أي عضو آخر في خروجها، والياء نسبت إلى وسط مقدم اللسان، لأن ارتفاعَه أظهرُ ما يَصْحبُ نطقها، والواو نُسبت إلى الشفتين لأن استدارتهما أظهر ما يصحب نطقها. وهذا منهج

---

(١) الكتاب (٣٣٥/٤ - ٣٣٦).

عربي صحيح. وقد صرّح سيبويه بالمُمَحيْن فقال: «لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قِبَل الحنك»[1].

وخلاصة ما نريد أن نختم به الكلام في عزو الواو والياء إلى غير مخرج أختهما الألف هو أن وضع سيبويه ألف المد مع الهمزة والهاء في مخرج واحد هو الدقيق تمامًا. كما أن وضعه الياء مع حروف وسط مقدم اللسان والواو مع حروف الشفتين منهج عربي صحيح، ولا ينافي جَمْعَ الأحرف الثلاثة عند الكلام عن المدّ أو عن الحركات الطويلة. لأن ثلاثتها تشترك في هذه الخَصِيصة. كذلك لا ينافي جمعَها مع الهمزة عند الكلام عن انقلاب أحدها إلى آخر، لتماثلها في المادة المكونة لحقيقة كل منها وهي الزمير الصادر بارتعاد الأوتار الصوتية - بالإضافة إلى ما يكُون بينها من تقارب أو تشابه في أمور أخرى.

الهاء:

تخرج الهاء بانفراج الأوتار الصوتية انفراجًا كبيرًا أمام الهواء المندفع من الرئة لأدائها، مع عدم تضايق أية نقطة في مجرى ذلك الهواء في الجهاز الصوتي حتى يخرج. بل ثبت بالملاحظة أن الحنك الرخو عند اللهاة وفوقها يتراجع إلى الخلف وإلى أعلى عند نطق الهاء تراجعًا قويًا واضحًا للحظة وجيزة، وذلك يساعد على إفراغ نفَس الهاء بسرعة ويسر. ولهذا يمكن القول بأنّ أعلى الحلق يشترك جزئيًا في نطق الهاء. وهذا الاشتراك يوجّه تأخير ترتيبها عن مخرج الهمزة والألف. ولكن نظرًا إلى أن انفراج وتَرِيْ الحنجرة أمام هواء الهاء هو العامل المهم في تكوين صوتها - فإنها تعد حنجرية، وتقابل الهمزة التي يتكون صوتها مشتلزمًا التقاء تلك الأوتار قبيل نطقها أو بعيده. وقد أسلفنا أن قدماء اللغويين العرب قرروا أن الهاء مع الهمزة والألف «من أقصى الحلق»[2] والبحث يثبت أن أقصى الحلق يتّحد عندهم مع موضع «صوت الصدر» أي موضع صدور زمير الجهر،

---

(١) السابق ٤/٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) ينظر المزهر (تحقيق: جاد المولى ورفاقه) ١/٩٠ والكتاب ٤/١٠٢ ، ٤٣١، وسر صناعة الإعراب (د.هنداوي) ١/٤٦ .

وهو فتحة المزمار في الحنجرة. أي أنه يمكننا أن نقول إنها عند قدماء اللغويين العرب أيضًا حنجرية. وقد صرح بذلك ابن سينا حيث قال - بعد أن ذكر حدوث الهمزة من حصْر الغضاريف الهرمية (في الحنجرة) للهواء الذي يحفِزه الصدر «وأما الهاء فإنها تحدث من مثل ذلك الحفْز في الكمّ والكيف، إلا أن الحبس لا يكون حبسًا تامًا، بل تفعله حافات المخرج (يعني فتحة المزمار)، وتكون السبيل مفتوحة، والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلى الوَسَطَ»[1].

هذا، وقد وضعت موسوعتا المعارف: البريطانية وتشمبرز الصوت اللغوي (h) - المماثل للهاء العربية - في نهر الحروف المزمارية (الحنجرية) glottal[2].

ويندفع نَفَسها من الرئة حتى الأوتار التي تنفرج فلا تهتز فلا يصدر زمير، واهتزاز عمود الهواء في الحنجرة والحلق في نطقها ضعيف، وهذا هو سرّ خفاء (جَرْسها). ويبرز جَرْس الهاء بمساعدة الاختلاف بينه وبين ما يسبقه وما يليه من الحروف.

وقد وصف الخليل الهاء بأنها «نَفَس لا اعتياص فيها» وبأنها «خفية لا صوت لها» ووصفها سيبويه بأنها حرف مهتوت لما فيها من الضعف والخفاء»[3] والهت الصب بضغط وقوة. ذلك أن النفَس يتدفق في خروج الهاء بقوة وانصباب فلا يُستطاع الاستمرار طويلاً في نطقها ساكنة. والسر في ذلك هو سعة انفراج الأوتار أمام نَفَسها، وامتداد اتساع الحلق بتراجع اللهاة - على ما أسلفنا.

والهاء رخوة (ولعلها أكثر الحروف رخاوة) وهي مهموسة ويرى بعض اللغويين المحدثين[4] أنها تكون مجهورة في بعض الأحوال. ولعلهم يقصدون حالة سبقها بحرف

---

(١) أسباب حدوث الحروف (محب الدين الخطيب) ص٩، وليس هناك أي حبس للهواء مع نطق الهاء، ولا مساس يُذكر بحافتي الغشاءين الصوتيين. (٢) انظر الجدول المأخوذ عنهما ص٧٢ هنا.

(٣) كلمة الخليل الأولى في مقدمة العين وكلمته الثانية في المزهر ١/ ٩٠ وكلمة سيبويه في اللسان (هتت) والهتّ ضغط الشيء أو دفعه بشدة حتى ينهار أو يتسيب جرمه. فوصف الخليل الهمزة بأنها مهتوتة يعني الضغط والعصر في إخراجها إلا أن يُرَفَّه عنها فتخفف أو تبدَل ألفًا أو هاء. وقول سيبويه في وصف الهاء بأنها مهتوتة يعني به ضعف جرسها وخفاءه أخذًا من التسيب والانهيار في معنى كلمة الهت.

(٤) د. إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ٩٠، د. عبد الرحمن أيوب أصوات اللغة ٢١٧ .

أو حركة مجهورين. ولكن ذلك ليس خاصًا بالهاء. فالأصوات كثيرًا ما تتأثر بما يجاورها.

والهاء من الحروف المصمتة أي ليست من حروف الذلاقة، كما أنها لا شأن يذكر للسان بها، لكنها تحسب مع الحروف المستفلة والمنفتحة.

خاصة لهذه المجموعة:

لعله وضح مما سبق أن الأحرف الثلاثة: الهمزة والألف والهاء تَحْدُثُ صفةُ الشدة أو الرخاوة لكل منهن في نفْس موضع حدوث الجهر أو الهمس، وبذا يكون موضع خروجهن هو نفس موضع اتصاف كل منهن بالجهر أو الهمس وبالشدة أو الرخاوة. وهذا أمر خاص بهذه المجموعة. فإن ما عداهن من الحروف لا يحدث في نفْس موضع خروجها (مخرجها) إلا الشدة أو الرخاوة. أما الجهر أو الهمس فموضعها للحروف كلها ثابت وهو فتحة المزمار.

تطبيقات:

(أ) في الإبدال واللهجات:

ولاشتراك الهاء مع الهمزة في مخرج واحد - مع سهولة الهاء - كثر وقوع الإبدال بينهما[1] كما في «أَرَقْت الماء وهَرَقْته، وإيّاكَ أن تفعل وهِيّاكَ، والإبْرِيَة والهِبْرِية: القشر الذي في أصول الشعر».. إلخ.

ووقع في لهجة طَيِّيء إبدال الهمزة هاء في بعض المواضع فيقولون هَنَ فعلتُ كذا (يقصدون: أَنَا فعلت) ومنه قول الشاعر:

أَلَا يـاسَنـا بَـرْقٍ عَـلَـى قُـلَـلِ الحِمَـى ... لَـهِـنَّـكَ مِـنْ بَـرْقٍ عَـلَـيَّ كَـرِيمُ[2]

(يعنى: إنك لبَرْقٌ كريمٌ على، لأنك تَسْطَع على أعالى ديار المحبوبة فتُرِينيها فتَبَل شوقى).

(ب) بين الفصحى والعامية:

الهمزة والهاء:

- يقال نَجَأَه يَنْجَؤُه: أصابه بالعين (يعني حسده) وكذلك انْتَجَأَه وَتَنَجَّأَهُ. وهو رجل

---

(١) أورد ابن السكيت في كتابه ص٢٥ خمس عشرة كلمة وقع فيها الإبدال بين الهمزة والهاء.

(٢) انظر اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ص٨٤ .

نَجُوءُ العين أي خبيثُها وشديدُ الإصابة بها.

والعامة تنطق همزة هذه الكلمة هاء: «فيقولون نَجَهَه أي حَسَده، والولد انتَجَه أي أصابته عين».

- كذلك يقال في الفصحى أَجَّ بمعنى عَدَا وأسرع. والعامة تقول هَجّ فيبدلون الهمزة هاء.

ـــ أُبدلت الهمزة في هذه الكلمات هاء للتخفيف. ويسّر ذلك اشتراكُهما في المخرج (تجانس).



حرفا وسط الحلق

العين والحاء: وتخرجان من وسط الحلق. والعين أعمق كما لاحظنا ذلك بالذوق[1]، لأن منطقة انزلاق صوتها وتكونه أعمق وأدخل من منطقة احتكاك الهواء في الحلق لإخراج صوت الحاء. وجمهور القدماء والمحدثين من علماء الأصوات على أن العين أعمق[2] ولم يخالف عن ذلك إلا قليل منهم[3].

وقد وصف ابن سينا خروج العين وصفا أثبتته الملاحظة المتكررة فقال: «وأما العين فيفعلها حفز الهواء... إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غير أن يكون هذا الحفز خاصًا بجانب»[4] أقول وهذه الرطوبة تحدث بسبب تجمع هَناتٍ لَحمية رِخوة (الزائدة اللسانية وما حولها من جذع اللسان، وربما هنات أخرى في قاع الحلق..) في موضع تكوّن صوت العين.

وللنطق بالعين يندفع النفَس من الرئة فيضيق الوتران أمامه فيحتك بهما في مروره فيهتزان ويصدر زمير الجهر ثم يستمر الصوت (النفس + زمير الجهر) حتى يصادف الحاجز الرخو فلا يقوى لرطوبته على منع الصوت فينفذ الصوت من أثنائه. ويكسبه مروره من ذلك المنفذ الرطب نصوعًا نحسّه مع سماعنا صوت العين[5]. وقد أكد الخليل

---

(١) بتجربة ذوق الحروف مع استعمال المرآة.

(٢) انظر الإشارة المفصلة إليهم وإلى كتبهم في التعليق على مخرج الهمزة والهاء. وأما دائرتا المعارف المشار إليهما قبلاً فقد وضعتا رمزيهما ؟ = ع، h = ح في نهر الأصوات الحلقية Pharyngal مشتركتين في صفة الاحتكاك Friction ولم تشيرا إلى ترتيب بينهما من حيث العمق.

(٣) منهم المهدوى (٤٣٠هـ)، وشريح (٥٣٧هـ) وأبو حيان (٧٤٥هـ) (نهاية القول المفيد ٣٤) وهناك رأي بأنهما من موضع واحد (المرجع السابق) وعليه بعض المحدثين (د. أنيس ٨٩، د. أيوب ٢٦، ود. تمام حسان: العربية معناها ومبناها ٧٩).

(٤) أسباب حدوث الحروف ٩ .

(٥) هذا التعليل لنصوع العين رأينا. وقد قال ابن سينا في وصف خروج العين. «وإرسال الهواء إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها (رسالة أسباب حدوث الحروف ٩). وكان ينبغي أن يقول (الصوت) بدلاً من (الهواء) وقد قال الراغب في المفردات (ندى) ما يؤخذ منه صحة رأينا.

صفة نصوع العين هذه حيث وصفها بالطلاقة وضخامة الجرس[1] ولعل قوله: «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين»[2] يشير إلى تميز الحاء بالجفاف وأن العين بضد ذلك رطبة. وكانت عبارة الأزهري أقوى «أما العين فأنصع الحروف جَرْسًا وألذها سماعًا»[3] وعبارة ابن جني «لنصاعة العين ولذاذة مُستَمَعِها»[4].

والعين صوت مجهور. وعُدَّتْ متوسطة بين الشدة والرخاوة لانسداد سبيل نَفَسِها بالهنات اللحمية الرخوة، وقد آثرنا وصفها بالرخاوة لمرور النفس رغم ذلك بسبب رخاوة السد، وهي مستفلة، منفتحة. وقد وُصِفت بالإصمات، ولكن إساغتها للألفاظ الرباعية الخالية من حروف الذلاقة[5] على ما قال الخليل - يُحِقّ وصفها بدرجة من الخفة.

تطبيقات

العلاقة بين العين والهمزة:

ولقرب مخرج العين من مخرج الهمزة، ثم لاقتران حدوث كل منهما بانسداد في عمق الجهاز الصوتي (انسدادًا قويًا يحبس الهواء مع الهمزة تاليًا لها أو سابقًا، وانسدادًا في أجزاء رخوة لا تستطيع حبس الهواء مع العين)، ولاشتراك العين مع الهمزة في الجهر، وموازاة نصوع صوت العين لصوت الهمزة المحققة في القوة... لكل ذلك كثر وقوع الإبدال بين العين والهمزة[6] يقال آدَيْته على كذا وكذا، وأَعْدَيْته: أي قوّيته، ويقال كَثَأَ اللبن وكَثَع إذا علا دسمُه وخثورتُه على رأسه في الإناء.

---

(١) قال الخليل «ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسّنتاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرسًا. فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حسن البناء لنصاعتهما» العين ١/ ٦٠ . ورواية تهذيب اللغة ١/ ٤٥ «لأنهما أطلق الحروف. أما العين فأنصع الحروف جرسًا وألذها سماعًا، وأما القاف فأصحها جرسًا. فإذا اجتمعا...».

(٢) العين ١/ ٦٤ تأليف الحروف.

(٣) لسان العرب - أول باب العين.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٧٥ .

(٥) كما سيأتي في الكلام على تأليف الحروف. وانظر التعليق رقم ١ بعاليه.

(٦) أورد ابن السكيت في كتابه القلب والإبدال ص٢٢ عشرين كلمة وقع فيها الإبدال بين الهمزة والعين.

وتميم ومن جاورهم من قيس وأسد يبدلون الهمزة المفتوحة عينا إذ وقعت أول كلمة - كقول جِرَان العَوْد:

فـمـا أُبْـنَ حـتـى قُـلْـنَ يـالـيـت عَـنَّنَا تـرابٌ، وعَـنَّ الأرضَ بـالـنـاس تُـخْـسَـف

[الطويل]

وقول الآخر:

أَعَـنْ تَـرَسَّـمْـت مـن خَـرْقَـاءَ مَـنْـزِلَـةً مَـاءُ الصبَّابة مِن عَيْنيكَ مَسْجُوم [1]

[البسيط]

(خرقاء: اسم المحبوبة. يسأل سؤال تعجب أو تأنيب: أتسفَحُ دموعَ الشوق بهذا التتابع والغزارة بسبب أنك تبيَّنْتَ رسوم منزل خَرْقاء).

بين الفصحى والعامية:

الهمزة والعين:

- يقال في الفصحى «قَقَأ عينه» فتنطقها العامة (فَقَع) يبدلون الهمزة عينًا. وفي الفصحى جَأَر بمعنى صاح تنطقها العامة جَعَر، وتَلَكَّأ ينطقونها تَلكع، وأهل الصعيد يقولون فلان سَعَل عليك. ويقولون لع يقصدون لأ. والأكَّة: الشديدة من شدائد الدهر والعامة تنطقها عَكَّة.

- رجل زَأْبل أي قصير. والعامة تصف صغير الحجم بأنه زغبل، زغْبلّه بضبوط مختلفة.

- أبدلت الهمزة في كل هذه الكلمات عينًا للتخفيف، ويَسّر ذلك تجاور (تقارب) مخرجيهما.

وفي التعريب قيل إن كلمتي «العُربان» و «العُرْبون» معربتان عن الأربان والأربون الأعجميتين[2] - قلبت العرب الهمزة عينًا[3].

والفُرْس - كالأوربيين - ينطقون العين همزة.

---

(١) اللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا ٨١ .

(٢) العربون بالضم وبالتحريك أيضًا. وانظر المعرب للجواليقي ٦٧ واللسان (عرب).

(٣) «القطوف واللباب» مختارات من الأدب الفارسي: حامد عبد القادر ٨/١ .

أما بين العين والهاء فلم تورد كتب الإبدال كلمات وقع فيها الإبدال بينهما[1] بالرغم من تجاور مخرجيهما، وذلك للاختلاف الشديد بين جرسيهما، إذ الهاء أخفى الحروف والعينُ أنصعُها. والتقابل بين هيئتي خروج كل منهما، وبين صفات كل منهما واضح من مراجعة حديثهما[2].

الحاء:

وأما الحاء فإنها تخرج باحتكاك الهواء بجدران الحلق، وبخاصة في أعلاه دون اللهاة وحولها، ويلحظ تراجع الحنك الرخو - عند إخراجها - إلى الخلف وإلى أعلى معًا، بحيث يمثل امتدادًا حقيقيًا للحلق - كما يحدث مع الهاء، ولكن هذا التراجع يستمر مع الحاء أكثر مما مع الهاء. وهذه الصورة لنطق الحاء تبين أن مخرجها من أطول المخارج وأكثرها فراغًا أو اتساعًا أيضًا (ولا يضارعها في ذلك إلا الهاء. ولكن خفاء الهاء - لعدم احتكاك هوائها بجدران الحلق - يقلل من الإحساس باتساع مخرجها وامتداده). هذا، ومخرج الحاء (وسط الحلْق) تشترك معها فيه الهاء على ما وصفناه، والعين أعمق منها فيه، ومخرج الخاء من أقصى اللسان والحنك مجاور لأعلى الحلق أي أدناه من الفم. وهذا يفسر اختلاط كل منهن بالحاء في نطق الأعاجم.

والحاء حرف مهموس منفتح مستفل مصمت. وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين فيمر بين الوترين غير زامر لانفراج ما بينهما، ويتراجع الحنك الرخو بحيث تستقيم قناة الحلق ويستوى باطنها فيحتك الهواء بجدرانه احتكاكًا نسمع منه جَرْس الحاء. ويمكن إثبات هذا الاحتكاك بإحداثه - عند نطق **الهاء** - بالضغط من باطن العنق على العظم اللامي فنسمع جَرْس **الحاء**. وذلك الاحتكاك هو الذي يميز جَرْس الحاء بالبُحّة. قال الخليل: (ولولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين)[3].

---

(١) لم يرد في كتاب «القلب والإبدال» لابن السكيت، و«المزهر» للسيوطي إبدال بين العين والهاء.

(٢) انظر ما سبق. والمقابلة بين خروج الهاء بأوسع انفتاح وخروج العين انزلاقا بين تجمع رخو يسدّ السبيل، وبين همس الهاء وجهر العين، ورخاوة الهاء رخاوة كاملة، وقرب العين من الشدة.

(٣) العين ١/٦٤ .

تطبيقات:

بين الحاء والهاء:

أ- كثر وقوع **الإبدال** بين الحاء والهاء[1] لاشتراكهما في المخرج وفي الصفات - ما عدا ما تمتاز به الهاء من الخفاء والحاء من الاحتكاك مثل مَدَحَهُ ومَدَهَه، وسَقَط من السطح فتكدَّح، وتكَدَّهَ. وحَبَش له أشياء وهَبَش له أي جمع.

ب- ووقع **الإدغام** بين الحاء والهاء في نحو لا تكره حسنًا (تنطق لا تكرَ حّسنًا) ولكن البيان أحسن.

بين الفصحى والعامية:

في الفصحى أَطْحَر الخائن قُلْفَةَ الصبي: استأصلها. قلبت العامة حاءها هاء لتقارب مخرجيهما فقالوا طَاهَره والولد اطاهر.

وفي **النقل أو التعريب** بين العربية وغيرها يقع بينهما الإبدال أيضًا. جاء في المعرّب للجواليقي أن الحَبَس تسميه النبيط هُرزوقًا، والعرب تقول منه حَرْزَقْته، وأن الحُرْدىّ من القصب نبطي تقول له العامة هُرْدى[2]. وأكثر الأوربيين الآن ينطقون أهمد بدلاً من أحمد.

بين الحاء والعين:

أ- بالرغم من اشتراكهما في المخرج كما رأينا إلا أنه قل **الإبدال** بينهما[3]، لقلة الشبه بين جَرْسَيهما، فالعين ناصعة، والحاء بَحّاء. ومثال الإبدال (لا وعَهد الله) ولا وَحَهد الله)[4].

---

(١) وقع الإبدال بينهما في كتاب ابن السكيت في ١٥ كلمة.

(٢) انظر المعرب للجواليقي ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٣) وقع منه في القلب والإبدال لابن السكيت ٦ كلمات بعضها قابل للنقض.

(٤) السابق ص٣٤ .

وفي اللهجات نجد أن قبيلة هذيل تشيع فيها الفحفحفة وهي قلب الحاء عينًا. ومن ذلك قراءة ابن مسعود (عَتّى حين) أي ﴿حَتّى حين﴾[1].

جـ- ووقع **الإدغام** بين الحاء والعين مثل (اطرح عنك الهموم)، (اتبع حامدًا)، والبيان في الأولى أحسن، وفي الأخير حسن.

بين الفصحى والعامية:

العين والحاء:

أ- **في الفصحى** القُنْزُع والقُنْزُعة: الريش المجتمع في رأس الديك، وكذلك خصلة الشعر التي تكون وحدها في أعلى الرأس ممتدة إلى أعلى - أخذت العامة منها القَنْزَحَة فأبدلوا العين حاء، وأخذوا من معناها الارتفاع والظهور فوصفوا بها السلوك والتصرف المقصود به الظهور بين الآخرين دون أهلية لذلك الظهور..

ب- **وفي الفصحى** بَعْثَر الشيء: فرّقه. وفي القرآن الكريم: ﴿وبُعْثِر ما في القبور﴾ والعامة تقول هو بَحتر الحب والفلوس، ويقولون فلان يحتل (يزفر زفيرًا شديدًا من ثقل حِمْل أو مشي) وأصلها يَعْتل. والعامة تقول كَحْك وهي عن المعرّبة كعك[2].

- **وفي الفصحى**: الحَفِثُ: الكَرِشُ (الكلمتان بوزن كَتِف) والعامة ينطقونها العَفْشَة يبدلون الحاء عينًا للتجانس في المخرج - كما يبدلون الثاء شينًا لتقارب المخرج مع تشابه جرس الصوتين.

وفي الفصحى التَّحْتَحة: الحركة وهو لا يَتَحْتح من مكانه والعامة تبدل الحاء عينًا لتجانس مخرجيهما فيقولون تَعتع في الماضي، وفي الأمر اتّعْتَع بمعنى تحرك.

☆ ☆ ☆

(١) هي لهجة هذلية - ينظر لهجات العرب لتيمور ١٣٣ .

(٢) وانظر المعرب للجواليقي ٣٤٥ .

حروف أصل اللهاة

(- الحنك اللين - الطبق) وأقصى اللسان

الخاء والغين والقاف الفصحى. وهنّ قَصَويات يخرجن بارتفاع أعلى جذع اللسان (وهو أقصى اللسان) إلى أصل اللهاة، حتى يحتك به أو يعتمد عليه. (ونقصد بأصل اللهاة الحنك اللين الذي يرتخي امتداده الداخلي حتى تتدلى منه اللهاة. والحنك اللين هو الذي يسميه المحدثون الطبق، فيقال لهذه الحروف لهوية أو طبقية أيضًا.

وتحديد مخرجهن هكذا هو قولنا بناء على تذوق الغين والخاء خاصة، لأنهما موضع الخلاف. وبهذا قال جمهور المحدثين أيضًا. وقد سبق إلى القول بهذا من القدماء ابن سينا (٤٢٨هـ) والقاضي علي بن مسعود بن الفرخان صاحب المستوفي في النحو، وشريح الرعيني (٥٣٨هـ) والخفاجي (٤٦٦هـ). وقد أغفلوا - عدا الخفاجي - دور أقصى اللسان في نطقهن. والتحديد المذكور قد يفهم من كلام ابن جني عن مخرج الغين والخاء[1]. أما القاف فقد فَصل مخرجها وأخّره عن مخرج الغين والخاء. فاستدراك المحدثين بالنسبة لمخرج الغين والخاء لا ينسحب على كل اللغويين العرب القدماء، بل على سيبويه ومن قلده في تحديد مخرج الغين والخاء.

---

(١) ابن سينا في رسالة (أسباب حدوث الحروف) جعل الخاء والقاف بين اللهاة والحنك والغين أخرج منهن يسيرا أي أقرب إلى جهة خارج الفم. وعلي بن مسعود قاربه (في المستوفي ٥٨٨/٢). وعبارة شريح أن القاف من أول اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء منه (ارتشاف الضرب لأبي حيان (تحقيق: النماس) ٦/١ ، ولم يذكر قول شريح عن الغين. وعبارة ابن جني في سر الصناعة (تحقيق: السقا و..) ٥٢/١ . (ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء، ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء، ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف) ويلحظ إضافته (أول الفم) أي أوله من الداخل الذي جانباه أصل اللهاة من أعلى وأقصى اللسان من أسفل. وعبارة ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة (تحقيق: الشيخ عبد المتعال الصعيدي) ٢٢ كعبارة ابن جني تقريبًا.

الخاء:

فالخاء يمر لها الهواء بين الوترين الصوتيين غير زامر - لاتساع ما بينهما - حتى إذا وصل إلى أعلى الحلق لينفذ إلى الفم من بين أصل اللهاة واللسان = ارتفع أقصى اللسان وتراجع حتى يكاد يماسّ أصل اللهاة، «فكلما كادت الرطوبة تحبس الهواء الخارج زوحمت وقُسِرت إلى خارج ذلك الموضع بقوة»[1] والاحتكاك في تلك المزاحمة والقسر هو الذي نسمع صداه خاءً.

والخاء حرف مهموس رخو مستعلٍ منفتح مصمت.

تطبيق:

بين الخاء والحاء:

ولتجاور الخاء والحاء، وخروج كل منهما باحتكاك دون منطقة اللهاة أو حولها، واشتراكهما في الهمس والرخاوة:

وقع الإبدال بينهما بصورة متوسطة[2] ربما ليُسْر التخفيف الذي يأتي به ذلك الإبدال - نحو حَمَص الجُرح وخَمَص: ذهب وَرَمُه، ودَرْبَحَ وَدَرْبَخ: حنى ظهره. ولذلك التجاور والتشابه في هيئة الخروج يبدل غير العرب - كاليونانيين - الحاء خاء. وقال العلماء إن الحُبّ الذي يُجْعل فيه الماء معرب عن الفارسية خُنْب، قَلَبت العرب الخاء حاء وحذفت النون[3].

☆ ☆ ☆

الغين:

والغين تخرج بنفس الهيئة التي تخرج بها الخاء إلا أن الهواء يخرج لها من بين الوترين زامرًا لتضايق ما بينهما. ويقول ابن سينا[4] وتصدقه التجربة «إن حركة دفع الرطوبة بين

---

(١) ينظر أسباب حدوث الحروف لابن سينا ١٠ .

(٢) أورد ابن السكيت في كتابه ص٣٠ . (١٢ كلمة) وقع فيها الإبدال بينهما.

(٣) المعرب للجواليقي (تحقيق عبد الرحيم) ٢٦٧ .

(٤) أسباب حدوث الحروف.

جذع اللسان[1] واللهاة - أيسر في الغين عما في الخاء» يعني أن الاحتكاك في نطق الخاء أقوى منه في نطق الغين ووقْعُه أَخْشنُ أو أَجَفُّ - وهذا ملحظ صحيح. فإن جهر الغين يطغى على خشونة الاحتكاك. كما يقول إن مخرج الغين أخرج يسيرًا من مخرج الخاء. والذي يبدو لنا أن الصواب عكس ذلك.

والغين حرف مجهور رخو مستعل منفتح مصمت.

تطبيقات:

ولاشتراك الغين أو مجاورتها للخاء في المخرج، واتفاقهما في ما عدا الجهر والهمس من الصفات.

أ- وقع **الإبدال** بينهما إلا أنه قليل[2]، وهذا غريب ولعل السبب أنهما متوازنتان: فجهر الغين يوازيه ارتفاع صدى احتكاك الخاء، وهما من موضع واحد حقيقة أو تقريبًا - فلم يكن في إبدال إحداهما بالأخرى تخفيف في النطق، فلم يكثر ذلك. ومثاله زَغَرتْ دِجلة وزَخَرت: جاءت بالماء الكثير، ويقال: اغْبِن من ثوبك واخْبِن من ثوبك (أي اثْنِه في يدك حتى لا يتدلّىٰ على الأرض). ولذلك التجاور والاشترك بينهما تلتبس إحداهما بالأخرى على غير العرب.

ومما يجدر ذكره هنا أن كثيرًا من الفتيات أو النساء العربيات يتعمدن إبدال الراء في نطقهن غينا، يتوهمن أن ذلك يكسب نطقَهن طرافة، والحقيقة أنه يجعلهن موضع سخرية، ويفسد نطقَ من يَتولّيْن تربيتَه من الناشئة.

ب- كما وقع **الإدغام** بينهما - وإن كان البيان أحسن - في مثل بَلغْ خالدًا (بَلّخَالدا) وليرسَغْ غَرسك (لِيَرْسَغَّرسك)[3].

☆ ☆ ☆

---

(١) أعلى جذع اللسان هو أقصى اللسان.

(٢) وقع الإبدال بينهما في ٤ كلمات في القلب والإبدال لابن السكيت ٣٢ .

(٣) انظر الكتاب ٤/٤٥١ .

القاف:

أما القاف فهي أنواع: الفصحى، والحديثة، والسودانية التي تشبه الغين، والريفية[1] (البدوية) المعقودة.

فالقاف الحديثة هي التي تُسْمَع من القراء والمتعلمين في مصر وفي أقطار أخرى في هذا العصر[2]. وهي تخرج بالتقاء أقصى اللسان بأصل اللهاة. وهي شديدة مهموسة مستعلية منفتحة مصمتة.

والقاف السودانية تسمع في نطق إخواننا السودانيين كالغين وهي تخرج باقتراب أقصى اللسان من أصل اللهاة. وهي مجهورة مستعلية، وتبدو رخوة. (ثم هي منفتحة مصمتة كسائرهن).

والقاف الريفية البدوية (المعقودة) ويسميها ابن الجزري الكاف الصماء (هي التي تسمع في نطق الريفيين والبدْو كالجيم القاهرية) وهي تخرج بالتقاء الثلث الأدخل من اللسان (أي في نقطة أخرج من أقصاه) بما فوقه من الحنك اللين التقاء محكمًا، وهي شديدة مجهورة مستفلة.

وأما القاف الفصحى فتخرج بالتقاء أقصى اللسان (والمقصود أعلى جذعه) بأصل اللهاة - التقاء محكمًا يحبس النفس.. أي أنها تخرج من مخرج الخاء والغين - إلا أنها شديدة. وهذا التحديد لمخرج القاف الفصحى من حيث كون أصل اللهاة هو ملتقى

---

(١) عد محققو سر الصناعة (٥٧/١): «من الحروف المستقبحة حرفًا بين الجيم والكاف (هو القاف الريفية هذه) وقرروا أنه ينطق به بدل الكاف في لغة اليمن فيقولون في كافر كَافر بجيم كافية، وبدل الجيم في لغة البحرين فيقولون كمل بجيم كافية، وبدل القاف في لغة أهل البوادي فيقولون في قعد: كَعد مع تفخيم الجيم الكافية» اهـ. بتصرف يسير. وأصل بعض هذا في الجمهرة (بعلبكي) ٤٢/١ والصاحبي ٣٦ .

(٢) في علم. الأصوات د. كمال بشر ١٢٨ أن القبائل المذحجية والحميرية في منطقة مشتركة بين اليمن الجنوبية والشمالية تنطق القاف الحديثة المهموسة وينطقون الجيم قاهرية أي كافية. أقول وهذه القاف ما زالت مستعملة في كلام أهل البرلس وأهل رشيد.

أقصى اللسان بها صرح به الخليل[1]، وابن سينا[2] وابن يعيش[3]، وشريح[4].. لكنهم عبروا «باللهاة». وعلل ابن جني لكسر النون في (نِقِيذ) ونحوه إتباعًا لكسر القاف - رغم أن هذا الإتباع خاص عندهم بما كان حلقي العين نحو شِعير ورِغيف - بأن القاف قريبة من الخاء والغين، وتقبّل أبو علي الفارسي تعليل ابن جني هذا ووافقه عليه[5]. وقد عرفنا أن المحدثين أيضًا عدوا القاف لهوية. والملاحظة والذوق المتكرر يؤيد هذا الذي قدمناه. فنحن نرى أن عبارة سيبويه - ومن تبعه - في تحديد مخرج القاف بأنه «من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى» يمكن أن تفهم عبارة (أقصى اللسان) فيها أنها أقصى نقطة داخلية في اللسان الراقد، وهي عينُها أعلى جذعه، وعبارة (وما فوقه من الحنك الأعلى) أنها أول نهاية الحنك الأعلى من الداخل، وهي بعينها منطقة أصل اللهاة. وبذلك تلتقي التحديدات.

وهذه القاف شديدة مجهورة مستعلية منفتحة. وجرْس صوتها يشبه جرْس القاف الريفية البدوية المعقودة (التي تخرج من قرب وسط اللسان). وهذا الشبه هو الذي جعل البدو والقرشيين يظنون أن المعقودة التي ينطقونها هي الفصحى، كما أنه هو الذي سوّغ للسودانيين نطقهم إياها كالغين، لأن جرْس نطقهم يشبه جرْس نطق الفصحى أيضًا لكن قافهم رخوة.. وقد هُديت إلى نطق القاف الفصحى قَصَوية شديدة مستعلية مجهورة حسب ما وصفها القدماء وأمارسه وأعلّمه لُقَنائي (= تلاميذي)، ويتوفر فيها بهذا النطق كل ما قاله الأقدمون - ولله الحمد والمنة.

---

(١) قال الخليل في العين ١/ ٥٨ «وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عَكَدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم»، عَنَى بالعكدة أول اللسان، أي أقصاه، ولم يرتب الحروف. ووضْع الجيم مع حروف اللهاة وعكدة اللسان تجاوز. وقال في ٦٤ «ثم القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع». يقصد أن مخرج الكاف بعد مخرج القاف إلى جهة خارج الفم.

(٢) قال في أسباب حدوث الحروف «والقاف تحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تام» يعني أنها شديدة - وكلامه صواب في تحديد المخرج والوصف بالشدة.

(٣) شرح المفصل (١٠/ ١٢٤). (٤) لرتشاف الضرب (١/ ٦).

(٥) الخصائص لابن جني (١/ ٣٦٥).

ولنطق هذه القاف يندفع الهواء من بين الوترين زامرا - لتضايق منفذه بينهما - فإذا وصل إلى أعلى الحلق ارتفع أعلى جذع اللسان (أقصاه) وقابلته نهايةُ الحنك اللين - أصل اللهاة - فالتقيا التقاء محكمًا يسد مجرى الهواء، ونسمع صوت القاف.

والدليل على أن تلك القاف اللهوية المجهورة كما وصفناها هي الفصحى ما يلي:

أ- أنها هي التي ينطبق عليها تحديد الأقدمين من حيث المخرج والصفات. فهي التي تخرج بالتقاء عكَدة اللسان (= أعلى جذعه = أقصاه) بأصل اللهاة - كما صرح الخليل وابن سينا، وشريح وابن يعيش، وكما تكشّف لابن جني وأبي علي الفارسي، بل كما يمكن أن تفهم عبارة سيبويه وفاقًا لهؤلاء[1]. وهذه القاف كذلك هي التي تتوفر فيها صفات الجهر والشدة والاستعلاء والتفخيم، في حين أن القافات الأُخَر لا يجتمع لأي منها ذلك المخرج وتلك الصفات معًا.

فقاف القراء الحديثة مهموسة فقدت صفة الجهر.

والقاف السودانية رخوة فقدت صفة الشدة.

والقاف الريفية تخرج من نقطة أمامية تالية لأقصى اللسان. وبهذا فقدت المخرج الصحيح وصفة الاستعلاء، وفقدت - بالتالي - التفخيم (الطبيعي) الملازم للاستعلاء، وقد يتكلف مستعملوها من البدو وأبناء الصعيد تفخيمًا لها تعوّدوه ليميزوها عن الجيم في نطقها القاهري، لكنه تفخيم متكلف.

هذا، ويترجح لنا أن النطق المهموس للقاف (= القاف المصرية = الحديثة) هو لهجة بنى تميم. جاء في الجمهرة أن بنى تميم «يلحقون القاف باللهاة (وفي رواية بالكاف) فتغلظ جدًّا فيقولون للقوم الكوم»[2].

القاف المعقودة = القاف الريفية = الجيم القاهرية = الكاف الصماء = الكاف الفارسية

ذكرها سيبويه باسم الكاف التي بين الجيم والكاف، وعدها من الحروف غير

---

(١) عبارة سيبويه «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف» الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٢) ينظر جمهرة اللغة لابن دريد (تح د. بعلبكي) ١/٤٢ «والصاحبي» (صقر) ٣٦ .

المستحسنة ولا الكثيرة في لغة من ترتضى عربيته[1] وتابعه في تسميتها وعدم استحسانها ابن جني[2]، وابن سنان[3] وابن الحاجب[4] وعبارة أبي حيان «كاف كجيم»... وذكر ابن دريد حرفًا بين القاف والكاف يتكلم به العرب (عند الضرورة) وذكر ابن قتيبة أن الحرف المتوسط مخرج القاف والكاف غير عربي[5]. ويترجّح أنه يقصد هذه الكاف.

وقد حدد ابن سينا مخرج هذه الكَاف الفارسية بأنها تحدث حيث الكاف العربية إلا أنها أدخل قليلاً (يعني في اللسان والحنك) والحبس أضعف[6] وقوله «والحبس أضعف» وهم. وقد وصفتها الدراسات الحديثة بأنها حرف رَخَوِيّ أي يخرج من الحنك الرّ خو[7] (عندما يلتقى الثلث الداخلي من اللسان به). والملاحظة المكررة تبين أن مخرجها يشمل نقطة أخرج مما قال ابن سينا فإنها تخرج بالتقاء متن الثلث الأدخل من اللسان الراقد بما فوقه من الحنك اللين (وهو أول الحنك الرخو من جهة جوف الفم).

وهذا الحرف مجهور شديد إلا أنه ليس مستعليا – أي لا يستعلي به أقصى اللسان – وإنما ثلثه الداخلي كما قلنا، وربما كانت أعلى نقطة حينئذ هي نقطة انتهاء الثلث الداخلي من جهة وسط اللسان. ومن عدم استعلائه هذا – الذي نص عليه ابن الجزري[8] – فَقَدَ التفخيم الطبيعي، فلا يفخَّم إلا بتعمد. ولعل هذا – أعني فَقْدَ صفتَيْ الاستعلاء والتفخيم – يشكل أمارة جازمة على أن هذه الكَاف الفارسية ليست هي القاف العربية الفصحى بحال، لأن القاف الفصحى مستعلية مفخمة بالإضافة إلى أنها قصوية.

وهذه الكَاف الفارسية تنقل في العربية جيمًا أو قافًا أو كافًا أو غينًا كالجاموس أصلها كَاوي ميش، وقالوا إن تسمية العنُقُ قَرْدًا أو كَرْدًا معربة عن الفارسية كَردن[9] والعامة تقول كِرْدال أو كِرْدان لحِلْية الرقبة – وتقول كليم من الفارسية كَليم، وأرغول أو أرغن

---

(١) الكتاب (٤/٤٣٢). وفي أحسن التقاسيم للمقدسي ص٩٦ أن أهل عدن يجعلون الجيم كافًا فيقولون لرجب ركَب، ولرجل ركُل. ونرجح أنها كاف فارسية. ومر هنا أنها تنطق بدلى القاف والكاف أيضًا.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٥١ . (٣) سر الفصاحة ٢٢ . (٤) الشافية باب الإدغام.

(٥) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٤ . (٦) أسباب حدوث الحروف ١٠ .

(٧) وضعتها الموسوعة البريطانية وموسوعة تشمبرز في نهر الأصوات الرخوية وكذلك صنع دكتور عبد الرحمن أيوب (أصوات اللغة ٢١٢). (٨) النشر ١/٢٢١ وسماها «الكاف الصمّاء»..

(٩) انظر لسان العرب (قرد/ كرد)، والقواعد الكافية ٢١٩ ، والقطوف واللباب ١/٨٤، ٨٩.

من اليونانية Organ (ومنها Organon)[1] وقالوا إن لفظ خندق أصله كَنده[2] أبدلت الكاف الفارسية خاء لتجاور المخرجين، وذيلت الكلمة بقاف بدلاً من الهاء.

الكاف العربية:

وتخرج بالتقاء متن اللسان - عند نهاية الثلث الداخلي منه - بما فوقه من أول الحنك الصلب من الداخل مجاورة أو مشتركة في الحنك اللين وفي مخرج الكاف الفارسية. فهما يكادان يتطابقان في المخرج، والفارسية مجهورة. وضابط مخرج الكاف العربية أنها أنْزلُ من أقصى اللسان وقبل وسطه. وإن اختلف تعبير الأقدمين والمحدثين عنه. ولكن بعض عبارات الفريقين يصدق ما قلناه[3].

وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين ويمر بين الوترين غير زامر، لاتساع منفذه بينهما، حتى إذا وصل إلى أول التجويف الفموي من الداخل ارتفع له متن الثلث الأول من اللسان حتى تلتقي نهاية ذلك الثلث بأول الحنك الصلب التقاء محكمًا يحبس النفَس، ونسمع (صوت) الكاف.

---

(١) انظر المحكم في أصول الكلمات العامية أحمد بك عيسى ص١٨٥، ١٨٩، ٨ على التوالى.

(٢) انظر المعرب للجواليقي (تحقيق وتأليف عبد الرحيم) ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٣) ربما كانت أقرب عبارات المتقدمين إلى عبارتنا هي ما نقله صاحب (نهاية القول المفيد) ص٥١ عن المرعشي حيث قال (والكاف لا يستعلي بها إلا ما بين أقصى اللسان ووسطه) أما الآخرون فكان في عباراتهم اتساع قلّل من دقتها. فعبارة العين (القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع) (العين ٦٤، ٦٥) وهنا تسامح لأن اشتراك اللهاة في إخراج الكاف غير مسلم، وقوله: (والكاف أرفع) يقصد أنها أخرج أي أقرب إلى الخارج - وهذا حق. وعبارة سيبويه (ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل (يقصد أَخرَج) من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف (الكتاب ٤/٤٣٣) وهذه عبارة أقرب إلى الدقة. فالأسفل من مخرج القاف في اللسان هو ما عبرنا عنه بنهاية الثلث الداخلي. وعبارة سيبويه هي التي اتبعها جمهور المتأخرين. أما عبارة ابن سينا فهي أن الكاف تحدث حيث تحدث الغين). وقد قال من قبل إن الخاء لهوية والقاف تخرج من حيث تخرج الخاء، والغين أخرج من ذلك يسيرًا. يعني أخرج من موضع الخاء والقاف. ولا نسلم له أن الكاف من موضع الغين وإن كنا نسلم أنها أخرج من الخاء والقاف والغين. أما المحدثون فقد وضعت موسوعتا المعارف البريطانية وتشمبرز صوت K في نهر الأصوات الرخوية نسبة إلى الحنك الرخو، وبعض صور هذا الفونيم في نهر الأصوات الصلبة. وقد أضفنا أن التقاء اللسان مع الحنك في إخراجها يكون بمتنه لا بعرضه كله، ولهذا أثر كبير في دقة صدى الكاف أي عدم غلظه كالقاف.

ووقوع الالتقاء بمتن اللسان لا بكل عَرْضه، وعلى أول الحنك الصلب لا على الحنك الرخو هو الذي يكسب الكاف العربية صداها الذي هو أدق من صدى القاف.

والكاف مهموسة لا زمير معها، وشديدة لا يمر معها النفَس، وهي مستفلة ليست مستعلية، لأن الذي يستعلي بها ليس أقصى اللسان، وإنما ما بين أقصاه ووسطه. وهي مصمتة، ومنفتحة، فيها ارتفاع واحد لا اثنان.

هذا، وقد وصفها بعض القدماء بالجهر[1]، وهذا خطأ وقعوا فيه بسبب التباس تعريف سيبويه للجهر عليهم، حيث اكتفوا منه بعبارة (منع النفس).

تطبيقات:

ولمجاورة مخرج الكاف، لمخرج القاف مع بعض التشابه بين صديهما كثر وقوع الإبدال بينهما مثل دَمَقَه ودَمَكَه أي دفع في صدره، وأعرابي قُحّ وكُحّ أي مَحْض خالص، وإناء قَرْبان وكَرْبان: دنا أن يمتلئ[2]..

وفي العبرية تنطق الخاء بديلا رخوا للكاف الشديدة في بعض الحالات إبدالا مطردا فيقال يِخْتِف أي يكْتب[3].

- ووقع الإدغام بين القاف والكاف في مثل لا تصدقْ كَلامه (تُنْطَق لا تصدّكّلامه) وأدرك قومك (أدْرِ قّومك)[4].

---

(١) في مفتاح العلوم للسكاكي ٥ أن (الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف، والهمس جرى ذلك فيه والمجهورة عندى الهمزة والألف والكاف والجيم والتاء.... يجمعها (قدك أترجم ونطايب). وفي الشافية لابن الحاجب باب الإدغام أن المجهور (ما ينحصر جرى النفس مع تحركه... وخالف بعضهم فجعل الكاف والتاء من المجهورة ورأي أن الشدة تؤكد الجهر). وانظر: مناقشتنا لتعريف سيبويه للجهر في فصل صفات الحروف ومخارجها في (الموسع في أصوات اللغة العربية).

(٢) انظر: كتاب القلب والإبدال لابن السكيت. ص٣٧ .

(٣) ينظر التوطئة في اللغة العبرية، د. فؤاد حسنين ص١١٧ حيث تناول الإبدال المطرد في اللغة العبرية بين ستة أحرف شديدة ونظائرها الرخوة.

(٤) انظر: كتاب سيبويه ٤/٤٥٢ .

بين الفصحى والعامية:

- اقْشَعَرَّ الجلد: قَفَّ وَتَقَبَّض. والعامة تقول كَشْعَر وِشّه بمعنى جَعَّده مجبوبًا أو استغرابًا. فقلبوا القاف كافًا لتجاور مخرجيهما. وقلبوا جيم (وجه) شينا وحذفوا هاءها.

- القَقَّة: العِقْي يخرج من بطن الصبي حين يولد وهو أشبه بالدم المعقود. وهذا هو أصل كلمة كَكّاه التي يستعملها النساء تعبيرًا عن بُراز الصبي عامة. يقلبن القاف كافًا.



أحرف وسط مقدم اللسان

المخرج الذي حدّده سيبويه ومَنْ بعده لأحرف هذه المجموعة الجيم والياء والشين هو وسط اللسان وما فوقه من الحنك[1]. ولكني أرى أن هذا التحديد غير دقيق، وأن التحديد الدقيق هو أن هذه الأحرف تخرج من وسط مقدم اللسان أي دون طرف اللسان، وليس من وسط كل اللسان. وذلك لما يلي:

١- أن التذوق والتجربة المكررين يقضيان بهذا.

٢- أن علاقات هذه الأحرف بغيرها تقضي بهذا.

٣- أن كلام سيبويه نفسه عن ضوابط إدغام هذه الحروف يعطى هذا.

٤- أن تحديد الخليل مخرج هذه الأحرف بشَجْر الفم يعني هذا. وشجْر الفم مُنْفَتَحُه من الشُّدْق إلى الشُّدْق، بحيث إذا وُضع القلم في الفم هكذا عَرْضا من الشُّدْق إلى الشُّدْق فإنه يمر فوق مقدم اللسان قرب طرفه لا فوق وسطه. وسنتبين تفاصيل هذا في معالجة كل من هذه الأحرف.

أما عن ترتيب هذه الأحرف في هذا المخرج فهي الجيم والياء ثم الشين. فالشين متأخرة عنهما قطعًا، والجيم قبل الياء ترجيحا، والذوق يحقق هذا، فوضع سيبويه الشين بعد الجيم وقبل الياء[2] غير مسلَّم. وسيأتي من كلامه ما ينقضه.

الياء الصامتة[3]:

(الياء الصامتة) وهي التي في مثل يَلد، يَيْت، يَيْهس، سَعْيٌ هَذْيٌ.

---

(١) ينظر الكتاب (٤/٤٣٣).

(٢) السابق نفسه وهذا رأي جمهور من تلاه. وهناك من قدم الشين على أختيها أي جعلها أدخل منهما في اللسان كالمهدوي (ارتشاف الضرب ١/٦، والنشر ١/٢٠٠) ويبدو أنه رأي مكي بن أبي طالب أيضًا - على ما في (الرعاية ١٣٩، ١٧٥، ٢٤٤) ولكنه قال في ص١٧٦ إن الجيم تخرج من مخرج الشين. وانظر نهاية القول المفيد ٣٥ .

(٣) قدّمناها على الجيم في المعالجة، لأن الكلام عن الجيم مطوّل.

وهي تخرج بارتفاع وَسَط مقدم اللسان - إلى ما فوقه مِنْ مُقَدَّم الحنك حتى يقترب منه جدًا - فلا يبقى إلا مضيقٌ بين اللسان والحنك ينفذ منه نَفَسُها ومعه زمير الجهر فيُسمع صوت الياء. وهذا التحديد لمخرجها يمليه الذوق والتجربة كما قلنا. ويؤيده قول سيبويه إن الياء أقرب الحروف إلى مخرج الراء واللام لأن الألثغ فيهما يجعلهما ياء[1]. ومعلوم أن طرف اللسان يشترك في إخراج الراء واللام والنون فما قبل الطرف هو وسط مقدّمه وكذا قول ابن سينا إن الياء الصامتة تحدث حيث تحدث السين والزاي. وقد ذكر هو ارتباط مخرجهما بطرف اللسان أيضًا[2].

والياء مجهورة رخوة وهي مستفلة جدًا[3] أي يظل أقصى اللسان معها في وضعه المعتاد لا يرتفع، وهي منفتحة مصمتة.

الجيم:

وهي تنطق بعدة طرق: فقد تحدثنا عن **الجيم الكافية** التي هي كالكَاف الفارسية. وهناك **الجيم الشامية** التي تنطق مثل J في Join، وتنطق باقتراب مقدم اللسان - دون طرَفه - إلى ما فوقه من مقدم الحنك الأعلى واللثة اقترابًا شديدًا بحيث لا يمر الهواء بينهما إلا باحتكاك مسموع.

وهذه الجيم **الشامية** رخوة، مجهورة، مستفلة، منفتحة. وسميناها شامية لأنها تشيع في نطق إخوتنا الشوام من سوريين ولبنانيين. ولعل هذه الجيم هي التي عناها سيبويه ومن تبعه حين ذكر من الحروف الفرعية غير المستحسنة (الجيم التي كالشين)[4].

---

(١) ينظر الكتاب ٤٥٢/٤ والعين (د. المخزومي) ٥١/١، ٥٢، ٥٨ عن حروف الذلاقة اللام والراء والنون التي تخرج من ذلق اللسان وهو حد طرفه.

(٢) يستخلص ذلك مما ذكره عن السين أنها تحبس الهواء (بقصد تضييق مجراه) عند طرَف اللسان، مع قوله عن الزاي إن صوتها يجرى مما يلي وسط اللسان إلى طرفه. وما يلي وسط اللسان إلى طرفه يشمل وسط مقدمه.

(٣) هذا نقله في نهاية القول المفيد ص٥٢ عن التمهيد لابن الجزري.

(٤) الكتاب ٤٣٢/٤، سر صناعة الإعراب ٥/١، سر الفصاحة ٢٢، وقد أغفلنا الجيم التي كالدال كما في نطق أبناء صعيد مصر (ديش أي جيش، الفَدْر أي الفَجْر) ونطق العراقيين (دَزّار أي جَزّار) (على ما قيل لنا) وهي في بعض مناطق الجزائر أيضًا، وكذلك الجيم التي كالزاي. فالأولى متطورة عن الجيم المعطشة الشديدة، والثانية عن الجيم الشامية الرخوة.

وأخيرًا هناك الجيم المعطّشة الشديدة. وهي التي نسمعها من القراء المجيدين اليوم وهي تخرج بالتقاء وسط مقدم اللسان (لا طرفه) بما فوقه من مقدم الحنك التقاء محكمًا يحبس النفس حبسًا تامًا. ونظرًا لعرَض منطقة الالتقاء والحبس فإن الهواء يحتك في انفجاره بمساحة واسعة من اللسان والحنك، ويُسْمع هذا الاحتكاك شبيهًا بجرْس الشين، وهذه المشابهة هي التعطيش. فهذا مع صدى الانفجار وزمير الجهر كلهن يكوّن صوت الجيم. (وسنبين بعد قليل أن هذه هي الجيم الفصحى).

وفي ضوء هذا كله نقول إن قول د. أنيس، ود. السعران وغيرهما إن الجيم انفجارية احتكاكية معًا له وجه. أما القول بأنها تبدأ وكأنها دال وتنتهي بجيم معطشة فهذا غير صحيح بالمرة، ولا يتأتى إلا باشتراك طرف اللسان في نطقها، في حين أنه لا عمل لطرف اللسان في نطق الجيم. وذِكْر ابن سينا اشتراك طرف اللسان في الحبس في نطق الجيم تسامح غير مقبول.

وللنطق بهذه الجيم المعطشة يندفع هواء الرئتين ويمر بين الغشاءين الصوتيين زامرًا حتى يصل إلى تجويف الفم فيرتفع وَسَطَ مقدَّم اللسان ليلتقيَ بمقدم الحنك التقاء محكمًا ثم يفارقه في شيء من البطء، فنسمع صوت الجيم. فهذه الجيم صوت مجهور شديد، مستفل مصمت، يقلقَل إذا سُكِّن.

أية هذه الجيمات هي الفصحى؟

الجواب أنها هي هذه الجيم التي وصل إلينا وصفُ علماء القرن الثاني وما بعده إياها، وهي الجيم المعطشة الشديدة التي تخرج من وسط مقدم اللسان. وقد عدّ سيبويه الجيم التي كالكاف (= القاهرية)، والجيم التي كالشين (وهي الشامية) ضمن الحروف غير المستحسنة. ومما يبعد الشامية أيضًا أن الجيم مقلقلة، والقلقلة خاصة بالحروف الشديدة، وقد عرفنا أن الشامية رخوة. ثم إن من المقرر في العربية أن لام التعريف لا تدغم إلا في الحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان، ولذا لا تدغم في الجيم في حين أنها تدغم في الشين والزاي لتلك العلة، فدل ذلك على أن الفصحى ليست كالشين ولا الزاي اللتين تشبههما الجيم الشامية. وهذا يؤكد ما أشرنا إليه من قبل أن طرف اللسان

لا عمل له في إخراج الجيم الفصحى. وأخيرًا فإن الجيم المعطشة هي الأقرب مخرجًا وصدى إلى الياء، ولذا تأتى أن تُبْدَلَ الياءُ إليها في عجعجة قضاعة في مثل قول شاعرهم:

خالي عُوَيفٌ وأبو عَلِجٌّ ... المُطعِمان اللحمَ بالعَشِجّ

وبالغداة كُتَلَ البَرْنِجّ ... يُقْلَع بالوَدِّ وبالصِّيصِجّ

[الرجز]

أما الجيم الكافية فقد أسلفنا أن القدماء استقبحوها وهذا ينفي أنها كانت الفصحى عند أهل الحجاز في قرون الاحتجاج. وذلك بالرغم من أن لها أصلاً في نطق عرب اليمن.

تطبيقات:

الإبدال بين الكاف والجيم:

نظرًا لتجاور مخرجيهما وقع الإبدال بينهما[1] في مثل مرّ يَرْتَجّ ويَرْتَكّ إذا ترجرج، وأخذه سَكٌّ في بطنه وسَجٌّ إذا لانَ بطنُه، ويقال ريح سَيْهَكٌ وسَيْهَجٌ أي شديدة. والإبدال بين الجيم العربية والكاف فاشٍ عند تعريب الألفاظ أو تعجيمها فقد قالوا إن الزَّرجُون: (الخمر) أصلها الفارسي زَرْكُون (أي لون الذهب) كما قالوا إن الفِنْجان أصله الفارسي بنكَان، والفَنَك أصله الفَنَج[2]. وتحولت جيم الجمل والمسجد إلى كاف في الإنجليزية mosque, camel .

- الإدغام:

الجيم لا تدغم في القاف أو الكاف لأن ذلك يضيع تعطيشها وهو خاصتها، ولا يدغمان فيها لصلابتها وتباعد الحيزين[3].

---

(١) أورد ابن السكيت من ذلك في كتابه ثماني كلمات ص٣٨.

(٢) انظر: المعرب للجواليقي ٢١٣، ٢٩٧، ٢٩٦ على التوالى.

(٣) انظر: الكتاب ٤/٥٤٢، والنشر ١/٢٨٩ .

بين الفصحى والعامية:

الجيم والغين:

- الجلَبة: الصياح. والعامة تنطقها غَلَبة يبدلون الجيم غينًا. والأشبه أن هذا الإبدال وقع بين النطق القاهري للجيم (G = گ) وبين الغين لتقارب المخرجين تقاربًا كالتجانس.

الياء والجيم:

- اليربوع حيوان برّىّ كالفأر أو أكبر قليلاً يُصاد.

والعامة تصف من هو ضئيل الشأن بأنه (جربوع) تشبيهًا به، يبدلون الياء جيمًا لتجانسهما في المخرج.

الشين:

نؤكد أولاً أن الشين أخرجُ من أختيها: الجيم والياء أي أقرب إلى خارج الفم، فهي مستطيلة يتصل مخرجها بطرف اللسان. وقد نص سيبويه على هذه الاستطالة أكثر من مرة: إحداها قوله إنها «أحد الحرفين اللذين خالطا طرف اللسان» (الضاد والشين)، وقوله إن الشين تستطيل فتتصل بمخرج الطاء، (وطرف اللسان يشترك في إخراج الطاء)، وتكريره أنها تستطيل حتى تخالط أعلى الثنيتين[1] (أي تقترب من لثتهما) وكل ذلك يكون بطرف اللسان - في حين أن أختيها لا تتصلان بطرف اللسان ولا تصلان إليه.

وتخرج الشين باقتراب مقدم اللسان - مع أول إطار طرفه - إلى مقدَّم الحنك حتى يضيق ما بين مقدَّم اللسان بإطار طرفه ومقدم الحنك بلثة الأسنان الأمامية التي تعترض أمام الهواء المارّ، وينفذ الهواء غير زامر من ذلك المضيق المستعرض بين حافة مقدم اللسان وبين اللثة العليا المحيطة بها. ونظرًا إلى خروج هوائها منتشرًا على دائرة مقدم اللسان - وليس متحيزًا في خط طولي دقيق مستقيم كالسين - فإنه يُحْدِث ما يشبه نشيش المِقْلى، وهو الجَرْس

---

(١) ينظر الكتاب ٤/٤٥٧ ، ٤٦٦ (مرتين)، ٤٧٩ - على التوالى.

المميز للشين. وهيئة الخروج التي وصفناها – مع أثرها الذي وصفناه أيضًا هو ما يسمى التفشي.

والشين مهموسة رخوة مستفلة منفتحة مصمتة متفشية.

وواضح من تحديد مخرجها أن الشين تلى الجيم والياء في ظهر اللسان، ولذا يقع إبدال الجيم إلى شين في مثل اجتمع واجترّ (حين تنطقان اشتمع واشترّ).

والجدير بالذكر أن هذه الحالة غيرُ حالة إشراب الجيم صوت الزاي (بنطق الجيم رخوة) إذا وقعت الجيم ساكنة قبل دال في مثل هو أَجْدَرُ بكذا. وهي في هذا النطق تفقد الشدة والقلقلة أيضًا.

تطبيقات:

– الإدغام: الشين لا تدغم في الجيم في مثل افرِشْ جَبّلة وذلك لأن الإدغام يُضيع الخاصة البارزة للشين وهي التفشي. أما عكس ذلك فإن الجيم يجوز إدغامها في الشين مثل ابْعَج شيئًا تنطق ابْعَشَّيْئا. والبيان حسن أيضًا.

بين الفصحى والعامية:

الجيم والشين:

– (الجَمْع) هو الصَّمْغ الأحمر المعروف تنطقه العامة الشَّمْع الأحمر يبدلون الجيم شينًا لتجاور المخرجين، ولأن تعطيش الجيم قريب من جرس الشين. ومن هذا الإبدال أن العامة تنطق كلمة وَجْه: وِشّ فيكسرون الواو ويبدلون الجيم شينًا ويحذفون الهاء لتطرفها، ثم يضعّفون الشين. والعامة تقول للثوب المبلول إذا جَفّ وفيه بعضُ النداوة شَفْشف أو تشفشف وأصلها تَجَفْجَف.



حروف طرف اللسان

وهي تضم نحو شطر الأبجدية، ولعل ذلك لأن طرف اللسان أكثر مرونة، فتتأتى منه شتى الحركات والأوضاع.

وحروف طرف اللسان[1] عدة أنواع من عدة مخارج..

١- من ذلق اللسان مع ارتكاز طرفه أو تردد مسه لثة الثنايا العليا: اللام والنون والراء.

٢- من حافتي اللسان أو إحداهما مع ارتكاز طرفه على لثة الثنايا العليا - أي بين موقع طرف اللسان في اللام وموقعه في الطاء والدال والتاء: الضاد.

٣- من مقدم اللسان مع وصول طرفه - أو ارتكازه - على أصول الثنايا العليا وصفحتها: الطاء والدال والتاء.

٤- من طرف اللسان مع أقصى اقتراب منه إلى ما بين أطراف الثنايا وإلي صفحة الثنايا العليا: الصاد والسين والزاي.

٥- من طرف اللسان بامتداده بين أطراف الثنايا العليا والسفلى: الظاء والذال والثاء.



(٢) قال سيبويه في معرض الكلام عن إدغام لام التعريف في ثلاثة عشر حرفًا.. «وهذه الحروف أحد عشر حرفًا منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان. والأحد عشر حرفًا: النون والراء، والدال والتاء والطاء، والصاد والزاي والسين، والظاء والذال والثاء. واللذان خالطاها: الضاد والشين» الكتاب (٤/٤٥٧).

حروف ذلق اللسان

وهي اللام والراء والنون. وتخرج كل منهن بامتداد طرف اللسان حتى يلتقي بأعلى لثة الثنايا العليا، ثم يتخذ هواء كل منهن سبيلاً أو هيئة في خروجه مختلفة عما يتخذه الآخران.

اللام:

وتخرج بامتداد طرف اللسان حتى يلتقي بأعلى لثة الثنايا العليا، ويخرج صوتُها زامرًا من جانبي اللسان[1]. المجاورين للطرف المتلقى المذكور، ويصدق عليهما اسم ذلق اللسان.

وواضح أنها مجهورة فإن معها زميرًا، وأنها رخوة لأن النفَس لا يحتبس في مخرجها بل يمرّ، لكن سيبويه نظر إلى اعتراض اللسان - جزئيا - سبيل نفَسها الزامر فوصفها بالشدة (يقصد أن فيها من الشدة هذا المظهر) لكن لمرور نفَسها الزامر من جانبي اللسان - رغم ذلك الاعتراض وَصَفها مَن بعده بالتوسط بين الشدة والرخاوة[2].

ثم إنها مستفِلة لا يرتفع معها أقصى اللسان، ومنفتحة لا يجتمع في نطقها الارتفاعان.

أما وصف أختيها الراء والنون بالذلاقة فلخروجها بوضع طرف اللسان الوضعَ الذي ذكرناه، كما أنها تتميز بخفة تولدها وسلاسته، كاللام. ومن هنا ضُمّتْ إليها تحت هذه الصفة ثلاثةُ أحرف تشاركها في سلاسة الخروج أيضا وهي الفاء والباء والميم.

---

(١) وضعتها دائرتا المعارف البريطانية وتشمبرز في نهر الحروف اللثوية والأسنانية، والجانبية غير الاحتكاكية.

وفي الكتاب (الأميرية) ٤٠٥/٢ أنها «من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية» ٤٠٦/٢ «وليس يخرج الصوت من موضع اللام (أي من موقع طرَف اللسان معها) ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك».

(٢) انظر: (الكتاب ٤٣٥/٤)، وسر صناعة الإعراب (مثلاً) ٦٩/١ - ٧٠ .

وربما لم يشع إبدال اللام حرفًا غير ذلقي بسبب خفتها. وفي طُمْطُمانية حمير يبدلون لام التعريف ميما في مثل طاب الهواء - يقولون طاب امهواء. والميم تخرج من الشفتين وهما قريبتان من مخرج اللام، إلا أن ذلك القرب ليس شديدًا، وكذلك فإن صديهما متميزان بوضوح. ولعله لهذا قال ابن جني عن إبدال اللام ميمًا إنه شاذ لا يسوغ القياس عليه، وقد تعقبوه في هذا الحكم، لأن هذا الإبدال لغةُ قوم بأعيانهم[1] فلا يوصف بالشذوذ. وقد يجاب عنه بأنه يقصد ضعف مسوغاته الصوتية.

والألثغ قد ينطق اللام ياء لأن اللسان إذا قلت مرونته أو عجز عن مد طرفه مستدقًا إلى الحنك ليُخرج اللام اكتفي برفع وسط مقدمه فخرجت ياء[2].

ومن أسباب اللثغ أو العجز الذي أشرنا إليه قِصَرُ الرباط الذي يشد اللسان - من أسفل مقدّمه - إلى قاع الفم، فلا يمكن إيصال طرف اللسان إلى النقطة التي يتطلبها نطق الراء أو اللام، فتنطقان ياء.

وسنتناول إدغامها في حروف طرف اللسان (اللام الشمسية والقمرية) عند معالجة موضوع الإدغام في التطبيقات الصرفية.

الراء:

تخرج كما تخرج اللام بامتداد طرف اللسان إلى موضع اللام، إلا أن طرَف اللسان مع الراء لا يثبت كما يثبت مع اللام، وإنما يلمس أعلى لثة الثنايا العليا ويفارقها عدة مرات فيخرج الصوت مكررًا. فهي حرف مكرر باصطلاح سيبويه، مرتعد أو مرفرف Flapped باصطلاح المحدثين. والمعنيّ بذلك الوصف هو ارتعاد طرف اللسان مع لمسه اللثة أكثر من مرة عند نطقه[3].

---

(١) انظر: لهجات العرب للعلامة محمود تيمور ١٠٢ - ١٠٦ .

(٢) راجع في هذه النقطة الحديث عن الياء.

(٣) وضعت الدائرتان رمز الراء الموافقة للعربية في نهر الأصوات اللثوية المرتعدة. وهكذا وصفها الدارسون العرب المحدثون. ومع أن سيبويه حدد مخرجها بأنه من مخرج النون إلا أنه أدخل في ظهر اللسان فإنه لم يفصّل دَور ظهر اللسان بحيث يذكر أن صوتها (= النفس + الزمير) يمر من فوق ظهر اللسان إلى طرفه، وأن لمسات الطرف للحنك تقطعه فيسمع كأنه مكرر. بل عبّر بما قد يفهم منه أن صوتها ينحرف إلى =

وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين الصوتيين زامرًا لتضايق ما بينهما، ثم يستمر إلى تجويف الفم فإذا وصل إلى اللسان امتّد طرَفه مرتعدًا حتى يلمس لثة الثنايا لمستين أو أكثر فتسمع صوت الراء. فالراء مجهورة رخوة (وعند سيبويه متوسطة بين الشدة والرخاوة). مستفلة منفتحة ذلقية[1]، وقد وصفها سيبويه بالتفشي[2] إذا كان معها غيرها. والتفشي يعني انتشار الصوت عند خروجه، وهذا واضح فإنها تبدو وكأنها عدة حروف لا حرفٌ واحد.

وتتطلب هيئةُ إخراجها زيادة مرونة في طرف اللسان وحركاته. فإذا قل مدى المرونة وخفة الحركة حتى ثقُل طرف اللسان عن الارتعاد في نطق الراء لَثَغ في نطقها لامًا. فإذا عجز عن مد طرفه المستدق إلى الحنك خرجت ياء[3] وبعض الناس لا يطوع لسانه بنطق الراء الساكنة فينطقها نونًا لخروج النفَس بالصوت من الأنف لا الفم.

تطبيقات:

يكثر الإبدال بين اللام والراء لأنهما من موضع واحد تقريبًا (كما قلنا الآن) - كالمجلّف والمجرّف: الذي قد ذهب مالُه، وسهم أملط وأمرط: لا ريشَ له.

= جانبي اللسان فيخرج منهما كما يخرج صوت اللام منهما. (الكتاب ٤٣٣/٤ و ٤٣٥)، وقال في معرض تفصيل إدغام اللام في الراء في نحو (اشغل رحبة) «لقرب المخرجين (أي مخرجي اللام والراء) ولأن فيها انحرافًا نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجرى الصوت سواء، وليس بين مخرجيهما مخرج» (٤٥٢/٤). وهذا الفهم خطأ تمامًا. أما عن صفة التكرير فإنه أكد تكرير الراء في (٤٣٥/٤، ٤٤٨) ثم نجد صاحب نهاية القول المفيد ينقل ما يكاد يذهب السبب العضوي للتكرير فيقول (ص٨٤) «قال سيبويه إذا تكلمت بالراء خرجت كأنها مضاعفة وذلك لما فيها من التكرير الذي انفردت به دون سائر الحروف. وقد توهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرة بعد المرة... والصواب التحفظ من ذلك بإخفاء تكريرها... فينبغي للقارئ عند النطق بها أن يلصق ظهر لسانه بأعلى حنكه لصقًا محكمًا مرة واحدة بحيث لا يرتعد، لأنه متى ارتعد حدث من كل مرة راء» اهـ. وأقول إن هذا الذي يوصي به لا يُخرِج إلا لامًا فينبغي التنبه إلى ما في كلامه هذا من غلط، فإن الراء إنما تخرج بإرعاد طرف اللسان إرعادًا يجعله يلمس أعلى اللثة أكثر من مرة.

(١) انظر: ما قيل عن الذلاقة في حرف اللام.

(٢) الكتاب (٤٤٨/٤).

(٣) راجع التعليق ص١٢٣ عن الياء.

وجذع متقطّر ومتقطّل[1]: مقطوع مُلْقًى.

الإدغام:

عرفنا أن الراء أخت اللام في المخرج والصفات غير أنها تتميز عن اللام بأنها مكررة، ومن أجل هذا التكرير الذي عده سيبويه تفشيا مُنع إدغام الراء في اللام، في مثل اجبر لبطة. لأن الإدغام يتسبب في فقد صفة التكرير وهي صفة مهمة وفقدها يُعدُّ إجحافًا كبيرًا. وقد فعلوا الشيء نفسه مع الشين فكرهوا إدغامها في مجانستها، لأن إدغامها يذهب التفشي ويجحف بالكلمة.

أما إدغام اللام في الراء إذا تواليا فهو أحسن من بيانها، لأنهما من موضع واحد تقريبًا. وذلك مثل اشغل رّحبة، وانهل رّحيقا وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَل رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في قراءة من لم يسكت على لام «بل».

بين الفصحى والعامية:

الراء واللام:

والعامة تقول خدلت رجله ورجله خدلانه والفصيح خَدِرَتْ. فيبدلون الراء لامًا لتجانسهما في المخرج.

النون:

تخرج النون المظهرة بامتداد طرف اللسان حتى يستقر أعلى لثة الثنايا العليا، مع خروج هوائها كله وصوتها من الأنف[2]. وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين ثم يمر بين

---

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٥٠ - ٥١ وقد وقع الإبدال بين اللام والراء فيه في ٢٢ كلمة. ودعوى الإبدال في المجلف والمجرف مبنية على تسامح.

(٢) وضعت دائرة المعارف البريطانية وتشمبرز ال n التى تتفق مع النون العربية في نهر الحروف الأسنانية اللثوية والأنفية - وهناك أنواع أخرى. والذوق يثبت أنه لا عمل للأسنان فيها فهى لثوية أنفية فقط. ونحن نتفق في هذا التحديد لمخرجها مع أستاذنا د. إبراهيم نجا رحمه الله (التجويد والأصوات ٥٨/٩٦)، د. عبد الرحمن أيوب (أصوات اللغة ٢٠٢) ولكن د. إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية ٦٨)، ود. كمال بشر (علم اللغة العام الأصوات اللغوية ط ٥/١٣٠) عداها أسنانية أيضا لاعتماد طرف اللسان في نطقها على أصول الثنايا العليا والحقيقة أن اللسان لا يقتصر في نطقها على الأصول المكسوة باللثة - بل يمتد قليلاً إلى =

الوترين زامرا - لتضايقهما - حتى إذا أشرف على تجويف الفم انفتح أمامه سبيل تجويف الأنف فاتجه الصوت إليه (ومنه إلى الخارج) ويمتد طرف اللسان ليستقر أعلى اللثة سادا السبيل الفموي للهواء.

فالنون حرف مجهور رخو (وعدّه سيبويه متوسطًا بين الشدة والرخاوة) - مستفل منفتح ذلقي - أغن.

تطبيقات:

سبق أن أشرنا إلى أن بعض اللثغ يبدلون الراء الساكنة نونًا، لأنهما من موضع واحد، والنون أخف لأن اللسان يثبت معها فلا يرتعد وإنما تكسب غنتها المميزة من مرور صوتها في الخياشيم. ويبدو أن هذا الإبدال يكون لعيب خِلقيّ. أما الإبدال اللغوي فيقع بينها وبين اللام لأن دور اللسان في إخراجهما متماثل يقال هتّنت السماء وهتلت، والسُّدُون والسُّدُول: ما جُلِّل به الهودج من الثياب وأرخي عليه، والكَتَلَ والكَتَن: التلزج ولزوق (الأثر) بالشيء[1].

- الإدغام: تدغم النون في أختيها اللام والراء بلا غنة وبغنة مثل: من رأيت؟ من لنا إلا الله؟ كما تدغم بغنة وبلا غنة في الواو للتجاور واللين، وفي الياء كذلك لأن الياء يشترك في إخراجها مقدم اللسان كما سبق. مثل من يكون هنا. وللنون مع سائر

= الصفحة الداخلية للأسنان. والخطب هنا أيسر. وأما الأقدمون فقد قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ٥٢/١ (وهذه عبارة سيبويه أيضا إلا أن طبعة الكتاب تح هارون (طبعة الهيئة) أسْوت سطرا فجعلت معظم كلام سيبويه عن مخرج اللام لمخرج النون وأسقطت صدر الكلام عن مخرج النون. انظر الكتاب ٤/ ٤٣٣) قال ابن جني «ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ا هـ وفويق الثنايا هو لثتها. ثم قال سيبويه (٤٣٥/٤) «ومنها - أي من الحروف = حرف شديد يجري معه الصوت (لأن ذلك الصوت غنة) من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون». اهـ وما ذكره من أنها شديدة فإنما يعني اعتراض اللسان مجرى الصوت على ما فصّلناه في الكلام عن اللام، وقلنا إن الشراح وصفوها بالتوسط بين الشدة والرخاوة. وقد عددنا نحن الحروف التي عدوها متوسطة بين الشدة والرخاوة - عددناها رخوة، لأن النفس يمر من مخرجها حين نطقها.

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٣-٥ ولم يرد بين النون وبين غير الميم واللام إلا في حرف هو قرطاق وقرطان. وجاء أن أزد شنؤه تقول تفكهون، وتميم تقول تفكنون (المزهر ٤٧٢/١/٤٧٣). والذي في تاج العروس القرطاط والقرطان: الداهية، وهما أيضا: البرذعة أو الحلس. وما ليس فيه تجانس هو لهجات وليس إبدالاً.

الحروف الأبجدية أحكام أخرى سترد مفصلة في باب التجويد.

بين الفصحى والعامية :

اللام والنون:

في الفصحى «يالي» أسلوب استغاثة فهو يستغيث لأجل نفسه، العامة تقول «يانى» فتقلب اللام نونًا. وفي الفصحى يقال نظم الخيط في الإبرة والعامة تقول لضم فيبدلون النون لامًا والظاء ضادًا.

- ويقال في الفصحى نَقَّع الصارخ بصوته: رفعه. والعامة تقول رَقَعتْ بالصوت أي رفعت صوتها بالصراخ - يبدلون النون راء.

النون الخفية أو الخفيفة أو المخفاة:

هذه النون قال سيبويه عن مخرجها «ومن الخياشم مخرجُ النون الخفيفة» ولا عمل للسان في هذه النون. وبالخبرة نعرف أن اللسان يبقى في نطق النون المخفاة ممتدًا في وسط تجويف الفم أي لا يرتفع إلى سقف الحنك ارتفاعًا يعتد به، وهي في صفاتها كالنون المظهرة. (أما في الإدغام بغنة فإن اللسان يرتفع أكثر لكن لا يصل إلى سقف الحنك).

وهناك أنواع من الإخفاء سيأتي بعضها في قسم التجويد.

الضاد:

وتخرج من بين حافتي اللسان - أو إحداهما - وما يحاذيهما من الأضراس العليا، مع التقاء طرف اللسان بلثة الثنايا وأصولها بين موقع طرف اللسان مع اللام، وموقعه مع الطاء وأختيها، ويخرج الهواء الزامر من الشدقين أو أحدهما. وهذا التحديد لمخرج الضاد ذكر أصله أئمة القدماء.

تحديد سيبويه لموقع طرف اللسان في نطق الضاد:

وما يظن جديدًا في هذا التحديد ليس جديدًا، فقد ذكره سيبويه، حيث حدد موقع طرف اللسان معها بأنه بين موقع طرف اللسان مع اللام وموقعه مع الطاء فقال إن الضاد

«استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام» (ووضع طرف اللسان مع اللام عنده أنه يكون فويق الثنايا.. أي يرتكز على لثتها أعلى من أصولها بيسير) وتطأطأت عن موقع طرَف اللسان مع اللام حتى خالطت أصول (الثنايا)، ولم تقع من الثنية موضع الطاء... التي تضع لسانك لها بين الثنيتين»[1] وأنا أنطقها وأعلمها طلابي حسب الوصف القديم تماما.

وزكى هذا النطق أمام نخبة من العلماء - عالمُ القراءات المعمّر الشيخ إبراهيم شحاته السمنودى المولود في منتصف يوليو ١٩١٥م. (وقد توفى رحمه الله في ٧ رمضان ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨/٩/٧م) وعدّه هو النطق الصحيح، ولم يقبل نطق الضاد شديدة كما يشيع في مصر. ووقع ذلك في زيارة من لجنة من كلية القرآن الكريم[2] بطنطا إليه في منزله بسمنود يوم الأحد (٨ من ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ =٢٠٠٠/٦/١١م).

وينطلق الهواء لها من الرئتين حتى يمر بين الأوتار الصوتية زامرا لتضايق ما بينهما - حتى إذا وصل إلى أول تجويف الفم استعلى أقصى اللسان فصدّ النفَس الزامر عن وسط الفم فانحرف إلى جانبي اللسان، ويتقعر وسط اللسان ويمتد طرفه مرتفعا حتى يماس لثة الثنايا العليا وأصولها، مع التقاء أسنان الفكين حينئذ أو تقاربهما جدًا. ويمر الهواء بحافتي اللسان إلى الشدقين حيث يخرج منهما، أو لا يتفرق فيخرج من أحدهما. وقيل إن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يخرجها من الجانبين، وكذلك كان عمر رضي الله عنه[3].

---

(١) أصل هذا الذي ذكرناه في كتاب سيبويه ٤٥٧/٤ سطر ٩ - ١٠ و ٤٦٥ سطر ٤ - ٦ ونصه هنا «لأنها (أي الضاد) اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين».
وقال في ٤٦٦/٤ «لأنها قد خالطت... باستطالتها الثنية (يعني أصول الثنايا) وهي مع ذا مطبقة» اهـ.

(٢) كانت اللجنة برياسة فضيلة الأستاذ الدكتور جودة محمد المهدي عميد كلية القرآن الكريم بطنطا، وضمت الأستاذ الدكتور سامي عبد الفتاح هلال وكيل الكلية والأستاذ الدكتور حمدي عجوة الأستاذ بكلية العلوم جامعة طنطا، وأ.د. محمد حسن جبل مؤلف هذا الكتاب.

(٣) أ- ينظر البيان والتبيين ٦٢/١ وفيه أيضًا أن الضاد لا تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا إن كان المتكلم أعسرَ يَسَرًا فيخرجها من أي شدقيه، ولا يمكن غيرَه ذلك إلا بالاستكراه الشديد. وانظر أيضًا لطائف الإشارات ١٩٢/١ ، ونهاية القول المفيد ٣٦٥ والمراجع المذكورة فيه.
ب- لمحة من الوصف الواضح لنطق الضاد في ما نقله د. رمضان عبد التواب عن أبي بكر الصدفي (٦٣٤هـ) في زينة الفضلاء. لابن الأنباري تحقيق: د. رمضان ص١٩.

وواضح من هذا الوصف أن الضاد حرف مجهور رخو مستعل مطبق مصمت. ولكن هناك - على مستوى النطق الواقعي في الأقطار المختلفة - صفات وهيئات ذُكرت عن الضاد تجعل ما سقناه آنفًا ضادًا واحدة من مجموعة ضادات. فقد روى ابن الجزري عن ابن جني في كتابه «التنبيه» أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقا في جميع كلامهم. وهذا غريب وفيه توسع للعامة، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك وهم أكثر المصريين[1] وبعض أهل المغرب، ومنهم من يجعلها دالًا مفخمة، ومنهم من يخرجها لامًا مفخمة - وهم الزيالع ومن ضاهاهم لأن اللام مشاركة لها في المخرج لا في الصفات فهي بعكس الظاء - لأن الظاء تشارك الضاد في الصفات لا في المخرج[2].

والمرجح أن ما عدا نطق الضاد ظاء مطلقا هو من كلام ابن الجزري (أعني في النص السابق) وقد ذكر في النشر نطق الضاد ظاء، وذالا، ولاما مفخمة، وشبيها بالزاى[3] وقد سمعت أنا أهل نيجيريا - وهم من الموصوفين بالزيالع - ينطقون اسم مُرتَضَى وكأنه مُرْتلى (بلام مفخمة ويكتبونه بالإنجليزية Mortala).

فإذا أضفنا إلى ذلك أن سيبويه ومن تبعه عدُّوا من الحروف الفرعية المستقبحة الضاد الضعيفة[4]، ولم يَصِفُوا صوتها، وقال ابن يعيش عن هذه الضاد الضعيفة، «والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم (أي الضاد) فربما أخرجوها ظاء. وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأتَّ لهم ذلك فخرجت بين الضاد والطاء...»[5]

---

(١) يؤخذ من كلام ابن الجزرى هذا أن الطاء الفصحى شبيهة بالضاد المصرية، وهي كذلك في نطق أهل صعيد مصر.

(٢) نهاية القول المفيد ٧٧، ٧٨، وهو عن التمهيد لابن الجزري ١٣١ ، وليس في التمهيد نطقها دالاً مفخمة فلعله سقط بانتقال النظر.

(٣) النشر لابن الجزري ١٠٢١٩/١ . (٤) الكتاب ٤٣٢/٤، سر صناعة الإعراب ٥١/١.

(٥) شرح المفصل ١٢٧/١٠. وكلمة «ظاء» التي في قوله «فربما أخرجوها ظاء» كتبت في شرح المفصّل مهملة وهذا لا يصح، ما دام قد قال عنها إنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا. فالذي =

تحصل لنا من كل هذا أن الضاد تُنطَق – إلى جانب الصورة الفصحى الناتجة من اتباع طريقة إخراجها ووصفها كما ذكرها الأئمة المتقدمون – على الأنحاء أو الصور التالية.

أ – ظاء – كنطق العراقيين. وهي ليست الظاء الفصحى وإنما الظاء العامية التي تشبه الزاى المفخة، ويكُون طرف اللسان فيها خلف ملتقى الثنايا العليا والسفلى. وأرجح أن هذه هي المقصودة بالضاد الضعيفة.

ب – طاء (فصيحة – كنطق أكثر المصريين للضاد أى أن نطقنا للضاد هو النطق الفصيح للطاء – تقريبًا.

جـ – دالاً مفخمة – كنطق بعض المصريين وبخاصة النساء.

د – لاما مفخمة كنطق أكثر إخواننا النيجيريين.

هـ – (ممزوجة بالذال). ⎤
و – (مشمة زايا). ⎦ «والراجح أن هاتين من صور رقم (أ)».

ز – شبيهة بالثاء. وأرجح أن هذه أيضًا من صور (أ) لكنها أكثر بعدًا.

ح – بين الطاء والضاد. (والراجح أن هذه هي عين رقم ب).

هذه تسع صور فأيتهن الفصحى؟ الذي أجزم به هو أن الضاد الفصحى هي التي تُنطَق تبعًا لما حدده سيبويه وتابعوه بشأن مخرجها وصفاتها، وهي التي سبق أن وصفنا طريقة إخراجها. وهي رِخْوة يشبه صَدَى صوتها صَدَى صوت الظاء، لكن صدى صوت الضاد أغلظ وأفخم وليس معها إخراج لسان. ومن أقوى ما يشهد لأفصحية هذا النطق أن سيبويه ذكر علامة نطق الحرف الرخو أنه يمكن مد الصوت به إذا وقفتَ عليه ومثَّل لذلك بكلمتين أحداهما آخرها (س) مشددة وهي «الطسّ»، والأخرى آخرها (ض) مشددة وهي «انقضّ» أي أنك تستطيع أن تقول الطَسّ س س س ... وأن تقول انْقَضّ ض ض ض، وهذا لا يتأتى فى الضاد إلا إذا

= يخرج بهذا هو الظاء المعجمة: إن أخرج اللسان معها كانت فصحى وإلا كانت عامية. وكلمة «والطاء» التي في آخر النص المنقول كتبت معجمة. ولكن السياق يقضي بإعجام الأولى وإهمال الأخيرة كما أسلفنا، وكما أثبتناه في النص هنا. وأرجح أن النطق الذي وصفه بأنه بين الضاد والطاء هو الضاد المصرية.

كانت رخوة، ويستحيل وقوع هذا المدّ في نطق الضاد المصرية لأنها شديدة. ثم إن الضاد الفصحى التي وصفنا طريقة إخراجها يشبه صداها صدى الظاء كما قلنا.

والدليل على أن الضاد الفصحى تحمل صدى مشابها لصدى الظاء ما سجله القدماء من وقوع الالتباس بينهما منذ وقت مبكر: وأدلة تشابه صدى صوتيهما ما يلي:

أ - فقد قال أبو عمرو (١٥٤هـ) سمعت غير واحد من الفقهاء يقول إن الصلاة غير جائزة خلف من لايميز الضاد من الظاء ولم يفرق بينهما بمعرفة اللفظ[1]. أي أن التباس صوت كل منهما بصوت الأخرى لشبهه به واقع منذ صدر القرن الثاني، وربما منذ القرن الأول).

وذكر الجاحظ قصة رجل كانت له جارية تسمى ظمياء فكان يناديها يا ضمياء، وكان ابن المقفع (المتوفي ١٤٥هـ) يغيّر عليه حتى جبّهه الرجل. وحكى الفراء (٢٠٧هـ) عن المفضل (١٦٧/١٧٧هـ) قال «من العرب من يبدل الضاد ظاء فيقول عظّت الحرب بني تميم» ومن العرب من يعكس فيبدل الظاء ضادا فيقول في الظُّهر ضُهر»[2].

ب - وألف الأئمة من قديم تآليف خاصة بالتمييز بين الضاد والظاء - ولولا أنهما كانتا متشابهتين في صَدَيَيْهما إلى درجة التباس إحداهما بالأخرى ما استدعى الأمر تآليف خاصة لكشف ذلك الالتباس[3].

---

(١) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ٥٨ .

(٢) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ٥٥ .

(٣) هذه الفكرة سبق إليها ابن سنان الخفاجي. قال في (سر الفصاحة ٥٧) إذا تأملت (اللغات الأخرى) وجدت بعض الحروف التي فيها يتشابه بعض كثيرًا على جد تشابه الظاء والضاد في لغة العرب فإن هذين الحرفين لتقاربان، لأجل ذلك احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما ولم يتكلفوا ذلك في غيرهما من الحروف».

(٤) ينظر تحقيق د. حاتم الضامن لكتاب الاعتماد في نظائر الظاء والضاد «لابن مالك ٦-١٢ حيث أورد قائمة من تسعة وثلاثين كتابًا في الضاد والظاء، ثم استدرك عليها أحد عشر كتابًا في تحقيقه لكتاب أبي الحسن بن علي بن أبي الفرج القيسي الصقلي» في معرفة الضاد والظاء» ص١٠ وكان د. رمضان عبد التواب قد ضمن تحقيقه لكتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات بن الأنباري قائمة من ثلاثين مؤلفًا أفاد منهما د. حاتم الضامن في قائمته.

وقد أحصى بعضُ اللغويين المحدثين من تلك المؤلفات خمسين مؤلفا[1]، طُبع منها كثير؛ أما سبيل التمييز بين الضاد والظاء في تلك الكتب فإن الجمهور الأعظم منها جعل سبيله إلى التمييز تعيين الكلمات التي فيها ظاء وحدها[2]، أو مع الكلمات التي فيها ضاد أيضا، أو سرد أزواج الكلمات التي تناظرتا فيها. والسبيل الثاني - وقد اتخذتْه كتبٌ جِدُّ قليلة - هو بيان مخرج كل من الحرفين وصفاته وما يتميز به كلٌّ عن الآخر، وقد جمع الإمام أبو عمرو الداني في كتابه بين السبيلين[3].

والأهم لنا هنا هو السبيل الثاني. وأشفى معالجة وأوفاها هي معالجة علي بن غانم المقدسي (١٠٠٤هـ) وقد أثبت فيه أدلة علمية صحيحة عقلية ونقلية (أي عن الأئمة) لتشابه صدى الضاد الفصيحة والظاء، وأن الفرق بينهما إنما هو في المخرج، وساق أقوال سبعة من الأئمة المشهورين في إثبات التشابه بين صدى الحرفين، منهم مكي بن أبي طالب والسخاوي والجعبري وابن الجزري والتُّجيبي والهواري[4] ولم يذكر ضمن هؤلاء أبا عمرو الداني (٤٤٤هـ) - مع أنه نص على أن الفرق بين الظاء والضاد إنما هو المخرج والاستطالة لا غير، وهي بعد ذلك موافقة لها في الجهر والرخاوة[5]، وكذلك لم يذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) مع قوله مُهَوّنا من كثرة حروف بعض اللغات الأخرى: «إنك إذا تأملتها (أي تلك اللغات) وجدت بعض الحروف التي فيها يتشابه بيعض كثيرا، على حَدّ تشابُه الظاء والضاد في لغة العرب، فإن هذين الحرفين متقاربان، لأجل ذلك

---

(١) من أمثلة ذلك قول القاسم بن علي الحريري (المزهر ٢/٢٨٦):

أيها السائلي عن الظاء والضا ... د لكيلا تُضِلَّه الألفاظُ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعـ ... ـها استماع امرئٍ له استيقاظُ
هي ظمياء والمظالم والإظـ ... ـلام والظلم والظُّبَى واللِّحاظُ

[الخفيف]

إلخ. وفي رسالة ابن مالك (المزهر ٢/٢٨٢) «تتعين الظاء بافتتاح ما هي فيه بدال لاحاء معها، وبكونها مع شين لا تليها إلا شَمَظَهُ مَلَكَ قلبَهُ... إلخ.

(٢) انظر كتابه «الفرق بين الضاد والظاء» بتحقيق د. أحمد كشك ص٦١ - ٦٢ ثم سائر الكتاب.

(٣) ينظر بغية المرتاد لتصحيح الضاد «مجلة المورد» (عدد١) ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) المرجع قبل السابق ٦١ - ٦٢ .

(٥) سر الفصاحة ٥٧ .

احتاج الناس إلى تصنيف الكتب في الفرق بينهما ولم يتكلفوا ذلك في غيرهما من الحروف»[1].

ج - قوبلت الضاد في الفواصل والقوافي بالظاء - ولولا تشابه صدييهما ما جاز ذلك. قال أبو الأسود (٦٧/٦٩هـ) لغلامه: ما فعلت امرأة أبيك التي كانت تشارّه، وتجارّه، وتزارّه، وتمارّه؟ قال: خيرا، طلقها وتزوج غيرها فحَظِيتْ ورضيت وبظيت[2]. فقابل الظاء في حظيت وبظيت بالضاد في رضيت.

وثبوت التشابه والالتباس منذ القرن الأول أو الثاني دليل على أن صدى الضاد في نطق القدماء كان يشبه صدى الظاء. فهو النطق الفصيح لأن القرن الأول والثاني هما آخر قرون الاحتجاج.

على أنه يمكن الحكم بأن التخفف في نطق الضاد بأدائها شديدة كان يقع منذ وقت مبكر بسبب الكلفة في أدائها فصيحة أي رخوة جانبية كما وصفنا. وتكون في هذا النطق المتخفف كالضاد المصرية التي تشبه الدال المفخمة. وشاهد وقوع هذا النطق مبكرا قول الأغلب العجلي - حين استنشده عاملُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أَرجزا تريد أم قصيدا - رُوِيَ: أم قريضا -

لقد سالت هينا موجودًا

أم هكذا بينهما تعريضًا.

كلاهما أجيد مستريضا[3].

فمقابلته الضاد في القافية بالدال في كلمتي «قصيدا» و«موجودا» أو الأخيرة فقط يعني أنه كان يحس أنهما متقاربان وكأنهما سواء - وهذا لا يكون إلا بنطق الضاد شديدة. ولهذا الأمر - إن صحت الرواية به - قيمته؛ إذ يعني أن الضاد المصرية (= الدال الشديدة المفخمة) لها أساس قديم فصيح.

---

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ص٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١/١٤٠، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥١٦ ، وبعض روايات هذا الرجز خالٍ من الشاهد. وفي قصة مَثَل «يسار الكواعب» ما يشهد لقدم نطق الضاد شديدة.

- وأيضا نجد في وصف ابن سينا لخروج الضاد أنها شديدة.

بقي بيان سبب تسمية العربية لغة الضاد. إن سبب ذلك هو تفرد العربية بهذا الصوت إذا أُدي الأداء الفصيح، وأنه يكون حين هذا الأداء ضخم الوقْع مجهدا. ولعل الجهد الذي يتطلبه إخراجُه فصيحا هو سبب تصرف الألسنة فيه على الصور التي أسلفناها من قبلُ تَخفُّفا. ولقد قيل بتفرد العربية بأصوات أخرى كالعين والحاء والظاء. لكن العين والحاء مستعملتان في السريانية والعبرية. وإذا صدق تفرد العربية بالظاء كان تفردها بالضاد أصدق[1].



(١) انظر ما ذكرناه في هذه النقطة عند المقارنة بين الأصوات العربية وغيرها (الوحدة الصوتية والصورة الصوتية). وللكلام عن الضاد انظر العين ٦٤/١ - ٦٥ ، والكتاب ٤٣٣/٤ - ٤٣٦ - وما أشرنا إليه من قبل، سر صناعة الإعراب ٥٢/١، ٦٨ - ٧١، أسباب حدوث الحروف ١٠، نهاية القول المفيد ٦٠/٣٦/ ٧٧ ، العربية ليوهان فك ١٠٢ - ١٠٣ وكتب الأصوات للأساتذة د. أنيس ٤٨، د. إبراهيم نجا ٥٣، د. أيوب ٢٠٢، د. كمال بشر ١٠٤ .

حروف مقدم اللسان أو طرفه مع أصول الثنايا العليا وصفحاتها

أ - الطاء والدال والتاء:

وهن يخرجن بالتقاء مقدم اللسان أو طرفه بأصول الثنايا العليا وأعلى صفحاتها - أي دون أطرافها - التقاء محكما[1] ونقصد بأصول لثتها ما يشمل لثتها المغطية لجذورها. فهي لسانية من جهة، وأسنانية من جهة أخرى.

ولكل منهن حديث.

الطاء:

فالطاء تخرج بالتقاء مقدم اللسان وطرفه بأصول الثنايا العليا ولثتها وأعلى صفحتها. وذلك مع ارتفاع أقصى اللسان وتقعر وسطه، لأنها مستعلية مطبقة. والشعور بضغط نطقها يشمل اللسان كله تقريبا. ومع الدال تقل مساحة ما يلتقى من مقدم اللسان وطرفه بأصول الثنايا العليا وصفحتها، والشعور بضغط نطقها يقتصر على مقدم اللسان وطرفه، وكأنه طولي، لعدم تقعر وسط اللسان؛ لأنها مستفلة، منفتحة أيضًا.

- ويندفع للطاء الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين زامرا - لتضايقهما، حتى إذا وصل إلى تجويف الفم استعلى أقصى اللسان وتقعر وسطه، بحيث ينحصر نَفَسها بين الوسط المتقعر والنطع مع الغار، وامتد مقدم اللسان وطرَفه ليلتقي باللثة وصفحة الثنايا - على ما وصفناه - التقاء محكمًا، فنسمع صوت الطاء.

فالطاء حرف مجهور، شديد، مستعل، مطبق مفخم، مصمت يقلقل إذا سكن. وهذا

---

(١) في كتاب سيبويه ٤٣٣/٤ «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»، ٤٥٨/٤ «كما أن الطاء وأخواتها من الثنايا»، ٤٦٥/٤ «لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين». وعبارة ابن سينا أن الطاء من الحروف الحادثة عن القلْع دون القرع أو مع القرع. أما عبارة الخليل فهي أن «الطاء والدال والتاء نطعيه، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى» (العين ٦٥/١). والنطع هو مقدم الغار الأعلى. فلعل الخليل كان يقصد أن هذا الجزء - أي ما بين اللسان والنِّطَع هو الذي ينحصر عنده الهواء في نطق الطاء (وأختيها) دون فروق، فكأنهن يتولدن فيه. وقد تبع ابن جني في (سر صناعة الإعراب ٥٣/١) عبارة سيبويه.

الذي وصفناه هو الطاء الفصحى التي وصفها الأقدمون. ولا يزال أبناء صعيد مصر الأقحاح ينطقونها، وهي تشبه في صداها **الضاد** المصرية الشديدة، وقد قال ابن الجزري إن أكثر المصريين وبعض أهل المغرب يخرجون الضاد **ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك»**[1] وهو يقصد الطاء الفصحى ولاشك. فاستنتجنا نحن من كلام ابن الجزري أن نطق الضاد المصرية الذي يشيع على ألستننا الآن شبيه جدا بنطق الطاء الفصحى. وبعبارة أخرى أن نطق الطاء الفصحى يشبه نطق الضاد المصرية. وأيد ذلك أن نطق الطاء قريبة من الضاد المصرية هكذا هو الذي يتحقق فيه الجهر وسائر صفات الطاء الفصحى، وأن نطق أهل صعيد مصر للطاء يكاد يطابق ضادنا المصرية. فهو النطق الفصيح للطاء لأنه يتحقق فيه مقررات الأئمة عن الطاء. ولا عجب في هذا فأهل صعيد مصر جمهورهم قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية. ثم هم معروف عنهم قوة الحفاظ على الموروث. أما الطاء التي ينطقها أهل شمال مصر وتشيع الآن فهي مهموسة، فليست هي الفصحى قطعًا. ولعل طاءنا هذه هي المقصودة بالكلام عمن ينطقون الطاء تاء[2].

ودليل آخر أن من شعراء العرب من قابل الطاء بالدال في قوافي الشعر، ولا يستسيغون ذلك إلا إذا كان صدى الطاء والدال متشابها، وهما لا يكونان متشابهين إلا إذا كانت الطاء مجهورة كما وصفوها قديما. وهي حينئذ تكون كالضاد المصرية الشديدة التي ننطقها الآن وتشبه الدال ولا تمتاز عنها إلا بالتفخيم. قال الراجز:

إذا رحلتُ فاجعلوني وَسَطا ... إني كبير لا أُطيق العُنَّدا[3]

وقال أبو النجم:

جاريةٌ مِنْ ضَبَّةَ بنِ أُدِّ...

---

(١) انظر نهاية القول المفيد ٧٨ .

(٢) ذكر هذا النطق سيبويه في الكتاب ٤/٤٣٢ ومن بعده ابن جني (سر صناعة الإعراب ١/٤٦). وابن سنان (سر الفصاحة ٢٢) وابن يعيش - مع فضل بيان - (شرح المفصل ١٠/١٢٧) والفيروزآبادي وسماها طاء العجز والضرورة (بصائر ذوي التمييز ٤/٤٩٢).

(٣) لسان العرب (عند) ٤/٣٠١ .

كأن تحتَ دِرْعِها المنعَطِّ..

شطًّا رميتَ فوقَه بشَطِّ[1]

أما سر التطور الذي أصاب صوت الطاء على ألسنة بعض المصريين وغيرهم فهو التخفف من ثقل الفصحى بتجريدها من الجهر. ولعل أصل ذلك من التأثر بالطاء الفارسية في العصر العباسي، فهي مهموسة.

الدال:

وتخرج بالتقاء طرف اللسان بلثة الثنايا العليا مع لمس أعلى صفحتها - على ما وصفناه من قبل. ويمر لها الهواء بين الوترين زامرا حتى إذا وصل إلى تجويف الفم لم يرتفع أقصى اللسان ولم يتقعر وسطه وإنما يمتد طرفه ليلتقي بلثة الثنايا وصفحتها التقاء محكما يحبس النفس.

فهي مجهورة شديدة مستفلة مصمتة تقلقل إذا سكنت.

التاء:

وهي كالدال إلا أنها مهموسة يمر لها الهواء بين الوترين غير زامر لسعة انفراجهما، حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان ليتلقي بصفحتيْ الثنيتين ولثتهما التقاء محكما يحبس النَفَس.

فهي مهموسة شديدة مستفلة منفتحة مصمته. وهي غير مقلقلة، إذ لم يجتمع لها الجهر والشدة. وأما وصف السكاكي[2] - ومن تابعه - التاء بالجهر فمبنيّ على تلخيصهم معنى الجهر في عبارة «منع النفس» وحدها من تعريف سيبويه للجهر. وهي نظرة ينقضها المعنى اللغوي للجهر.

---

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٥٨ (وهناك مزيد من الأمثلة) وتكملة رجز أبي النجم في اللسان ٢٢٦/٩ .

(٢) مفتاح العلوم ٥ - وقد أوردنا نص كلامه في ص٩٨ عند الكلام على الكاف.

وطرَف اللسان الذي يلتقي مع الثنايا ولثتها في هذه الثلاثة - يكون نقطة الالتقاء منه مع التاء أدق، ومع الدال تمتد نقطة الالتقاء إلى ظهر اللسان قليلا. ومع الطاء تتسع مع ذلك الامتداد فهي في القوة والغلظ بهذا الترتيب: الطاء أغلظ، والتاء أدق، والدال متوسطة.

تطبيقات :

ولا تحادهن في المخرج تقريبا، وتقارب أصدائهن - وقع بينهن **الإبدال** إلا أنه بين الدال والتاء أكثر منه بين الطاء وأي منهما[1] - لأن غلظ الطاء باعد بينهما. كسدى الثوب وسَتاه (= ما مُدّ من خيوطه طولا من المنوال عند النسج)، والدُّوَلة والتُّوَلة (بضم ففتح) الداهية، والدَّفْتر والتَّفْتر، ومثل مَدّ الحرف ومَطّه، والإبعاد والإبعاط، وقَرْمَدَ الخُطا وقرمطها: ضيقها، ومثل الأقطار والأقتار: النواحى، ما أَسْطِيع وما أستيع، والتُّخوم والطُّخوم.

- وفي **التعريب** وقع مثل ذلك الإبدال فالدُّخدار أصله بالفارسية **تخت دار**، (التخت: وعاء تصان فيه الثياب) والطازج أصله تازه (والعامة تقول طازة)، والرُّسْداق أصله رُسْتاق (كل موضع فيه مُزْدَرَع وقُرَى = ريف أو منطقة زراعية) والبِطْريق أصله بتريريك[2].

الإدغام:

وتدغم كل منهن في الأخرى. تقول اضْبِط دُّلاما، واضبِط تّلك، وانْقد طّالبا، وانْقد تّلك، وانعَت طّالبا، وانعت دُّلاما بالإدغام فيهن[3].

ومن الجدير بالذكر هنا أن إدغام الطاء في التاء أي في مثل اضبِط تّلك يجوز فيه إذهاب صفة الإطباق التي هي خاصة بالطاء دون التاء - وذلك حسب الأصل في

---

(1) ذكر في كتاب القلب والإبدال لابن السكيت ١٢ كلمة فيها إبدال بين التاء والدال (ص٥٣)، ٩ للإبدال بين الدال والطاء، ٧ للإبدال بين التاء والطاء (ص٤٧).

(1) انظر المعرب للجواليقي ١٨٩ ، ٢٧٧ ، ٢٠٦ ، ١٢٤ على التوالى.

(2) ينظر الكتاب ٤/٤٦٠ - ٤٦١ .

الإدغام وهو إفناء الحرف الأول في الثانـي. وعلى هـذا قـرأ أبـو عمـرو قـوله تعالى: ﴿يا حسرتا على ما فَرَّتُّ في جنب الله﴾ بالتاء دون إطباق مع أن أصلها «فَرَّطْتُ». ولكن أهمية صفة الإطباق وقوتها رجّحت إبقاءها في الإدغام فتقرأ «فرطت» و«أحطت» بإبقاء الإطباق[1].

بين الفصحى والعامية:

التاء والطاء:

– في العامية يقلبون التاء طاء أحيانًا كما في نطقهم قُتْرة الأرنب أي الجحر الأرضي الذي (كان) يحفره ليعيش فيه هو وما يلده. ويبدو هذا انتقالاً من حرف خفيف (التاء) إلى حرف ثقيل (الطاء). وجاء هذا بتأثير وجود القاف لأنها مستعلية مفخمة، فاستثقلوا الانتقال من مفخم إلى مرقق، ففخموا التاء فانقلبت طاء لأن هذا هو الفرق بين التاء والطاء المهموسة.

– وسمعت بعض المصريات يقلن بتّيخ وكلية التّبّ – فيقلبن الطاء تاء ترققًا وتظرفا. وهو نطق مقزز.

☆ ☆ ☆

(١) ينظر شرح المفصل ١٠/١٤٥ – ١٤٦ .

حروف أسلة اللسان مع صفحتي الثنيتين العليين

الصاد والسين والزاي:

وهن أَسَليات يخرجن من بين أَسَلة اللسان وهي مستدق طرفه، وصفحة الثنايا العليا. فهن أسنانيات أيضًا[1]. وإنما تفصل بينهن الصفات. ولخروج أي منهن تمتد أسلة اللسان حتى تقترب من صفحتي الثنيتين العُليين فلا يبقى للهواء إلا منفذ دقيق بين أسَلة اللسان وصفحتي الثنيتين، فيخرج منه صافرًا.

ومع الزاي يخرج من الأوتار الصوتية زمير يصحب نفَسها فيخرج مجهورًا، وهي رخوة منفتحة مستفلة مصمته.

ومع الصاد يخرج النفَس بلا زمير، ويستعلي أقصى اللسان ويتقعر وسطه ويرتفع مقدمه أيضًا فيتكون فراغ يكون الحنك كالطبق له - يغلِّظ الصفيرَ ويفخمه. فهي مهموسة رخوة مطبقة مستعلية مصمتة.

ومع السين لا ارتفاع لأقصى اللسان أو مقدمه، ولا تقعر ولا زمير، فهي مهموسة رخوة منفتحة مستفلة مصمتة.

(تطبيقات):

ولتجانسهن وقع الإبدال بينهن كثيرًا. فبين السين والصاد في مثل: سفق الباب وصَفَقه، وسَفَط وصَفَط (وعاء كالجُوالق أو كالقُفَّة)، وماء سُخْن وصُخْن[2]. وبين

---

(١) ذلك تحديدنا المبني على الملاحظة وهو لا يخالف ما قرره الخليل من أن الصاد والسين والزاي أسلية (العين ١/٦٥) وسيبويه من أنهن يخرجن من بين طرف اللسان وفويق الثنايا (الكتاب ٤/٤٣٣) وتبعه ابن جني (سر الصناعة ١/٥٣) وتحدث ابن سينا (أسباب حدوث الحروف ١١) عن كيفية خروجهن بانطباق اللسان على الحنك - أو اقترابه منه جدًا - وخروج الحرف بتسرب النفس من المضيق بينهما. وكلامه عن إنطباق اللسان على الحنك في نطق هذه الحروف مردود. ووضعت دائرتا المعارف البريطانية وتشمبرز صوتي Z ، S في نهر الأصوات الأسنانية واللثوية. كما وضعت صورًا منهن في أنهار الأصوات اللثوية الحنكية، والحنكية اللثوية، والراجعة. وانظر نهاية القول المفيد ٣٧ ، ٨٩ ، والتجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ٥٩ - ٦١ . الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ٧٧، وأصوات اللغة د. أيوب ٢٠٤ .

(٢) القلب والإبدال لابن السكيت ٤٢ .

السين والزاي مثل مكان شَأْسٌ وشَأْزٌ: غليظ، ونَزَغَه ونَسَغه: طعنه بيد أو رمح، والشَاسِبُ والشَازِبُ: الضامر[1] وبين الزاي والصاد مثل جاءتنا زِمْزِمة من بني فلان وصِمْصِمة أي جماعة. ونَشَزَت المرأة على زوجها ونَشَصَت (عَصَتْهُ مستعلية)، والشُّرْزُ والشُّرْس واحد وهو الغلظ[2]. (= خشونة أو دغك شديد/ سُوء خُلق)

وقد وقع الإبدال بين السين والشين لخروجهما من مقدم اللسان مع طرفه كالجِحَاس والجِحَاش: المزاحمة، وناقة سِرْداح وشِرْداح: طويلة أو كثيرة اللحم. وَحَمِسَ الشر وحَمِش: اشتد.

وفي اللغة الفارسية تنطق الصاد كالسين[3]. وينقل ما هو بالزاي صادًا كالبُوصِيّ أصله بُـوزِى : (ضَرْبٌ مـن السفن)، وما هو بالشين ينقل بالسين كالبنفسج أصله ينفْشَه، والدّشت أصله دشت[4]. والسين في العربية تقلب شينًا في العبرية مثل سلام وشالوم.

وتدغم كل منهن في الأخرى: احبس صابرًا، افحص سَالمًا، رز سُلَيْمًا، احبس زُهيرًا، أوجز صَادقًا، افحص زّيدًا.

بين الفصحى والعامية:

السين والصاد:

– في الفصحى «الخلابيس: الأباطيل والأشياء التي لا نظام لها ولا تجري على استواء. أخذت منها العامية الخَلْبوص (بقلب السين صادًا) وهو الملتوي غير المنضبط. وفي الفصحى أيضًا الخلابيس: اللئام من الناس وفي الفصحى كذلك الخَلْبوص (بوزن قربوس): الطَرّارُ وهو ما يسمى الآن: النشّال. فهذا ساعد على إكساب «الخلْبصة» العامية معناها.

---

(١) القلب والإبدال لابن السكيت ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) ذاته ٤٠ .

(٣) انظر القطوف واللباب في اللغة الفارسية للعلامة حامد عبد القادر ٨، القواعد الكافية في اللغة الفارسية.

(٤) انظر المعرب للجواليقي ١٠٢، ١٢٧ ، هامش ١٨٦ على التوالى، والبوصي ضرب من السفن، والدشت الصحراء.

– وكلمة بَلْبُوص التي تستعملها العامة تأكيدًا لمعنى العُرْي نرى أن أصلها «بِلاَ لَبُوس» فحذفوا إحدى اللامين وقلبوا السين صادًا.

– وكلمة هَجّاص بمعنى الذي يقول كلامًا لا أصل له هي من الهَجْس بسكون الجيم بمعنى خُطور الشيء في البال، وأن يُحَدِّثَ الإنسانُ نفسه في صدره.

(السين والشين) – من معاني السَّلْق في الفصحى إدخال إحدى عروتي الجوالق في الأخرى دون أن تُثْنَى. وكان العوَامّ يستعملون شيئًا كذلك عند خياطة أفواه الأجولة خياطة يسيرة غير مُؤَرَّبة فيسمون الخيط الذي يستعمل في ذلك شَلْقًا بالشين. فأبدلوا السين شينًا لتجاور مخرجيهما.



حروف طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا

الظاء والذال والثاء:

ويخرجن بامتداد طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، وخروج الهواء تَسَربًا من جانبي طرف اللسان، ومما بين الثنايا واللسان من مسارب دقيقة.

ومع **الظاء** يمر الهواء بين الوترين زامرًا حتى يصل إلى أول تجويف الفم فيرتفع أقصى اللسان ويتقعر وسطه، ويمتد طرفه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى ويمر الهواء من بين جانبي طرف اللسان وما بينه وبين الأسنان.

فالظاء مجهورة رخوة مستعلية مطبقة مصمتة.

ومع **الذال** يمر الهواء بين الوترين زامرًا أيضًا حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى وتكون رءوس الثنايا العليا فوق طرفه في نقطة أدخل في اللسان مما يكون مع الظاء. لأن استعلاء أقصى اللسان وتقعر وسطه في نطق الظاء يقصران طوله فيقل امتداده بين أطراف الثنايا. فالذال مجهورة رخوة منفتحة مستفلة مصمتة.

ومع **الثاء** يمر الهواء بين الوترين غير زامر لاتساع ما بينهما - حتى يصل إلى تجويف الفم فيمتد طرف اللسان بين رءوس الثنايا حتى تكون رءوس الثنايا العليا فوق طرَفه كالحال في نطق الذال. فالثاء مهموسة رخوة منفتحة مستفلة مصمتة.

ولعله وضح أن الظاء أغلظ وأقوى للإطباق والجهر، والذال أقل قوة لأن فيها الجهر وحده، والثاء أضعفهن في هذا لخلوها من الإطباق والجهر. ولكنهن في اتساع انتشار الهواء بعكس ذلك، لأن خلو الثاء من الزمير يبرز الشعور باحتكاك خروج النفَس معها من نقط كثيرة حول طرف اللسان، وربما كان طرف اللسان يمتد مع الثاء أكثر. والظاء أقلهن من حيث ذلك الشعور، والذال متوسطة[١].

---

(١) عن هذه المجموعة انظر العين والكتاب وسر صناعة الإعراب في المواطن المعهودة قبلا، ونهاية القول المفيد ٣٧ ، ٨٩ والأصوات اللغوية د. أنيس ٤٧، التجويد والأصوات د. إبراهيم محمد نجا ٥٤، وأصوات اللغة د. أيوب ٢٠٢.

تطبيقات:

وقد وقع الإبدال بين الثاء والذال بصورة متوسطة[1] مثل النَّبِيثة والنَّبِيذة للتراب الذي يخرج من البئر، وقَثَم له من ماله وقَذَم إذا دفع إليه دَفْعَةً فأكثر، وقرأ فما تَلَعثَم وما تَلَعذَم.... ولم يوردوا إبدالاً بين الظاء وأيٍّ منهما - ربما لما تميزت به الظاء من غلظ يباعد البون بينها وبينهما.

وقد وقع الإدغام بين كل منهن والأخرى فالثاء في الذال مثل ابعث ذلك، وفي الظاء مثل ابعث ظاهرًا، والذال في الثاء مثل أنقذ ثابتًا، وفي الظاء اللهم خذ ظالمًا، والظاء في الثاء مثل احفظ ثابتًا، وهي في الذال مثل احفظ ذلك.

وواضح أن الإدغام هنا يوفر جهدًا أكثر مما يوفر في حالات الإدغام الأخرى، لأن هذه الحروف نطقها مجهد حيث تتطلب مد اللسان حتى يقع طرفه بين أطراف الثنايا العليا والسفلى. فالإدغام في نطق المتواليين منها يخفف شطر الجهد الذي يجب بذله عند عدم الإدغام، كما يوفر التحفظ الذي يجب عند عدم الإدغام.

وقد تعرضت حروف هذه المجموعة الثلاثة للتطور على ألسنة العوَامّ وأشباههم. فالظاء تنطق كالصاد المُشَمة زايا في بعض الألفاظ كالظُّلم والظُّهور والظَّن - فتنتقل إلى مخرج الزاي وتُفَخّم أو الصاد وتُجْهر - وبعض النساء ينطقها زايا خالصة أي غير مفخمة - وفي هذا الانتقال تخفف للتخلص من إخراج اللسان تحت أطراف الثنايا، وقد تنطق كالضاد المصرية الشديدة كما في الضُّهر والضُّلمة والضَّلّ - وهو تخفيف بترك مَدّ طرَف اللسان، وترك الرخاوة إلى الشدة. والذال تنطق زايا خالصة تخففًا من مد طرَف اللسان بين أطراف الثنايا كما تنطق العامة الذِّكر والمذْهب والذَّنْب، وقد تنطق دالاً تخففًا من مَدّ اللسان ومن الرخاوة كما ينطقون الدّيل والدَّهَب والمَدْنة. وقد تفخم حينئذ كما ينطقون الذُّرَة ضُرَة. والثاء تنطق سينا أو تاء، وفي كليهما تخفف من مد طرف اللسان تحت الثنايا كما ينطقون المثل (مَسَل) والتَّوَاب والتَّوْرة، وكما ينطقون التُّوْم

---

(1) وقع في ١٠ كلمات في القلب والإبدال لابن السكيت ص٣٩.

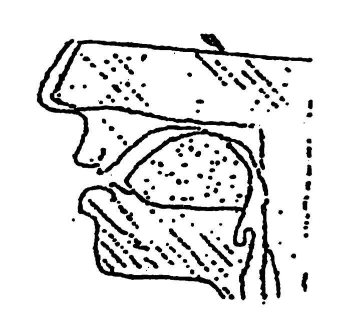
والثُّوْب والفعل ثنى ومشتقاته، وقد تفخم حينئذ فتشبه الطاء كما ينطقون الطُور (ذكر البقر) وفي نطقها تاء أو طاء تخلص من الرخاوة أيضًا.. وقل تطورهن إلى غير ذلك. وكل ذلك خطأ عامّي فاحش.

وقد رأينا أن كل ذلك التطور كان للتخفف بالاقتصاد في حركات اللسان وعدم التقيد بمدّ طرفه بين أطراف الثنايا فيفقد كل من هذه الحروف مَخْرجه، وأحيانًا صفةَ الرخاوة، وصفةَ الاستعلاء أيضًا. وينبغي أن يتنزه المثقف عن كل ذلك.

وفي ضوء هذا يبدو منطقيًا أن تقلب الثاء في اللفظ الأعجمى إلى تاء عند تعريبه كما قالوا إن التوت أصله تُوث، والتَّجير - عصارة التمر - أصله الثُّجير. ويبدو صنيعهم عكس ذلك مخالفًا للمعتاد كما قيل إن الساذج أصله ساده، وإن الجردق - الخبز الغليظ - أصله بالفارسية كَرده[1] (أي بالكاف الفارسية G). ولا تفسير لذلك إلا أنهم حاولوا أن يكسبوها مزيدًا من صبغة العربية فنقلوها بالرخاوة.

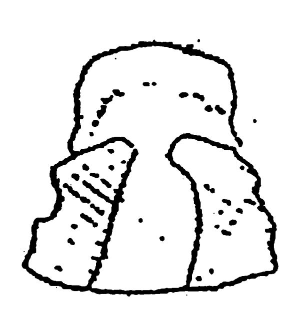


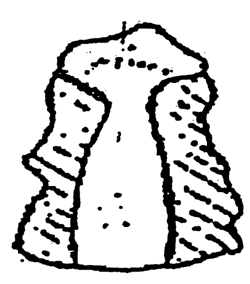
(١) انظر المعرب للجواليقي ١٣٨ ، ١٤١ ، ٢٤٦ ، ١٤٣ على التوالى.





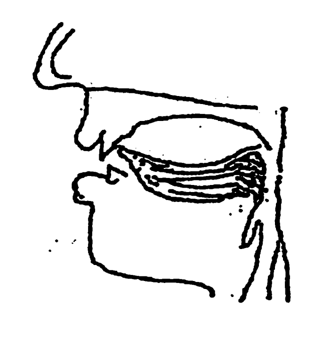
وضع اللسان مع الكاف — ومع القاف



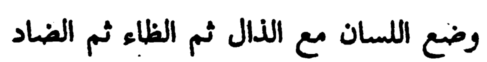


ما ينطبق من اللسان على الحنك عند النطق بحرف
الشين في الإنجليزية والفرنسية على التوالى





ذ — ظ — ض



وضع اللسان مع الذال ثم الظاء ثم الضاد

حروف الشفة مع الأسنان

الفاء:

وتخرج بالتقاء أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى. ويندفع لها الهواء مارًا بالوترين غير زامر حتى يصل إلى تجويف الفم خارجًا فيعترض طريقه التقاء رءوس الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى، ويخرج الهواء من أثناء الملتقى وجوانبه باحتكاك نسمع منه حرف الفاء[1]. والفاء مهموسة، رخوة، مستفلة. منفتحة، وضمت إلى حروف الذلاقة واتصفت بها ليسر نطقها، إذ لا تكاد تكلف الجهاز الصوتي إلا جذب الشفة السفلى إلى الداخل قليلاً فيلتقي باطنها بأطراف الثنايا العليا، وبهذا الوضع تخرج الفاء.

تطبيقات:

ونظرًا لتقارب مخرجي الفاء والثاء وتشابه صدييهما فقد كثر الإبدال بينهما - كما في الجَدَف والجَدَث: القبر، الحُفَالة والحُثَالة الرديء من كل شيء، الغُفَّة والغُثَّة - بالضم : الشيء غيرُ الكثير من المرعى أو العيش.

ويبدو أن الإحساس بخروج الفاء من مخرج مختلف عن مخرج الثاء، وبهيئة مختلفة، قصر التشابه بينهما على ناحية الصدى، كما قصر الصلة بينهما على هذه الناحية بوقوع الإبدال بينهما، فحسب. إذ لم يرد بينهما إدغام.

وهذه من الحالات النادرة - أعني امتناع الإدغام مع قرب المخرجين. ولكن هذا يثبت - من ناحية أخرى - أن الإدغام ليس أمرًا عشوائيًا، ولا تلقائيًا. وإنما يخضع لضوابط

---

(١) لا يكاد يوجد خلاف في مخرج الفاء. وقد وضعت دائرتا المعارف (البريطانية وتشمبرز) حرفي V (الفاء المجهورة) و F (الفاء المهموسة) في نهر الحروف الشفوية الأسنانية. وانظر العين، والكتاب وسر الصناعة. وأسباب حدوث الحروف في المواطن المعهودة، نهاية القول المفيد ٣٨ و ٩١ والتجويد والأصوات د. إبراهيم نجا ٤٨ ، الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ٤٠ .

علمية، فإن اختلاف هيئة خروج كل من الحرفين مع الآخر بحيث لا يمكن الجمع بينهما في هيئة واحدة = منع الإدغام.

* ولكن للفاء مع الباء شأنًا آخر سيأتي.

* هـذا وقـد يفيد هنا أن نشير إلى أن الحرف الأعجمي V هو المقابل المجهور للحرف F المساوي للفاء العربية. فهو من مخرجه ولا يمتاز عنه إلا بالجهر. ولعل قيمة هذا أنه قد يوجد في كلمات تُعَرَّب وتدخل العربية. فقد يُعَرَّب واوًا وقد يعرّب فاء كما سيأتي.



الحروف الشفوية

الباء:

وتخرج بانطباق الشفتين في نقطة أقرب إلى باطنهما. ويندفع لها الهواء من الرئتين فيمر بين الوترين زامرًا ويستمر إلى الفم فالشفتين حيث تنطبقان في نقطة أقرب إلى باطنهما انطباقًا محكمًا قويًا، يحبس الهواء حبسًا تامًا ونسمع صوت الباء[١].

* والباء مجهورة شديدة مستفلة منفتحة، وهي من حروف الذلاقة بسبب نطقها بمجرد التقاء الشفتين. أي بسبب خفتها.

تطبيقات:

* ومع تجاور الباء والفاء في المخرج إلا أنهم لم يوردوا وقوع إبدال بينهما، ولعل مردَّ ذلك إلى أن مثل هذا الإبدال لا يضيف كسبًا، إذ لا يترتب عليه تخفيف مثلاً. فالباء والفاء خفيفتان وكلتاهما من حروف الذلاقة. ولكن وقع في لهجة عُقَيْل وغيرهم عَكَبت الطير أي عكفت، والخَزَب - يعنون الخزَف، والمِصْطَفة أي المِصْطبة[٢] ويشيع بين إخوتنا الهوسيين في شمال نيجيريا إبدال الباء الثقيلة (P) فاء فيقولون الدفلوم يقصدون الدبلوم. وفي المعرَّب للجواليقي أن الفِصفِص أصلها بالفارسية إسبست، وأن كلمة فارس (اسم القُطْر) أصلها بالباء، وأن الفنجان أصله بنكَان، والفالوذق - والعامة تقول بالوظة - أصلها بالفارسي بالوده

---

(١) هذا التحديد تثبته الملاحظة ولا يكاد يوجد فيه خلاف (انظر المراجع السابقة) إلا أن ابن سينا التبس عليه مخرج الباء فجعله من موضع الفاء بعينه إلا أنه مع حبس تام (أسباب حدوث الحروف ١٣) وهذا غير صحيح. أما بالنسبة لكون ملتقى الشفتين هنا أقرب إلى باطنهما فتثبته الملاحظة أيضًا وقد قال في نهاية القول المفيد ١٢٥ «إن الميم والباء تخرجان بانطباق الشفتين، والباء أدخل وأقوى انطباقًا اهـ. وفي ص٣٨» وانطباقهما مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم، والمنطبق في الباء طرفا الشفتين اللذان يليان داخل الفم. وأما كون الانطباق هنا قويًا أو أقوى مما مع الميم فذلك لأن انطباق الشفتين هنا يحبس الهواء، ويتم في منطقة أكثر رخاوة مما مع الميم وهي باطن الشفتين - وهي لرخاوتها أكثر استجابة لإحكام الانطباق وحبس الهواء. وحبس الهواء في حد ذاته بهذه الصورة يُشْعِر بقوة الضغط والانطباق.

(٢) انظر اللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين الجندى ٣٢٣ .

والباءات في هذه الألفاظ التي عُرِّبت كلها ثقيلة[1] والحرفان يتبادلان في العبرية، وبينها وبين العربية: فالكتابة (كتف). وقد ذكرنا ذلك قَبْلا.

وللتجاور وتقارب الهيئة وقع إدغام الباء في الفاء في مثل اذهب في ذلك (اذهفّى ذلك)، وفي الميم في مثل القول المشهور «اصْحَب مطرًا» تنطق (اصحَمّطرا)، وتقول «اطلب محمدًا». فتدغم الباء في الميم.

- أما الميم فلا تدغم إلا في مثلها تجنبًا للإجحاف بحذف غنتها.

* ووقع في القراءات[2] إدغام الباء في الفاء في مثل ﴿وإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[3]، و﴿قال اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾[4].

﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[5].

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[6].

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ﴾[7].

كما وقع إدغام الفاء في الباء: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ﴾[8] - في قراءة الكسائي وحده[9].

الميم:

وهي أنفية شفوية، وتشترك مع النون في صفة الأنفية أي اشتراك الأنف في إخراج

---

(١) المعرب ص٢٨٨، ٢٩١ ، ٢٩٩ على التوالى.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٨/٢ .

(٣) سورة الرعد ٥ .

(٤) سورة الإسراء ٦٣ .

(٥) سورة النساء ٧٤ .

(٦) سورة الحجرات ١١ .

(٧) سورة طه ٩٧ .

(٨) سورة سبأ ٩ .

(٩) النشر في القراءات العشر ١٢/٢ .

كل منهما، ولذا قد يوصفان بأنهما (أَنْفَمِيَّان) أي يشترك الأنف والفم في إخراج كل منهما. ولكننا نظرنا إلى أن الجزء الفموي منهما ليس واحدًا فهو مع النون طرف اللسان، ومع الميم الشفتان، فآثرنا وضع كل واحدة منهما في المجموعة التي تشترك معها في الأحكام(١).

والميم تخرج بانطباق الشفتين مع مرور هوائها وزميرها من الأنف إذ يمر هواؤها من بين الوترين زامرًا ويستمر ويكون سبيله في الفم مغلقًا بانطباق الشفتين، فيخرج من الأنف، وهناك يكتسب تلك الغنة الشبيهة بغنة النون. هذا وانطباق الشفتين مع الميم يتم في نقطة أقرب إلى ظاهر الشفتين أي خارجهما من نقطة التقائهما مع الباء، وبضغط وإحكام أخف مما مع الباء(٢).

والميم مجهورة رخوة (حسب ما حكمنا بالنسبة لما وُصِف بأنه متوسط بين الشدة والرخاوة لانسداد سبيل الهواء - بانطباق الشفتين، وخروج الهواء رغم ذلك من الأنف)(٣) وهي منفتحة مستفلة مذلقة. أما ذلاقتها فلخفتها في النطق إذ لا يكلف نطقُها إلا التقاء الشفتين أيسر التقاء.

تطبيقات :

ولاشتراك الميم مع الباء في بعض المخرج أعني الشفتين - كثر وقوع الإبدال بينهما جدًا كما في بَنَاتِ بَخْر وَبَنَات مَخْر (لسحائب يأتين في قُبُل الصيف منتصبات في

---

(١) فالنون مع حروف طرف اللسان ولهذا تدغم فيها لام التعريف كما تدغم في سائر حروف طرف اللسان، والميم مع حروف الشفتين ولهذا لا تدغم فيها لام التعريف كسائر الحروف الشفوية.

(٢) هذا يشهد له الحس، وانظر تعليقنا على نحو هذا في الكلام عن الميم. ولعل سبب الإحساس بلطف الضغط والإحكام هنا هو أن انطباق الشفتين هنا لا يحبس الهواء، كما أنه يتم في نقطة من الشفتين ظاهرية وهي أيضًا أجف من نقطة الالتقاء مع الباء. وليس مخرج الميم موضع خلاف (انظر العين والكتاب وسر صناعة الإعراب في المواضع المعهودة قبلا)، وقد وضعت دائرتا المعارف البريطانية وتشمبرز صوت الـ M في نهر الحروف الشفوية، إلا أن ابن سينا قرر أن حبس الهواء مع الميم بعضه يحدث عند الشفتين وبعضه في الخيشوم وقتيا (أسباب حدوث الحروف ١٣) وهذا غير دقيق.

(٣) هذه وجهة النظر التي استنبطها المتأخرون من كلام سيبويه. والاعتداد بخروج النفس يجعلها رخوة.

السماء. وظَأْبُ التيس وظَأْمه: صياحه في هياجه، والسَّأْبَم والسَّأْسَبُ شجر[1]، ويفشو الإبدال بين الباء والميم في لهجة مازن ربيعة وغيرها فيقال بَاسمك؟ ومكر، اطْبَأَن في ما اسمك، وبكر، واطمَأَنّ[2].

ويقع في القراءات إدغام الباء في الميم في ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنا﴾[3] ﴿يُعَذِّب مَّن يَشاء﴾[4] أما إذا تقدمت الميم، فإنها لا تدغم ولكن تُخْفَى فحسب - وسيأتي ذلك في التجويد مثل ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5] ولعل السر أن الإدغام حينئذ سيذهب بالميم وغنتها وهي مزية لها، ويأتي بالباء مشددة مع أن الميم أخف كما عرفنا في مخرجها وصفاتها، ولا يستساغ الانتقال من الخفة إلى الثقل فذلك عكس الهدف من الإدغام.

أما الميم والنون فقد سبق بيان اشتراكهما في خروج هوائهما من الأنف مكونًا غنة تعقد شبها بينهما، بالإضافة إلى تقارب مخرجيهما. ومن هنا وقع الإبدال بينهما كثيرًا[6] كالغَيْم والغَيْن، وماء آجِن وآجِم، وأمغرَت الناقةُ وأنغَرت (خالطتْ لبنَها حمرةٌ من دم).

- **الإدغام**: وتدغم النون في الميم مثل مِمَّا وعَمَّا (مِنْ مَا. عَنْ مَا) ولكن لم يدغموا الميم في النون... قال سيبويه: (ولم يدغموا الميم في النون لأنها (أي الميم) لا تدغم في

---

(١) وقع في ٥٦ كلمة في القلب والإبدال لابن السكيت ١٠ - ١٧ وهو أكبر عدد من الكلمات وقع فيه الإبدال - مما أورده هذا الكتاب.

(٢) انظر لهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين ص٣٢٢ .

(٣) سورة هود ٤٢ .

(٤) العبارة وردت في القرآن ٦ مرات: البقرة ٢٨٤، آل عمران ١٢٩، المائدة ١٨، و٤٠، العنكبوت ٢١، الفتح ١٤ - وكلها (ويعذب) إلا الرابع والخامس (الإدغام كبير فيها جميعًا ما عدا الأول. النشر ٢٨٧/١ .

(٥) سورة آل عمران ١٠١ .

(٦) وقع في ٢٤ كلمة في القلب والإبدال لابن السكيت ص١٧ .

الباء[1] التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين[2]، فكذلك لم يدغموها في ما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة)[3].

هذا وقد قالوا إن السِّمْسَار أصلها بالفارسية السِّفْسير[4]. والفاء والميم كلاهما شفوي. إلا أن الميم أنفية أيضًا ومجهورة في حين أن الفاء مهموسة وصداهما متباعد ولذا لم يوردوا إبدالاً بينهما في العربية.

بين الفصحى والعامية:

الميم والنون:

الفصحى (مضغ) اللُّبان تنطقه العامة أحيانًا: (نَدغ) بقلب الميم نونًا لتقارب المخرجين مع تشابه جرس الصوتين، وبقلب الضاد دالاً نقلاً عن النطق المصري للضاد وهو نطقها شديدة فتشبه الدال المفخمة ثم يضيفون التخلص من التفخيم أيضًا.

- وفي حالة سكون الهواء مع الحر يقولون (الدنيا زَنْته). وأصلها (زامته) (أي خانقة).

الواو:

والمقصود هنا الواو في مثل وَلد، وقوْل، ودَلْو. وسنعرف بعد أن الواو هنا تعد من الحروف الصامتة. ويشترك اللسان والشفتان في إخراج الواو. وللنطق بها يندفع الهواء من الرئتين حتى يمر بين الوترين الصوتيين زامرًا لتضايق ممَرّه بينهما، فإذا وصل إلى اللسان ارتفع أقصاه واستدارت الشفتان مع ذلك فمر الهواء بصوت الواو[5].

---

(١) سبق أن بينا أنها تخفي لا تدغم.

(٢) يقصد بالشدة انطباق الشفتين أو تلاقيهما - لا حبس النفس.

(٣) الكتاب ٤٥٦/٤ .

(٤) المعرب للجواليقي ٢٢٣ .

(٥) هـذا التحـديد تشهد له الملاحظة وقال بشطره الخاص باستدارة الشفتين سيبويه ومن تبعه (الكتاب ٤٣٣/٤، سر صناعة الإعراب ٥٣/١) أما بخصوص ارتفاع أقصى اللسان فقد جاء عن المتأخرين أن الضمة تستعلي في الحنك (نهاية القول المفيد ١٠٢) فإذا أضفنا هذا إلى ما قرروه من أن الضمة بعض الواو (سر صناعة الإعراب ١٩/١ وانظر الكتاب ٣١٨/٤) نُتِج عن ذلك أن الواو أوضح وأشد استعلاء. ومعروف أن الاستعلاء إنما هو استعلاء أقصى اللسان. وقد وضعت الدائرتان البريطانية وتشمبرز حرف W =

فالواو صوت مجهور رخو (مستعل)[1] منفتح مصمت.

ولم يوردوا إبدالاً بين الواو والميم رغم اشتراك الشفتين في إخراج كل منهما؛ ربما لتباين صديهما[2]. ولذلك أيضًا لم يقع بينهما إدغام.

وللتجاور بين الواو والباء، وقع الانتقال من إحداهما إلى الأخرى عند التعريب. فقد قالوا إن الشِبِثّ (البقلة المعروفة التي تنطقها العامة بالتحريك والتاء) أصلها بالفارسية شوِذ، وإن كلمة قابوس أصلها كاووس[3].



= في نهر الحروف الشفوية. وانظر عن الواو الكتاب ٤/٤٣٣، سر صناعة الإعراب ١/٥٣، ٦٩، وأسباب حدوث الحروف ١٣، نهاية القول المفيد ٣٣، ٣٨، ٩٢ .

(١) كان القدماء يصفونه بالاستفال (انظر سر صناعة الإعراب ١/٧١)، وانظر ما جاء في التعليق السابق لهذا.

(٢) يُعدّ نادرًا إبدال الواو ميمًا في كلمة فوه، حيث حذفت الهاء ثم أبدلت الواو ميمًا. ينظر العين (درويش) ١/٥٦ - ٥٧ .

(٣) انظر المعرب للجواليقي ٢٥٧، ٣٠٧ على التوالي.

الحركات Vowels

الحركات نوعان رئيسيان: حركات طويلة وهي حروف المد: ألف المد وواو المد وياء المد، وحركات قصيرة وهي الفتحة والضمة والكسرة. وهناك حركات فرعية قيمة أكثرها أدائية أي أنها ليست حركات مستقلة لها مقابل في المعنى، بل هي مجرد أداء للحركات الأصلية يختلف كيفا أو كمًا أو موقعا عن الأداء الأشهر للحركات الأصلية. وهي كالحركة الممالة، وكحركة الرَّوْم والحركة المختلسة (والحركة فيهما جزء من الحركة القصيرة).

ولكن المهم الآن أن نعلم :

(أ) أن تلك الحركات سميت كذلك لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به. إلي موضعها هي[1]. أي أنها نقلة عن مخرج الحرف إلي مخرجها هي. فيتيسر انتقاله لمخرج الحرف التالي.

(ب) وأن الحركة تلي الحرف في النطق لا تسبقه ولا تزامنه في تكوينه. وقد برهنوا على ذلك أيضًا بما يكفي[2].

(ج) أن الحركات القصيرة أبعاضُ الحركات الطويلة أي أن الفتحة بعض من الألف (أي نصفها في المد الطبيعي)، والضمة بعض من واو المد (أي نصفها عند المد الطبيعي) والكسرة بعض من ياء المد (نصفها المد الطبيعي)، وقد برهن ذلك القدماء بما فيه الكفاية[3].

كما ينبغي أن نعيَ أن الحركات بنوعيها من أهم أصوات اللغة، وقد حظيت - لأهميتها تلك - باهتمام دارسي الأصوات في كل اللغات، وذلك لأنه لا يمكن بناء اللغة بدون الحركات، في حين أنه يمكن بناؤها مع الاستغناء عن عدد من الحروف يساوي عدد الحركات. ونحن نعلم أن توالي حرفين غير متحركين ليس مستساغًا في

---

(١) سر صناعة الإعراب (تحقيق: السقا..) ١/ ٣٠ . (بتصرف) وعبارته: «لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها».

(٢) ذاته ٣٢ - ٣٨ .

(٣) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ١/ ١٩ - ٣١، وفي الكتاب ٤/ ٣١٨ (ومنهن (يعني من حروف المد) كلُّ حركة).

العربية بصفة عامة. يقل جدًا في الإنجليزية مثلاً توالي أكثر من ثلاثة أحرف بلا حركات بينها. وإنما تصاغ الألفاظ المركبة من حروف بتخلل الحركات إياها. ومن العجيب أن يلحظ سيبويه كثرة اشتراك الحركات (الطويلة) ثم القصيرة في الكلام منذ ذلك العصر المبكر أيضًا فيقول: «فأما الأحرف الثلاثة (يعني حروف المدّ) فإنهن يكثرن في كل موضع، ولا يخلو منهن حرف (يعني كلمة) أو من بعضهن... ثم ليس شيء من الزوائد يَعدِلُ كثرتَهن في الكلام.. هن لكل مدّ، ومنهن كلُّ حركة، وهن في كل جميع (يعني: كل جمْع)، وبالياء الإضافةُ، والتصغيرُ، وبالألف التأنيثُ، وكثرتُهن في الكلام وتمكنُهنّ فيه زوائدَ أفشى من أن يحصى ويدرك»[1].

وفي تحليل سريع لدَور الحركات الست مع الحروف الثمانية والعشرين (نسبتها إلى مجموع الأصوات نحو ١٧,٥٪) نجد أن سورة الفاتحة – مثلاً – تحتوي من الحروف ١٢٠ حرفا ومن الحركات ٧٨ حركة. أي أن نسبة الحركات المستعملة في السورة إلى مجموع حروفها وحركاتها نحو ٤٠٪. وبتحليل آيات السورة آية آية لم تَقِلّ هذه النسبة في أيّة آية عن ٣٧٪. أي أن قيمة الحركات في بناء اللغة أكثر من ضعف نسبتها بين الأصوات المجردة، وأنها تُسهم في ألفاظ اللغة بأكثر من الثلث. وهذا شاهد علمي كاف على خَطَر الحركات (أعني قيمتها الكبيرة) في تركيب اللغة. فإذا أضفنا إلى ذلك وضوحَ أصوات الحركات في اللغة، وأنَّ أيّ انحراف في أدائها يسطع صداه في الكلام حتى يصدم السامع أو القارئ، تبين لنا أساسُ اهتمام العلماء القدماء ثم المحدثين بخاصة بهذه الحركات.

وقد بلغ من اهتمام العلماء المحدثين بضبط أداء الحروف والحركات أن وضعوا لها معايير علمية تدقق المخارج والصفات، وتضبط وضع اللسان والشفتين عند أداء كل حرف وحركة. ثم عُمِّمت تلك المعايير حتى صارت عالمية تنسب إليها الحروف والحركات في اللغات المختلفة. وسنجتزئ من هذا المستوى العالمي بدراسة الحركات في لغتنا أولاً ثم نتناول الحركات المعيارية ونسبة حركاتنا إليها.

---

(١) الكتاب ٣١٨/٤ .

والحركات كلها مجهورة ورخوة. وقد وصفت أيضًا بالخفاء لا بمعنى عدم الوضوح - فهن أوضحُ أصوات اللغة، ولكن بمعنى لطف تميز كل منهن أي ضعف حدودها كصوت مستقل - لاتساع مَدْرَجها وعدم حصر الصوت أو تضييقه ضيقًا كبيرًا في أداء أي منهن. وتعليل مكي بن أبي طالب خفاءها بأنها «لا علاج على اللسان فيها عند النطق بها، ولا لها مخرج تنسب على الحقيقة إليه، ولا تتحرك أبدًا، ولا تتغير حركةُ ما قبلها، ولا يعتمدُ اللسان عند خروجها على عضو من أعضاء الفم. إنما تخرج من هواء الفم حتى ينقطع النفَس والصوت في آخر الحلق. فهي خفية في اللفظ، ولذلك لا تكون إلا متصلة بما قبلها، ولا تختلف حركةُ ما قبلها، ولا تكون إلا ساكنة: اهـ[1] فيه مآخذ: فاللسانِ له دور في إخراج الياء والواو يُكْمِل دَوْرَ فتحة المزمار التي هي مخرج صوت الثلاثة. وفي بعض كلامه الآخر تسامح. ويلاحظ أن الكلام عن الألـف أساسًا وعـن واو المـد ويائه تَبَعا.. أي عن الحركات الطويلة التي هي حروف المد. وبرغم هذا (التخريج) فإن وصفها بالخفاء غير مقبول - كما فصّلنا في موضع آخر.

وللنطق **بألف المد** يمر هواء الرئتين بين الوترين زامرًا لتضايقهما، ويستمر إلى تجويف الفم إلى اللسان. وهنا يظل اللسان راقدًا في مهده، والشفتانِ في وضع معتاد أو محايد أيضًا فنسمع صوت ألف المد المرققة في نحو (عام وسام). أو يرتفع أقصى اللسان قليلا - إن كانت الألف مفخمة في مثل صام وقام، وتكون الشفتان مفتوحتين في وضع شبه معتاد. فالألف المفخمة في أول درجات الاستعلاء.

وللنطق **بياء المد** يمر هواء الرئتين بين الأوتار الصوتية زامرًا - لتضايقهما - حتى إذا بلغ تجويفَ الفم ارتفع وَسَطُ مقدم اللسان أكبر ارتفاع - لكن بحيث لا يحدث حفيفًا، وإلا تولدت الياء الصامتة في مثل زَيْت ويلعب - وانفرجت الشفتان فنسمع صوت الياء الممدودة.

وللنطق **بواو المد** يمر هواء الرئتين بين الأوتار الصوتية زامرًا إلى الفم فيرتفع أقصى اللسان وتستدير الشفتان.

---

(١) الرعاية ١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) انظر ما يأتي.

والضمة والفتحة والكسرة أبعاضٌ لواو المد وألف المد وياء المد، إلا أن الضمة وأختيها أقصر من الواو وأختيها امتدادًا وزمنًا، ولكنْ للضمة مخرجُ واو المد وسائرُ صفاتها، وللفتحة مخرجُ ألف المد وسائرُ صفاتها، وللكسرة مخرج ياء المد وسائرُ صفاتها.

هذا وقد اكتفي القدماء بوصف الحركات الطويلة بأنها جوفية أو هوائية مفسرين ذلك بأنها تخرج وتجري في جوف جهاز النطق وهوائه، ويقولون إنه ليس لها مخرج خاص يُعتَمَد لها فيه أي يضيق لها أو يُغْلَق كسائر الحروف[1] وكلامهم عن خروجها من (الجوف) تحريره أن زميرها - وهو قِوامُها - يخرج من الحنجرة. وهي باب الرئة.

كما وصفوا الألف بالتصعد، والياء بالتسفل والواو بالاعتراض بين التصعد والتسفل[2]. وأشاروا إلى استعلاء الضمة، والفتحة (المفخمة)[3] وهما جزءان من الواو والألف كما مر، وإلى استدارة الشفتين مع الواو الصامتة واو المد.

الحركات المعيارية:

أسلفنا أن الدارسين المحدثين جددوا بدقة الموضع الذي يرتفع من اللسان مع كل حركة، ومقدارَ ارتفاعه، ووضعَ الشفتين معها كذلك. ومن أشهر هؤلاء المحدَثين دانيال جونز الذي دَرَس الحركاتِ في لغاتٍ كثيرة ثم استخلص منها الأصوات التي يمكن أن تمثل معظم (الحركات) الشائعة في اللغات المختلفة، ثم فروع تلك الأصوات، بحيث يمكن ضبط أصوات

---

(١) انظر العين للخليل ٦٤/١، ٦٥ والكتاب لسيبويه ٤٣٥/٤ - ٤٤٦، نهاية القول المفيد ٣٣، وقد وضعها مكي بن أبي طالب - تبعًا لسابقيه أيضًا - تحت عدة عناوين: المد واللين، اللين فقط - وهذا خاص بالواو والياء الساكنتين وقبلهما فتحة، والهوائية، والخفية - الثلاثة ويضاف إليهن هنا الهاء، والعلة الثلاثة ويضاف إليهن الهمزة، كما وصفهن مع الهمزة بالجوفية، ثم بالهوائية ثانية، وفسر الجوفية بأن الجوف آخر انقطاع مخرجهن - الرعاية ١٢ - ١٢٨ - ١٤٢ .

(٢) انظر نهاية القول المفيد ٢٣ ، ٥١ ، ٥٢ .

(٣) في نهاية القول المفيد ص١٠٢ (أو ١٠٠) (والفتحة والضمة تستعليان في الحنك) (يعني الفتحة التالية لحرف مفخم.. كما يأتي الآن. وفيه ص٩٧ (أو ٩٤) (الألف المدية.... إذا وقعت بعد الحروف المفخمة تفخم... والواو المدية تفخم بعد الحرف المفخم). فيه ص٥١ (٤٩). والمعتبر في الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان (أي عند النطق بالحرف). وفي ص٩٦ (٩٤). وتفخيم كل حرف يكون على قدْر استعلائه (أي أن التفخيم لا يتم إلا باستعلاء. انظر النشر ١٠٣/١، وموضعَيْ الاستعلاء والتفخيم فيه... فهذا يعني أن الشراح المتأخرين علىٰ الأقل أدركوا ارتفاع اللسان مع ألف المد وواوه حال التفخيم ومع الضمة مطلقًا.

الحركات في اللغات المختلفة بها، ونسبتها إليها. فهي **حركات معيارية** Cardinal vowels . وقد حدّد لكل حركة منها وضعَ اللسان معها، والنقطة التي ترتفع منه، ودرجة ارتفاعها، ووضع الشفتين مع الصوت. ثم وَضَعَ لكل حركة معيارية منها رمزًا خطيًا تعرف به.

وخلاصة هذا العمل أن الذي يؤثر في تكوين الحركات عاملان:

أ- ارتفاع اللسان، ونقطة الارتفاع - ومداه. وللارتفاع منطقتان منطقة أقصى اللسان، ومنطقة وسط مقدمه وهي بعد وسط اللسان قليلاً في الاتجاه إلى خارج الفم.

ب- هيئة الشفتين عند نطق كل حركة من حيث استدارتُهما أو انفراجُهما أو اتخاذهما وضعًا محايدًا.

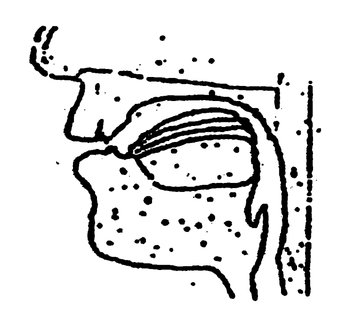
وقد أوضحنا من قبل أن الحروف تتولد بإغلاق مجرى الصوت أو تضييقه. والتضييق في الأصوات التي يشترك في إخراجها اللسان يكون بارتفاع اللسان نحو الحنك، أو انبساطه إلى جوانب الفم فيضيق سبيل الهواء للخروج - بحيث يُحدِث الهواء في مروره بهذا المضيق بين اللسان والحنك أو جوانب الفم حفيفًا هو الذي نسمعه في صوت الحرف. لكن هنا حرفان بنائيان هما من نفْس جنس حركتين من الحركات التي ذكرناها، وتخرجان كما تخرجان، وهما الواو في مثل لَوْن، وَلَد، والياء في مثل زَيْت، يَلِد. فينبغي أن نلحظ أن ارتفاع أقصى اللسان مع واو المد هو دائمًا أقلُّ من ارتفاعه مع الواو الصامته التي هي حرف بنائي[١].. وكذلك ارتفاع وسط مقدِّمه مع ياء المد أقلُّ من ارتفاعه مع الياء الصامتة. وأنه إذا زاد ارتفاعه مع واو المد أو يائه فسيُحْدث واوًا أو ياء صامتين. والآن -.

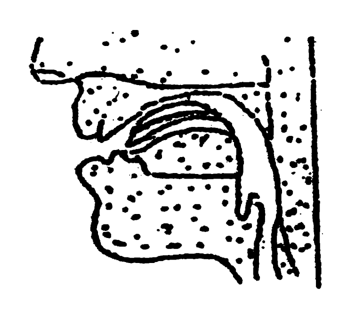
١- فإذا ارتفع وسط مقدمِ[٢] اللسان أقصى ارتفاع له لكن بحيث لا يُحْدِث حفيفًا وانفرجت الشفتان تولد الصوت المعياري الأول ورمزه (I) وتمثله الكلمة الفرنسية (Si) وهو يشبه في العربية الكسرة الحادّة، وياء المد الحادة في مثل (نيل وفيل) وهي تساوي حركتين من هذا فيرمز لها به مكررًا هكذا (ii) أو فوقه شرطة هكذا (Ī).

---

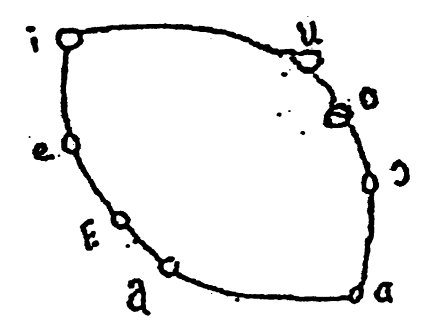
(١) سنتحدث عن مصطلح (صامت) بعد قليل.

(٢) عبر عنه الدكتور إبراهيم أنيس بأول اللسان واخترنا تعبيرنا لأنه أبعد عن اللبس وأكثر تذكيرًا باصطلاح علماء العرب.

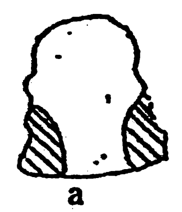


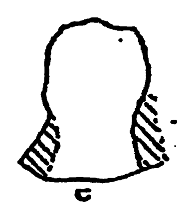


أوضاع اللسان مع الحركات الخلفية   أوضاع اللسان مع الحركات الأمامية



بيان نقط ارتفاع اللسان مع الحركات الخلفية ونسبة كل منها إلى الآخر، ومع الحركات الأمامية ونسبة كل منها وبيان وضع اللسان مع كل حركة بالنسبة لوضعه مع أي حركة أخرى.







ما ينطبق من اللسان على الحنك الصناعي عند النطق بالحركات الثلاث في الإنجليزية

(عن (أصوات اللغة) د. عبد الرحمن أيوب ٣٤)

٢- فإذا قلّ ارتفاع اللسان في ذلك الموضع قليلاً مع تراجع المنطقة قليلاً أيضًا إلى الداخل أي نحو أقصى اللسان، مع استمرار انفراج الشفتين = تولد الصوت المعياري الثاني ورمزه (e) ويمثّل في الكلمة الفرنسية (the = شاى) وهو يشبه في العربية الكسرة التي تميل إلى الانفتاح قليلا ويمكن تمثيلها بالفتحة الممالة إمالة شديدة في مثل (فَكُّ رَقَبَة) عند الوقف بالإمالة الشديدة. وإذا امتد هذا الصوت أشبه الألف الممالة إمالة إضجاع في مثل (مَجْريها) ورمزه المعياري حينئذ (ee) أو ($\bar{e}$).

٣- وإذا قل ارتفاع اللسان أكثر من ذلك مع تراجع منطقة ارتفاعه نحو أقصى اللسان أكثر مما سبق ومع انفراج الشفتين أيضا لكن بدرجة أقل = تولد الصوت المعياري الثالث ورمزه (E) وهو ممثل في الكلمة الفرنسية meme ويشبه في العربية الفتحة الممالة إمالة خفيفة في مثل (فَكُّ رَقَبَة) وزيادة مده تجعله يشبه الألف الممالة إمالة خفيفة في مثل (مَجْريها) ويرمز له معياريًا حينئذ بالرمز (EE) أو ($\bar{E}$).

٤- وإذا قل الارتفاع عن ذلك أي وصل إلى أدنى ارتفاع له في هذه المنطقة مع انفتاح الفكين تولد لنا الصوت المعياري الرابع ورمزه (a) ويمثل في الكلمة الفرنسية (la) ويشبه في العربية الفتحة المرققة في مثل (حسن) وإذا امتد أشبه ألف المد المرققة في مثل عام. ورمزه المعياري حينئذ (aa)[١] أو (a).

ونظرًا لأن النقطة التي ترتفع من اللسان في تلك المواضع الأربعة هي في وسط مقدم اللسان وهي (بالنسبة للنقطة التي ترتفع في الحركات الأربع التالية) تكون أقرب إلى الأمام (أي إلى جهة خارج الفم) فكلها تسمى حركات أمامية Front vowels .

وما ارتفع معه اللسان من هذه الحركات أعلى ارتفاع حتى صار ما بينه وبين الحنك أضيق مسافة يمكن أن تكون في حالة نطق الحركات وهو الصوت المعياري الأول - يسمى حركة ضيقة أو مغلقة: Close vowel وما ارتفع في أدائه اللسان أدنى ارتفاع

---

(١) الصوت المعياري هنا (a أو a) مرقق - فلا تشبهه الفتحة العربية إلا إذا كانت مرققة كما مثل - أما إذا كانت مفخمة قليلا أو كثيرًا فإنها تكون أقرب إلى الصوت المعياري (*a*) (*aa*).

بحيث لا يكون ارتفاعه أقل من ذلك مع أية حركة أخرى، وبحيث تكون المسافة بين اللسان والحنك أوسع ما يمكن مع الحركات يُسَمّىٰ حركة واسعة أو مفتوحة Open vowel كالصوت المعياري الرابع، وما كان بين تلك وهذه فهو متوسط. فالحركة المعيارية الأولى أمامية ضيقة والحركة الرابعة أمامية واسعة. وما بينهما حركتان متوسطتان.

٥- أما إذا كانت النقطة التي ترتفع من اللسان خلفية أي واقعة جهة أقصاه وكان ارتفاعها أدنى مستويات الارتفاع فإن الذي يتولد هنا هو الصوت المعياري الخامس (a) ويتمثل في الكلمة الفرنسية pas ويشبه فتحة الطاء في (طلب)، وإذا مُدّ أشبه الألف المفخمة في طالب ورمزه حينئذ (a a) أو ($\overline{a}$).

٦- وبزيادة الارتفاع قليلاً مع تأخر نقطة الارتفاع إلى الخلف أكثر قليلاً من الوضع السابق مع استدارة خفيفة في الشفتين يتولد الصوت المعياري السادس (ɔ) ويتمثل في الكلمة الألمانية sonne ولعله يشبه الضمة الممالة كسرًا وتفخيمًا في مثل (حوك وغيض) عند نطقها بالإشمام وهي هنا ممدودة ورمزها (ɔɔ) أو ($\overline{ɔ}$).

٧- وبمزيد من الارتفاع وتأخر نقطته - ومع استدارة الشفتين يتولد الصوت المعياري السابع (O) ويتمثل في الكلمة الفرنسية (Rose).

ويشبه الضمة إذا زيد تفخيمها في مثل قل، خذ، وإذا امتد أشبه واو المد المفخمة في الكلمة العامية (التُّوب) ورمزه حينئذ (OO) أو ($\overline{O}$).

٨- فإذا كانت نقطة الارتفاع أقصى نقطة خلفية للسان مع الحركات وبلغ ارتفاعه دون أقصى الارتفاع بقليل بحيث لا يُحدث مرورُ الهواء بينه وبين الحنك حفيفًا، واستدارت الشفتان تولد الصوت المعياري الثامن (U) ويتمثل في الكلمة الألمانية (gut) وهو خلفي ضيق، ويتطابق مع الضمة العربية المرققة في مثل (عُمَر حُرّ) وإذا تضاعف امتداده مَثل واو المد المرققة في مثل يعود ويسود. ورمزه حينئذ هو (uu) أو ($\overline{u}$).

وبتأمل ما ذكرنا بعد الحركات الأربع الأولى يتبين أن الحركات الأربع الأخيرة هي حركات خلفية، وأن رقم (٥) منها هي خلفية واسعة، ورقم (٨) خلفية ضيقة ورقم(٦،٧) خلفية متوسطة.

وبعد فإنه يتضح مما سبق في أوضاع اللسان والشفتين عند النطق بالحركات أن الفتح أخف الحركات لأن اللسان يقرّ في مرقده عنده - فيما عدا نتوءًا يسيرًا بين أقصاه ووسطه، وتكون الشفتان في وضع محايد، وأن الضم والكسر ثقيلان لارتفاع أقصى اللسان مع الضم ووسط مقدمه مع الكسر، ويزيد الضمُّ استدارةَ الشفتين، ويزيد الكسرُ انفراجَ الشفتين.



تقسيم الأصوات الألفبائية العربية (= الحروف) إلى صوامت وحركات

الصوامت هي الحروف البِنائية المعروفة: الهمزة والباء والتاء.. إلى الواو والياء (بقيود خاصة بالواو والياء ستأتي) وهي متميزة الملامح بأنها تسدّ مجرى النفس أو تضيقه حتى يُسمع احتكاكه، ولا يستثنى من هذا إلا الهاء. أما **الحركات** فحقيقتها أنها مدّات صوتية ملساء ملامحها الصوتية ليست بالغة التحدد كالصوامت، ومن أبرز وظائفها النطقية التمكين من الانتقال من صامت (بنائي) إلى آخر، وإسماع الكلام، لأن درجة إسماعها أعلى من درجة إسماع أي صامت، ثم إنها إحدى وسائل تكوين الصيغ المعبّرة عن المعاني الصرفية.

وتنوع الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات قد لحظه العلماء العرب منذ الخليل بن أحمد (١٧٥هـ)، وتهتم به الدراسات الصوتية الحديثة عند الأوربيين وغيرهم بالغ الاهتمام.

والأساس الذي بني عليه الخليل وسيبويه - وبعدهما الأئمة العرب - ذلك التقسيم أو التنوع هو ما عبروا عنه بـ (سعة مدارج)[١] الأصوات اللغوية التي سميت حركات طويلة وهي ألف المد واو المد وياء المد بالنسبة لمخارج سائر الحروف وهي التي سميت صوامت. وقد عبّر الخليل عن هذه السعة بوصف هذه الحروف بأنهن (جُوفٌ)، وبأنهن (هوائيات). وفَسَّر ذلك بقوله (وسُمّيَتْ جُوفًا لأنها تخرج من الجَوْف فلا تقع في مَدْرَجةٍ من مدارج اللسان، ولا من مَدارج الحلق، ولا من مَدْرَج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجَوْف. وكان يقول كثيرًا: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء)[٢] وقد ذكرنا قبل أن ما عبروا عنه بالجوف هو فتحة المزمار التي بين وترى الحنجرة فهذه الفتحة هي مصدر الزمير الذي هو قوام هذه الأحرف أي هي مخرجها على الحقيقة. وما يحدث في اللسان والشفتين مع الياء والواو هو ملامح مكملة لحقيقة كل منهما، لكنها أساسية. فهذه

---

(١) العين (تحقيق: المخزومي وزميله) ٥٦/١ وعبر سيبويه بـ(مخارج) كما سيأتي. (٢) السابق نفسه.

الحروف يجرى زميرها بعد صدوره من فتحة المزمار في تجويف الجهاز الصوتي وهوائه غير محصور في حيز ولا مَدْرَج معين - أي دون أية عوائق: لا بسد ولا بتضييق بالغ باللسان أو في الحلق أو اللهاة (أو الشفتين).

وهذا الذي قاله الخليل هو عين ما عبر عنه سيبويه بقوله: «وهذه الحروف (يعني الألف والواو والياء)... حروف لين ومد، و(مخارجها)[1] متسعة لهواء الصوت، فإذا وقفتَ عندها لم تضُمَّها بشفة ولا لسان ولا حلق كضَم غيرها..»[2] وأصرح من هذا قوله عنها «ليس شيء من الحروف أوسع (مخارجَ) منها»[3] وهذا علما بأن الأصل في الوقف إسكانُ الحرف الموقوف عليه. وإسكان الحرف يحصُره في مخرجه. فهي واسعة (المخرج) لأنها لا تضمها (أي لا تحصر تكوينها) شَفَةٌ ولا لسان ولا لهاة ولا حلق.

* والمقصود هنا أن الخصيصة الأساسية التي ميزت هذه الحروف وسوغت جعلها قسمًا متميزًا هي سعة مدارجها، وهذا ما قرره الخليل وسيبويه كما بينا الآن، وقال به المحدثون[4].

الخاصة الثانية التي تتميز الحركات هي علو أصواتهن عن صوت أي حرف آخر. وهذه الخصيصة أبرزها المحدثون ونوّهوا بها[5]. ونوّه بها سيبويه أيضًا مع بسعة المخرج... فقال بعد النص السابق «ليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها، ولا أمدَّ للصوت»[6] كما ذكر أنه يؤتَى بها ويحافَظ عليها في الموضع المحتاج إلى تصويت كالنداء والندبة[7] وقد وصفها المبرد (بالمصوتة)[8].

---

(١) انظر التعليق قبل السابق. (٢) الكتاب ١٧٦/٤ . (٣) نفسه.

(٤) ينظر - مثلاً - الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس (ط٦) - ٢٦ - ٢٨، دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار (ط١) ١١٣ . (٥) ينظر المرجعان السابقان. نفس الصفحات.

(٦) الكتاب ١٧٦/٤ . (٧) أ- ينظر الكتاب ١٦٥/١ - ١٦٦ .

ب- لا ينبغي أن يُقْدَح في هذا بأن علماء العرب وصفوا الحروف الثلاثة بالخفاء - يُنظر الكتاب لسيبويه ٤٣٦/٤ قال: (وهذه الثلاثة أخفي الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعن مخرجًا الألف ثم الياء ثم الواو) وانظر الرعاية لمكي ١٦٠. ونهاية القول المفيد ٥٨ - ٥٩ وفيه موافقة أبي شامة والمرعشي. ذلك أنهم يقصدون بخفائها أن صوتها يخرج أملس بلا ملامح حادة مثل ملامح الحروف الصامتة. ولكن التعبير عن هذا بالخفاء ليس موفقًا أبدًا، لأنه مُلبس.

(٨) المقتضب ط٣ جـ١/١٩٩ .

وهنا تكملات لمسألة تقسيم الأصوات اللغوية العربية إلى صوامت وحركات:

الأولى: أن الحركات القصار الفتحة والضمة والكسرة هي من جنس الحركات الطوال تمامًا، والفرق بينهما فرق في طول الصوت. وهذا قد قرره علماء العرب منذ الخليل وكرروه(١). وعليه فالحركات ستٌّ: ثلاثٌ طوال وثلاثٌ قصار. وهذا عدا الحركات الفرعية: التفخيم والإمالة والإشمام بمالها من درجات.

الثانية: أن الواو والياء لا تحسبان مع الحركات الطويلة إلا إذا كانتا ممدودتين كما في يقول ويبيع. أما إذا كانتا متحركتين مثل وَلد ويَمن ووَصف ويُبالغ وأَصْوَبُ وأَيْيَن، أو سكنتا مع سبقهما بفتحة مثل لَوْن وزَيْت فإنهما تحسبان مع الأصوات الصامتة(٢) وبعض اللغويين يسمى الساكن منهما بعد فتح شبه حركة(٣)، أما ألف المد فإنها حركة طويلة دائمًا. وعلى ذلك فالأصوات اللغوية العربية الصامتة (= الحروف الصامتة = وسيأتى أنها الوحدات الصوتية الصامتة أيضًا) عددها ثمانية وعشرون أولها الهمزة (لا الألف)

---

(١) في كتاب سيبويه ٤٤١/٤ عن الخليل «فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو» وفيه ١٠١/٤ «وإنما الحركات (يعني القصار الفتحة والكسرة والضمة) من الألف والياء والواو» وفيه ٤/ ٣١٨ «ومنهن (يعني من حروف المد) كلُّ حركة» وفي ٥٤٤/٣ «وبعضُها (الضمير لحروف المد الثلاثة) حركاتها» اهـ. وفي مقتضب المبرد ط٣ ج١٩٤/١ «لأن الفتحة من الألف، والضمة من الواو والكسرة من الياء» اهـ. وعبارة ابن جني في سر صناعة الإعراب (تحقيق: السقا وزملائه) ١٩/١ «أعلم أن الحركات أبعاضُ حروف المد واللين: الألف والياء والواو... فالفتحةُ بعضُ الألف، والكسرةُ بعضُ الياء، والضمةُ بعضُ الواو».

(٢) في الكتاب ١٨٤/٤ «لما تحركت الياء أشبهت غير المعتل وذلك/ نحو/ قولك زويت القاضى» وفي ٤/ ١٩٣ «لما تحركت خرجت من أن تكون حرفَ لين، وصارت مثل غير المعتل» وانظره في ١٩٧/٤ وفي ٤٧١/٣ . وعبارة المبرد في المقتضب ط٣ جـ٣٥٦/١ (وأنهما (يعني الواو والياء) يخرجان جميعًا منهما (يعني من أن يكونا من حروف المد واللين) إذا تحركتا (أو) كان قبل كل واحد منهما فتحة) في المطبوع: (وكان) بدل (أو كان) وهو تطبيع وقد كرر المبرد خروجهما من اللين في ٣٥٩/١، وقال في ٢٩٧/١ «إذا كانت الواو والياء مفتوحًا ما قبلهما (أي وهما ساكنتان) فهما كسائر الحروف ومثل لهما بجَيْأَل وسَوْأَل في صحة نقل فتحة الهمزة إليهما كما تنقل إلى الحروف الصحاح وذلك عند التخلص من الهمزة» وقال في ٢٤٩/٤ عبارة كعبارة سيبويه في الكتاب ٤٧١/٣ .

(٣) انظر مثلاً علم الأصوات (مالبرج تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين) ٨١ .

وبعدها الباء والتاء... وآخرها الهاء، ثم الواو والياء إذا كانتا متحركتين، أو ساكنتين بعد فتح.

الثالثة: لحظ كثير من اللغويين الأوربيين أن الصوامت (ل م ن ر) تشبه الحركات من حيث سلاسةُ خروج هوائها من مخارجها، وذلك بالإضافة إلى ارتفاع صوتها أو وضوحها السمعي sonority إلى ما يكاد يماثل ارتفاع صوت حروف المد التي هي الحركات. ثم منهم من سمى هذه الحروف مائعة أو سائلة أو ذائبة liquids ومنهم من سمّاها أشباه حركات[1] وهذه الأخيرة تسمية مُلْبِسة.

وقد يُظَن أن هذا الذي لحظه الأوربيون هو من إضافاتهم للدراسات الصوتية، ولكن الحقيقة أن اللغوي العربي محمد بن يزيد **المبرد** المتوفي (٢٨٥هـ) لحظ الشبه بين الحروف الأربعة المذكورة وحروف المد (= الحركات الطويلة) من حيث جريان الصوت فيها وجَمَعها معًا في هذه الحيثية. وضم العين إلى الحروف الأربعة[2]. وكان سيبويه (١٨٠) قد سبقه إلى التنبيه إلى أن الحروف الخمسة متوسطة بين الشدة والرخاوة[3]، ولكنه لم ينبه - أو لم يلحظ الشبه بينها وبين حروف المد في حيثية سلاسة جريان الصوت هذه. وقد استبعد لغويونا المحدثون (العين) من هذه المجموعة، وهم مُحِقون، لفقد العين سلاسة مرور هوائها بزميزها - رغم أنها أنصع الصوامت جرسًا[4].

الرابعة: بخصوص المصطلحات المستعملة في هذا التقسيم فقد استعملنا نحن

---

(١) سماها د. كمال بشر أشباه حركات، د. رمضان عبد التواب (المدخل إلى علم اللغة ٣٦) ود. عبد الصبور شاهين (في تعريبه لـ (علم الأصوات تأليف برتيل مالبرج ص١١٣ - ١٤٤) ذكرا لقبي متوسطة. ومائعة، وفضل د. إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية ٢٤ - ٢٥) تسمية مائعة، كما فضل د. حلمي خليل في (مقدمة لدراسة اللغة ٢١٦) إغفال تلقيبها والربط بينها وبين حروف المد مع الاقتصار على اللام والميم والنون، لأن سباق التناول كان عن تصنيف حروف الأبجدية بصفة عامة من حيث الوضوح السمعي.

(٢) ينظر المقتضب (ط٣، جـ١/٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) سبق الكلام عن الشدة والرخاوة والتوسط بينهما.

(٤) سيأتي الكلام عن العين.

مصطلحي صوامت وحركات.

لكن هناك من استعمل للصوامت مصطلح (مواكن) وهو آصلُ[1]، والمقصود به الحرف البنائي الذي ليس حركة، ولكننا تجنبناه لأنه يلتبس بالمعنى الشائع لاستعمال الساكن وهو غير المتلُوّ بحركة، وهذا ليس مقصودًا هنا، فالصامت صامت سواء كان متبوعًا بحركة أو لم يكن. والمقصود بتلقيبها بالصوامت أن درجة إسماعها منخفضة بل إن بعضَها لا يكاد يُسْمع له صوت، وكل الحروف التي سميناها صوامت جرسها (= صوتها) أخفض من جرس الحركات. وكان هناك مَنْ سمَّى الحركات (صوائت) أو (مصوتات)، ومَنْ سماها (عِلَلاً). وهي تسميات تراثية أيضًا لكننا تجنبنا مصطلح (الصوائت) لأنه يلتبس في السمع (بالصوامت)، وتجنبْنا مصطلح (المصوتات) لأنه يعطي عمومية غير مقصودة، وتجنبنا مصطلح (العِلَل) لأنه صرفي.



(١) جاء في كتاب سيبويه ٢٤١/٤، (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليُوصل إلى التكلم به، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه) اهـ. فقد يؤخذ من هذا تسمية الصوامت سواكن. رغم أن المقصود منه عدم إصحابها بحركات.

الوحدة الصوتية والصورة الصوتية

التفريق بين الوحدة الصوتية Phoneme والبديل الصوتي أو الصورة الصوتية Allophone . يبدو كأنه من مستحدثات الدراسة الأوروبية، ولكن سيبويه (١٨٠هـ) سبق بالتنبيه إلى ما يمكن اعتداده هو الفكرة نفسها في أصوات اللغة العربية - مع زيادة ذات بال. وذلك أنه قسّم أصوات الألفبائية العربية إلى **حروف أصلية** هي الثمانية والعشرون المعروفة الهمزة والباء والتاء إلخ.. (ويضاف إليها الحركات القصيرة الفتحة والضمة والكسرة والطويلة ألف المد وواو المد وياء المد)، **وحروف فرعية** هي نوع من النطق المختلف لبعض تلك الحروف نفسها إما أن تنطق به جوازًا (أو وجوبًا) لمسوغات لهجية أو صوتية سياقية كهمزة بين بين في مثل سأل، ونطق الشين والصاد مجهورتين في مثل أَشْدقُ وأَصْدق، ونطق النون مخفاة، والألف مفخمة أو ممالة - وهو نطق مقبول ومرضى عربية للقرآن الكريم والشعر وغيرهما، وإما أن تنطق به انحرافًا عن النطق الصحيح أو الفصيح للعربيّة للهجة ضعيفة أو لُكْنة.. كنطق (القاف) والكاف والجيم كالكاف الفارسية (G)، ونطق الجيم كالشين، والصاد كالسين، والطاء كالتاء، والظاء كالثاء، والباء كالفاء، وكالضاد الضعيفة - وهذا النطق المنحرف غير مرضى عربية، ولا يستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر[1].

فالحروف **الأصلية** هي الوحدات الصوتية (الفونيمات) في العربية، والحروف الفرعية هي بدائل الوحدات أو صورها الصوتية. ويتبين من مجمل كلام سيبويه أنه زاد على كلام المحدثين **تقويم الصور الصوتية.**

أما المعالجة الحديثة (= الأوربية) لمسألة الوحدة الصوتية (الفونيم) والبديل أو الصورة الصوتية فلنا قبل الدخول إليها ملاحظتان:

---

(١) انظر كتاب سيبويه (هارون) ٤/٤٣٢ .

الأولى: أنها طُوّلت وغَزُرت تفاصيلها لدرجة دفعت عددًا من اللغويين الأوربيين أنفسهم إلى أن يصرحوا بأنه يمكن الاستغناء عن هذه المسألة برأسها[1].

والثانية: أنه قد ترجح لدينا أن أحدً ما أدى إلى تشعب هذه المسألة وغموض بعض جوانبها عند الأوربيين أن اللغات الأوروبية ليس لديها معيارٌ ثابت محدَّد لنطق كل من الحروف الألفبائية نطقًا صحيحًا فصيحًا بحيث يُعَد ذلك النطق هو الوحدة الصوتية (الفونيم) ويُعَد ما خالفه بديلاً أو صورة صوتية له.

وقد لخّص أحدُ لغويينا تعريفات الأوروبيين للفونيم - وهي عشرات حسب ما قال - في وجهات نظر أربع كلها تدور على أن الفونيم صوت (أي نطق صوتي) مثالي متوهَّم (أو مفترض) للحرف، **ليس له وجود حقيقي مادي**، وإنما هو مجرد تصور عقلي، أو تمثله أسرة من الأصوات (لا صوت واحد بعينه)، أو أنه صوت ألفبائي يشارك في بناء كلم اللغة ويتميز عن غيره بأن الكلمة التي يشارك في بنائها يتغير معناها بإحلال ألفبائي آخر محله[2]. **وفي جميع الوجهات فإن المنطوق المتعامل به هو البديل الصوتي أي الصورة الصوتية وليس الوحدة الصوتية**، حيث إن النطق المثالي **الواقعي** للوحدة الصوتية لا وجود له. وفي مقابل هذه الهلامية (الميتافيزيقة) وغياب النطق المعياري عند الأوربيين فإن لدينا نحن العرب نطقًا محددًا لكل وحدة صوتية، موثَّقًا بتحديد المخرج والصفات تحديدًا دقيقًا شاملاً لما هو أساسي ولما هو ثانوي ولما هو إفرادي وما هو سياقي، وهو نطق ثابت وجارٍ منذ ما يقرب من ألف ونصف ألف من السنين إلى الآن. ولذلك نستطيع أن نقول عن نطقٍ ما لألفبائيٍّ إنه هو

---

(١) ينظر دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص١٣٩ رأي روبنز، ص١٤٠ رأي فيرث وأبركرمبى. وينظر أيضًا كلام آخرين في ص٢٣٥ منه.

(٢) وجهات النظر الأربع في دراسة الصوت اللغوي ١٤٧ - ١٥٤ وقد وحّدنا بين الوجهة الأولى التي تقول إن الفونيم مجرد تصور عقلي والرابعة التي يعرف بعض أصحابها الفونيم بأنه وحدات افتراضية تجريدية ليس لها وجود مادي ولا ذهني، ويقول آخر إنه تجريد ولكنه يملك بعض الوجود. والأمران يعنيان أنه مجرد تصور متوهم أو كالمتوهم - وقد سبق بعض الأوروبيين أنفسهم إلى هذا التوحيد ينظر ص١٥٣ من المرجع نفسه.

الوحدة الصوتية لهذا الألفبائي، وعن نطق آخر إنه ليس الوحدة الصوتية وإنما هو بديل صوتي، بل ونستطيع أن نحكم على نطقٍ لألفبائيٍّ بأنه صحيح وعن نطق آخر له بأنه خطأ، وذلك في ضوء ما يختل من شروطه. وقد وفرت ذلك كلَّه الدراساتُ التي نشأت للحفاظ على قراءة القرآن الكريم قراءة عربية صحيحة وفصيحة. والحمد لله رب العالمين. وفي ظلال ذلك الذي توفر لنطق الوحدات الصوتية العربية نطقًا صحيحًا فصيحًا يمكن التجاوز عن طوفان التفاصيل التي شغلت مئة صفحة في مؤلف الدكتور/ أحمد مختار عمر - رحمه الله، وذلك باستثناء فصلة الفونيم فوق التركيبي[(١)].

وخلاصة ما نقرره نحن عن الفونيم أو الوحدة الصوتية في اللغة العربية هي:

أ- أن الوحدة الصوتية هي **الصوت اللغوي الصحيحُ النطق عربيةً** وله قيمة بنائية أو دلالية مطردة - ومعنى كونه صحيح النطق أنه يُنطَق من مخرجه موفًّى صفاتِه حسب ما حدد اللغويون العرب أخذًا عن العرب الفصحاء. ومعنى أن الصوت له قيمة بنائية أنه تُبنَى منه مع غيره تراكيب عربية في أي مَوْقع كان هو أي أنه ليس غريبًا عن اللغة - وذلك ككل الحروف الألفبائية. فالهمزة مثلاً تشترك في بناء تراكيب كثيرة: في موقع أولَ كـ (أخذ)، أو ثان كـ (سأل)، أو ثالث كـ (ملأ)، أو رابع مثل (دأدأ) (= عَدَا أشد العَدْو) والباء تشترك في بناء تراكيب كثيرة: في موقع أول مثل بلغ إلخ. وليس ورود وقوع الحرف - فِعْليا - في كل المواقع شرطًا لكونه وحدة صوتية عربية. وما دام الصوت يشترك في بناء تراكيب الكَلِم **فإن له قيمة دلالية ولا بُدّ**، لأن دلالة التركيب تتم به[(٢)]. ويدخل في تعريف الوَحدة الصوتية - تبعًا لا أصالة - ما له قيمة دلالية فحسب وإن كان لا يدخل في بناء التراكيب وذلك كالتنوين، والتفخيم زي الدِّلالة للنطق كتفخيم لفظ الجلالة، وكالنبر المقصود به الدلالة على معنى كالاستفهام... وهكذا.

---

(١) ينظر دراسة الصوت اللغوي ص١٨٥ وما بعدها حيث الكلام عن النبر والنغمة والتنغيم والمفصل والطول - وكلها يمكن أن تدرس مستقلة عن الفونيم.

(٢) هنا فرق بيننا وبين الأوربيين: فهم يرون أن القيمة الدلالية للصوت اللغوي (= الحرف) رمزية أي أنه مجرد رمز اعتباطي، وكذلك الكلمات عندهم. ونحن نقول - بناء على دراسة العربية - إن الحرف يعبّر عن معناه، وكذلك الكلمات، وليست مجرد رموز عشوائية.

ب- أن لكل وحدة صوتية عربية نطقًا صحيحًا دقيقًا معترفًا به عند اللغويين وقراء القرآن الكريم. فإذا التزم في نطق الحرف مخرجه وصفاته العامة والخاصة **فإن الاختلافات والفروق الفردية في أداء الحرف لا تضر ولا تخرجه عن كونه النطق الصحيح لهذا الحرف أو الوحدة الصوتية** - وهذه نقطة مهمة للاختلاف بين نظرتنا ونظرة الأوربيين، إذ يبدو أنهم يدخلون الفروق الفردية الدقيقة بين أداء الأفراد - وهي فروق يُلحَظَ أكثرها بتسجيل الأجهزة الإلكترونية وحدها - يدخلونها عنصرًا في البحث فيجعلونها صورًا للأداء اللغوي للفونيم - وهذا تقعر غير علمي، لأن البشر ليسوا أجهزة إلكترونية موحدة الأداء، ولأن الأخذ به يلغي كون اللغة ظاهرة اجتماعية مشتركة، من حيث إن من مقررات الدراسة الحديثة نفسها أنه - على هذا المستوى الإلكتروني - لا يكاد يتماثل نطقان لحرف واحد ولو من الشخص نفسه. ونحن نقول إن النطق المستوفي للمخرج والصفات العامة والخاصة يأتي بالوحدة الصوتية المثالية نطقًا واقعيًا يقابل تحدّثهم عنها باعتدادها فرضًا متوهمًا. ثم نقول إن نطق الصوت اللغوي من غير مخرجه المعتمَد له في النطق الفصيح (كنطق الجيم القاهرية، والكاف الخليجية، ونطق مجموعة الظاء والثاء والذال دون إخراج اللسان...). وكذلك نطق الحرف دون استيفاء صفة ما (كنطق الطاء والقاف مهموستين، ونطق الضاد شديدة) كل ذلك يعد صُورًا أو بدائل صوتية، ويترتب الحكم بدرجة قُرْبِ النطق من الصواب أو الفصاحة على تقويم ما نَقَص أو اختلّ من شروط الأداء الصحيح الفصيح له. والشرط الوحيد لقبول هذا النطق صورةً لوَحدةٍ ما هو عدمُ اختلاف المعنى بهذا النطق.

وغني عن البيان الآن أن الوحدة الصوتية الواحدة قد يكون لها أكثر من صورة صوتية أو بديل صوتي فالوحدة الصوتية (الجيم) - وهي من وسط مقدم اللسان وما فوقه من الحنك، وتتصف بالشدة والجهر والتعطيش - لها صور: فقد تنطق من نقطة في اللسان أدخل من وسطه وتكون غير معطشة وتلك هي ما يسمى الجيم القاهرية أو الفارسية (جـ = G)، وقد تنطق قريبة من مقدَّم اللسان فاقدة صفة الشدة وتكون حينئذ غزيرة الرخاوة - وهي ما سميناه الجيم الشامية (جـ = J)، كلها صور لـ حدة صوتية واحدة. ولا يتغير معنى كلمتها مهما تغير نطقها. كما لو قيل ركبت (الجمل). فكلمة الجمل تحمل نفس معناها المعروف

(الحيوان ذي السنام والوبر والأخفاف والعنق الطويل المقوس) كيفما نُطِقت - أي أن نطق الكلمة بأي منها يكفي لتَحمِلَ نَفْسَ المعني. أما الكلام عن درجة فصاحة هذه الصور فمسألة أخرى، ولا شك أن نطق الجيم رخوة غزيرة التعطيش (شامية) أقرب إلى الفصاحة المتحققة في النطق المثاليّ من نطقها قاهرية لما في النطق القاهري من انتقال المخرج، والنطق القاهري قريب إلى الصواب لأن له سندًا لهجيًا قديمًا، ونطق الجيم دالاً هو نطق بعيد عن الصواب لفقد المخرج وصفة التعطيش، وللإلباس، ولذا يُعدّ نطقًا عاميًّا.

وكذلك الأمر في (س) (السراط، فلا يختلف معناها عند من يقرؤها (الصراط أو الزراط) وكذلك (ص) الصندوق (لا يختلف معناها عند من ينطقها (السندوق أو الزندوق) وهكذا. فكل من الجيم والسين والصاد (فونيم) واحد أي وحدة صوتية واحدة لها ثلاث صور. أما من حيث الفصاحة فالسين والصاد في السراط فصيحتان السين لأنها الأصل[1]، والصاد لأن لها سندين لهجيًا وصوتيًا. والزاي في الزراط أقل فصاحة لأن سندها لهجي فقط، والسند الصوتي ضعيف. أما في الصندوق فالصاد أفصح لأنها الأصل والسين والزاي أقل فصاحة[2]. وعلى ذلك فقد يكون للوحدة الصوتية عدة صور أو بدائل كالجيم والطاء والظاء والضاد والصاد والقاف... وقد لا يكون لها صور متعددة معروفة أو مشهورة كالباء والتاء والخاء... إلخ - وإن كانت الدراسة الصوتية الحديثة تثبت أن لكل وحدة عدة صور، نظرًا لاختلاف الأفراد اختلافًا طبيعيًا في نطق الأصوات اللغوية، بل لاختلاف نطق الفرد الواحد للصوت عينه كل مرة عن الأخرى.

وقد ذكرنا من قبل أن الفروق البالغة الدقة (الإلكترونية) بين نطق وآخر لا ينبغي أن تُعَدَّ عنصرًا من عناصر تحويل نطق الوَحدة الصوتية المستوفي لشروطه إلى كونه صورة صوتية أو بديلاً للوَحدة الصوتية.

كذلك فإن الحرف الأبجدي الواحد قد يكون وحدة صوتية في كلمات في حين

---

(١) ينظر اللسان (سرط).

(٢) ينظر تاج العروس زندق، وسندق، وصندق حيث ذكر أن الأولين لغتان في الأخير، وقال إن الجوهري ذكر الصندوق في نهاية ترجمة (صدق).

يكون هو نفسه صورة صوتية في كلمات أخرى. فالصاد في صلح وصحيح وصلاة ومئات الجذور الأخرى هي وحدة صوتية، لكن الصاد التي في «الصراط» و«الصاق» (بمعنى الساق)، وماء «صخن» (= سخن) هي صورة صوتية للسين التي هي الأصل في تلك الكلمات. والشين التي في «شمل» و«شرب» و«شبع» ومئات الجذور الأخرى هي وَحدة صوتية في حين أن الشين التي في نطق اجْتمع -- (اشْتَمَعَ)، وفي نطق اجْترَّ -- (اشْترّ). هي صورة صوتية لأن الأصل أي الوحدة الصوتية الأصلية في هاتين الكلمتين هي الجيم. وهكذا. أما الطاء التي في اصطبح والدال التي في ادّكر ونحو ذلك فإنها ليست صورة صوتية للتاء التي هي الأصل، ذلك لأنه لا يجوز نطق هذه الكلمات بالتاء. فالصورة الصوتية ينبغي أن تكون صورة لنطق فصيح في الكلمة.

مقارنة بين العربية وبعض اللغات الأخرى

في عدد الوحدات الصوتية:

والآن فإنه عند حساب أصوات لغة ما = ينبغي أن تُحسب وحداتها الصوتية لاصور الأداء الصوتى. فالصوت اللغوى، إذا كان يشترك في بناء ألفاظ اللغة - (ونحن هنا نتكلم عن العربية) باعتداده صوتا متميزًا في اللغة فإنه ينبغي أن يحسب من وحداتها الصوتية حتى لو كان هذا الصوت نفسه يستعمل في بعض الحالات بديلا لصوت لغوي آخر كالسين والزاي في نطق صاد الصندوق وكالأمثلة الأخرى التي أسلفناها. أما إذا اقتصر دوره في اللغة على كونه يظهر أحيانا كبديل لإحدى الوَحدات الصوتية فإنه لا يحتسب من أصوات اللغة أو (فونيماتها)، وذلك كالجيم الشامية والكافية مع الجيم المعطشة. وعلى هذا فصوتا ج، G لا ينبغي أن يحسبا ضمن أصوات العربية لأنهما مجرد بدائل صوتية هنا ولم يستعملا بصورة عامة في بناء الألفاظ العربية، في حين أن كلا من الكاف والقاف (في ملك وملق) مثلا والدال والطاء في (قدّ وقطّ) والثاء والسين في (عثرَ وعسُر)... كل واحد منها في تلك الثنائيات وحدة صوتية (فونيم)،

لأنه مستعمل في اللغة بصورة عامة في بناء ألفاظ اللغة، ولأن هناك فرقًا في المعنى بين الكلمة التي يشترك هو فيها والكلمة التي يشترك فيها صنوه[1].

وبهذه النظرة - وهي موضوعية - نجد أن في العربية ٣٤ فونيما، وفي الانجليزية ٢٦ فونيما منها المركبX الذي يمكن الاستغناء عنه بغيره، كما يمكن أن يحذف منها صوتC إذ تغنى عن نطقها K ، S[2] - كما يمكن أن يضاف إليها صوت الشين(Sh) والذال والثاء (th) لأنها وحدات صوتية شائعة فيها - ويعدُّ عدمُ وضعهم رموزا لهن نقصا في أبجديتهم. وتتميز بأصوات G V P وبذا تعد أصوانها ثلاثين فونيما. وكذلك الحال في الفرنسية تقريبا. أما اليونانية واللاتينية فلكل منهما ٢٤ فونيما.

«وفي الفارسية الحديثة اثنان وثلاثون حرفا هي الحروف العربية الثمانية والعشرون ويضاف إليها الحروف الأربعة پ P ، ch، ژ وهي تنطق كحرف S فيPleasure، ك وهي كالجيم القاهرية. وتنطق الثاء والصاد كالسين، والحاء كالهاء، والذال والضاد والظاء كالزاى، والعين كالهمزة، والطاء كالتاء، والقاف كالغين أو الكاف أو القاف تبعا لاختلاف اللهجات، والواو ينطق بها كما ينطق بالحرف V وفي بعض اللهجات ينطق بها كما في العربية، وبتأمل يسير يمكن طرح تسعة أحرف من إحصاء أبجدية الفارسية. لأنها مجرد بدائل. ولعلهامستعارة أساسًا من العربية - فيبقى للفارسية ثلاثة وعشرون صوتا صامتا. كما أن للفارسية عشرَ حركاتٍ كثيرٌ منها صور أدائية بشروط خاصة بها، وفي العربية نظائر تفوقها عددا... فالعربية أكثر حروفا من الفارسية أيضًا.

---

(١) الكلام عن الفونيم مبسوط في دائرة المعارف البريطانية (٧٧٤/١٧) وفي دائرة معارف تشمبرز Chambers وأسلفنا أنه مفصل في دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ١٣٩ - ٢٣٦ . وانظر تناولاً له في الأصوات اللغوية د. أنيس، والعربية معناها ومبناها د. تمام ٥٧ ، وعلم اللغة د. حجازي ٦ وعلم اللغة د. عبد الصبور شاهين، والمدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب ٨٣ - ٩٠ ومقدمة لدراسة اللغة د. حلمي خليل ٢٢٤ - ٢٣٢ .

(٢) هذا استنتاج مما جاء في موسوعة تشمبرز من أن صوت الـ K في Keep و Cottage (فونيم) واحد.

فإذا جئنا إلى العبرية وهي لغة سامية كالعربية وجدنا أن لها أيضا ثلاثة وعشرين صوتا صامتا، منها ستة أحرف لها بدائل تعوض نقصها، فقد تنطق الباء فاءV، والجيم غينا، والدال ذالا، والكاف خاء، والPفاء، والتاء ثاء. وفي العبرية ثماني حركات بعضها صور أدائية في العربية أمثالها[1]. وهكذا يتبين أن العربية أكثر حروفا من العبرية أيضًا.

هذا وقد قرر بعض الباحثين أن عدد الفونيمات في اللغات المختلفة يتروح بين ١٠/ ١٢، ٧٠/٨٠[2]. والمرجح أن هذا الباحث نظر إلى الرموز المكتوبة للأبجديات، ولم يسقط الرموز التي تمثل أصواتا مركبة، وأنه احتسب في هذا الإحصاء الصور الصوتية أيضا. وأيًا كان فإنه بمقارنة العربية باللغات المشهورة - أوربية وغيرها - يتبين أن العربية أثرى تلك اللغات بالوحدات الصوتية[3].

ويلفت النظر في هذه النقطة أن نهر (أو خانة) الأصوات الحلقية **Pharyngal** في لوحة موسوعة تشمبرز للأصوات العالمية خال من الأصوات الاوربية مما يدل على تميز العربية على كل اللغات الأوربية والأمريكية وكثير من اللغات الأخرى (أي كل اللغات التي أسس عليها إحصاء تشمبرز) بصوتي الحاء والعين. أما في غير الحلقية فإن العربية تفوق عددا أقل من ذاك بصوتي الخاء والغين[4]، هذا إلى صوتي الضاد والظاء الفصحيين

---

(١) انظر التوطئة في اللغة العبرية د. فؤاد حسنين علي ١٥ - ١٨ .

(٢) الأصوات والإشارات، كندراتوف. ترجمة شوقي جلال ص٢٩ .

(٣) أشار ابن قتيبة المتوفي ٢٧٦هـ إلى أن الأبجدية العربية أكثر عددًا من أية أبجدية أخرى. فقد عدّ الأبجدية العربية ثمانية وعشرين حرفًا ثم قال: (وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين. ولست واجدًا في كلامهم حرفًا ليس في حروفنا إلا معدولاً عن مخرجه شيئًا). تأويل مشكل القرآن ١٤. وانظر عرضاً عن الحروف الأبجدية في العربية وغيرها في صبح الأعشى للقلقشندي (المتوفي ٨٢١هـ) ١٥/٣ - ١٧ .

(٤) الهاء مستعملة في كثير من اللغات الأوربية وكذلك الهمزة تنطق في A، E، O، I إذا وقعن في أوائل الكلمات.

كما سنرى الآن. وهنا نقطة أخري يجرنا إليها هذا الموضوع: أعنى ما قيل عن اختصاص اللغة العربية بالضاد حتى قبل إنها لغة الضاد.

وقد رأينا من قبل أن أداء الضاد كما ينبغي - تبعا لما كان ينطقها عليه العرب الأولون ووصفها العلماء المتقدمون - جانبيةً رخوةً مجهورةً مطبقة = فيه شيء من الثقل هو ما يُجشِّمه أداؤها من كُلفة لأعضاء الصوت. ومن القوانين الصوتية أن جمهور اللاغين يتجه إلى الأداء السهل الخفيف، وربما لهذا خلت منها لغات كثيرة، كما أنها أصبحت في أداء المصريين دالا مفخمة، وفي أداء آخرين زايا مفخمة[1].

وبحسبنا الآن أن الأصمعى (٢١٦هـ) هو أول من نُسِب إليه ملاحظةُ خلو لغة الروم من الضاد، ثم كنى المتنبى (٣٥٤هـ) عن العرب بناطقى الضاد.

وهمُ فخرُ كلِ مَنْ نطقَ الضا　　دَ، وعَوْذ الجاني وغَوْثُ الطريدِ [الخفيف]

ثم صرح بذلك ابن جني (٣٩٢هـ) مضيفا أنها لا توجد من كلام العجم إلا في القليل[2] وحكى ذلك ابن فارس (٣٩٥هـ) أيضا. وذكره الزبيدي في تاج العروس[3]. ولعل قولة المستشرق (برجستراسر) لها وزن كبير في هذه النقطة إذ يقول «فالضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود على حسب ما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب[4] فهذه شهادة مصدقة لما قال القدماء. (بيد أني أنطقها النطق (العتيق) وأعلمه لقنائى. والحمد لله).

---

(١) انظر مزيدًا من الكلام عنها في الفصل الخاص بتفصيل الكلام في الأصوات.

(٢) سر صناعة الإعراب ٢٢٢/١ .

(٣) (الضاد) ٤٠٦/٢ ذكر إطباق الجماهير على أن الضاد مختصة بلغة العرب لا توجد في لغات العجم. ثم ذكر كلام أبي حيان الذي نقلناه هنا في متن الصفحة التالية.
وفي كتابنا معالجة لمسألة الضاد أرجو أن تكون حاسمة. مرّت. وفي الأصوات اللغوية د. أنيس ٤٨ - ٦٢ معالجة مطولة.

(٤) براجتراسر التطور النحوي ص١٠ .

كذلك قال الخليل إن الظاء حرف خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد[1].
ويصدقه وسائر الأئمة في هذا قولُ أبي منصور الجواليقي (٥٤٠هـ) وهو خبير بلغات الأعاجم والصلة بينها وبين اللغة العربية - في كتابه «المعرب» «وليس للضاد والظاء باب، لأن هذين الحرفين لم ينطق بهما سوى العرب»[2].

وعلة ذلك في الظاء مثل علته في الضاد - أن الظاء بنطقها الفصيح تكلف الجهاز الصوتي جهودا كثيرة متنوعة تثقلها - كما عرفنا - ولذا تجنبتها أكثر الأمم.

ونختم هذه النقطة بما قال أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) وهو حجة لعلمه وتأليفه في لغات كثيرة - وفيه تأكيد لما سبق «انفردت العرب بكثرة استعمال الضاد، وهي قليلة في لغة لبعض العجم - مفقودة في لغة الكثير منهم، وذلك مثل العين المهملة». وذكر أن الحاء المهملة لا توجد في غير كلام العرب. وأن الظاء المشالة مما انفردت به العرب دون العجم، والذال المعجمة ليست في الفارسية، والثاء المثلثة ليست في الرومية ولا في الفارسية.. والفاء ليست في لسان الترك.. «وقد رَوى بعضَ هذا عن شيخه الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص (٦٨٠هـ)[3].

وفي مقابل ذلك نقول إنّ أهم ما تتميز به اللغات الأوربية الفاء المجهورة (V) وأقل من ذلك أهمية الباء المهموسة(P).

إن **القيمة الأساسية** في كثرة أصوات (أبجدية) أية لغة واستعمالها لكل المخارج الصوتية في الجهاز الصوتي الإنساني هي إتاحة المزيد من المواد الجديدة في تلك اللغة[4]، ومن المواد تأتي التراكيب والكلمات التي هي قوالب الفكر. فتيسرها مع تنوع أصواتها

---

(١) اللسان ٣١٤/٩ والقاموس (ظوى / ظبي).
(٢) المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي ٢٦٨ (آخر باب الصاد).
(٣) تاج العروس ٤٠٦/٢ . وصبح الأعشى ١٥/٣ .
(٤) مادة من ثلاثة أحرف تمكننا من بناء ستة تراكيب ثلاثية لا يتكرر أي من حروفها في أي منها؟ وأربعة أحرف تمكننا من بناء ٢٤ تركيبًا ثلاثيا لا يتكرر أي من حروفها في تركيب ما. أما مع احتمال التكرار فإن ثلاثة أحرف تعطي ٢٧ تركيبًا ثلاثيًا.

يتيح لسبحات الفكر اللانهائية فرص التشكل والظهور إلى عالم التداول والاستعمال. كما أن غزارة الثروة اللفظية - المستعملة فعلا - لأية لغة هي مؤشر أكيد على غزارة فكر الأمة وتناوله لكل المجالات التي يطرقها الفكر. وهنا يمكن أن نقدم إحصاء تقريبيا مقارنا.

فمعجم تاج العروس يحتوي على نحو اثني عشر ألف تركيب (كل تركيب فيه مفردات تصل إلى عشرات[1] وكثير من هذه المفردات له أكثر من معنى) والجزء الأول من المعجم الكبير الذي أخرجه مجمع اللغة العربية ويحوي الكلمات المبدوءة بالهمزة فقط يعالج نحو عشرة آلاف كلمة. وهذا يعني احتواء العربية على نحو ربع مليون كلمة منها ما يجرى على الألسنة، وما يقل استعماله، وما يندر، وما احتبس في المعاجم لا يفارقها. وجدير بالذكر هنا أن هناك من المفردات والأبنية اللغوية ما فات المعاجم القديمة تسجيله[2]، وما استجد استعماله بعد وضع المعاجم القديمة وجري على الألسنة وسُمَي المولّد[3].

وقد جاء في مقدمة معجم (متوسط المادة) للغة الانجليزية وهو

The Elizabethan Reference Dictionary

أنه يحوي زهاء مائة وعشرين ألف كلمة وتعبير. هذا مع اتساع الانجليزية في تقبلها المواد اللغوية المستحدثة والمقتبسة من اللغات الأخرى. وما يهمنا هنا أن العربية من أكثر لغات العالم - في عدد التراكيب، وأن لكثرة حروف أبجديتها إسهاما في ذلك، وأن هذا يزيد القدرة التعبيرية للعربية.

---

(١) بل قد تزيد كثيرًا. فتركيب (كتب) مثلاً يتأتى منه حسب الصيغ القياسية وشبه القياسية كتب، كتّب، أكتب، كاتب، انكتب، اكتتب، تكتب، استكتب. فهذه ثمانية أفعال لكل منها مصدر عادي (أو أكثر) ومصدر ميمى وأسماء مرة وهيئة وفاعل ومفعول وزمان ومكان، وتفضيل وآلة وصفة مشبهة وصفة مبالغة (أو أكثر) من الثلاثي ويتأتى من كثير من ذلك مصدر صناعى أيضًا. وكل هذا لمعنى (الكتابة بمعنى خط رموز الكلمات) وهناك كتب بمعنى فرض وبمعنى خاط وكتّب الجند جعلهم كتائب، وكاتب العبد.

(٢) في (الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء معتين من المستدركات على لسان العرب وتاج العروس) د. محمد حسن حسن جبل دراسة عن كل من المتتي كلمة المستدركة، وفي ص٢١، ٢٢ منه إشارات إلى كتب الفائت والمستدرك من الفصيح، وإلى أكثر من أربع مئة كلمة استعملت في المؤلفات القديمة ولحظ المحققون المحدثون خلو المعاجم منها.

(٣) في المرجع السابق ص٢١، ٢٢ إشارات إلى عدد من المعاجم التي استدركت المولّد.

طول الصوت اللغوي

يُعنى بطول الصوت اللغوي الزمن الذي يستغرقه الحرف في نطقة. ولهذا الموضوع أهمية في ضبط إلقاء الكلام، وله أهمية خاصة في قراءة القرآن الكريم. ذلك أن بعض القراء قد يجرفهم الميل إلى أداء القراءة وفق نغمات خاصة إلى إطالة زمن بعض الأصوات رعاية لمقتضيات (حبكة) النغمة في زعمه. وهذا بالطبع خطأ فاحش في قراءة القرآن ولا يستساغ حتى في الكلام العامي.

وقد عالج العرب القدماء - لغويين وقراء - هذا المبحث لكل الحروف. واشتهر من تحديدات القراء بالنسبة لطول الحركات أن الحركة القصيرة تقاس بزمن قبض إصبع أو بسطها بطريقة متوسطة بين السرعة والبطء. وعليه فإن المد الطبيعى يساوي القبض والبسط معًا أو قبض إصبعين على التوالي أو بسطهما كذلك. وهذا المد الطبيعى طبقوه على الألف وعدّوها مقياسا فقالوا عن المد الفرعي إن مقداره ألفان أو ثلاثة... وقد درس المحدثون طول الحركات بالأجهزة الحديثة. وقدروا طول الحركة بنحو ١٦٪ من الثانية والمد الطبيعي بنحو ٣٢٪ من الثانية، والمد الفرعي يكون بمضاعفة ذلك حسب مذاهب القراء. والقارئ المجود يحسّ بهذه المقادير إحساسًا دقيقًا ويطبقها في قراءته.



المقاطع الصوتية

المقطع الصوتي هو أقل (تأليف) للأصوات اللغوية. وإذا كانت دراسة المقاطع الصوتية في تفاصيلها من ثمرات الدرس الصوتي الحديث عند الغربيين، فإن وجود أسسها أو بذورها في دراسة العروض والبلاغة تسوغ لنا معالجتها هنا - رغم ضآلة جدواها في العربية بالنسبة لما عند الأوربيين، ذلك أن المقاطع مؤلفة من صوامت (حروف صحيحة ساكنة) وحركات «والعروض حاكم على الساكن والمتحرك» كما يقول ابن جني[1]، كما أن أحد العناصر الرئيسية للتفاعيل العروضية - وهو السبب الخفيف - يشكّل أحد المقاطع البسيطة، بل إن التفاعيل وعناصرها يمكن اعتدادها صيغا لتجميع المقاطع بأنواعها الآتية. وأخيرا فإن المقاطع الصوتية يعتد فيها بكثير مما يعتد به في العروض: فكما أن المنظور إليه في العروض عند التقطيع مقابلةُ المتحرك والساكن بحركة وسكون مع قطع النظر عن خصوص الحركة والحرف، وأن الحرف المشدد يحسب بحرفين أولهما ساكن، وأن التنوين يحسب نونا ساكنة، وأن المعتدَّ به عند الوزن والمقابلة هو اللفظ أي ما يُتَلَفَّظ به فحسب وإن لم يرسم، ومالا يتلفظ به لا يعتد ولو رسم[2]... فإن كل ذلك يؤخذ به في المقاطع الصوتية كما أُخذ به في العروض. وقد تكلم القرطاجني (٦٨٤هـ) عن بعض المقاطع في إطار بلاغي (ما ينبغي في الكلمة الفصيحة من حيث عدد حروفها) فذكر أقصر المقاطع وسماه المقطع المقصور نحو «قِ» (الأمر من وقى)، ثم استعار من العروضيين ما سموه السبب والوَتِد، ليبين تكون الكلمة من نوع من تلك الثلاثة مفرد أو مكرر، أو من أنواع مركبة[3].

---

(١) سر صناعة الإعراب ٦٤/١ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق: الترحيني (الجوهرة الثانية) ٢٧١/٦ وينظر المختصر الشافي على متن الكافي ص٤ .

(٣) ينظر المزهر ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

ومع ذلك فإن اللغة العربية ليست لغة مقطعية. والنبر - الذي من أهداف دراسة المقاطع تحديدُ مواقعه - ليست له في العربية دلالة مقنّنة - بعكس الحال في اللغات المقطعية. والمواقع النادرة التي يمكن أن يقنن للنبر فيها في لغتنا ليست من نوع مواقع النبر في اللغات المقطعية.

والأساس العضوي لتقسيم الكلام إلى مقاطع في اللغات المقطعية هو دُفَع النفَس التي تصدر لإنتاج الصوت. والأساس الصوتي لذلك هو تذبذب مستوى علو الأصوات اللغوية المتوالية في الكلام بين قاع (للأصوات العديمة الإسماع)، وقمة (للأصوات الكاملة الإسماع)، وأصوات بين القاع والقمة. والمقطع الصوتي هو مجموع الأصوات التي تشكل منحنى إسماعيا كاملا (من قاع إلى قمة إلى قاع) - وبهذا يتميز تميزا يساعد - مع عوامل أخرى، على تبين مفاصل الكلم. وتمييزُ المقاطع يقتضي تحديد درجة علو كل من الأصوات اللغوية.

ولم يعقد العرب المتقدمون مبحثا لدرجة علو كل من حروف الأبجدية، ولكنهم خصوا الحركات الطويلة (حروف المد) باسم المصوتة[1] مما يعني أنهم عدوها - والحركات القصيرة أبعاضها - أعلى حروف الأبجدية صوتا.

كذلك أكد الخليل على نصوع العين والقاف وطلاقتهما وبُحّة الحاء وخفاء الهاء[2].

وسنرى أن مانّوه به العرب بالنسبة للحركات وأنها هي الحروف الصائتة أو المصوته هو ما يُهمّ في مجال تحديد المقاطع. لكن الأوربيين استحدثوا ما حدد درجات علو الأصوات - بما يمكن تطبيقه في العربية مرتبا ترتيبا **تصاعديا** كما يلي:

---

(١) ينظر الكتاب ١/١٦٥ - ١٦٦ ، ٤/١٧٦ والمقتضب للمبرد ط٣، جـ١/١٩٩، ورسالة أسباب حدوث الحروف ١٣ - ١٤، والمستوفي ٢/٥٨٢، ٥٩٧، مفاتيح الغيب (دار الغد) ١/٥٦ .

(٢) العين (تحقيق: د. درويش) ١/٦٠ - ٦١، ٦٤ .

١- الصوامت المهموسة:

أ - الشديدة (ت،ك).

ب - ثم الرخوة (س، ف، ح، ث، هـ، ش، خ، ص).

٢- ثم الصوامت المجهورة:

أ - الشديدة (ب، ج، د،أ،ق،ط).

ب - ثم الرخوة (ز -ل، م ،ن، ر،ذ، ض،ظ، ع،غ، و،ى).

٣- ثم الحركات:

أ - الضيقة (واو المد، ياء المد ، الضمة، الكسرة).

ب - ثم الواسعة (ألف المد مرققة ومفخمة، والفتحة كذلك)[1].

فإذا أخذنا في الاعتبار بعض خصائص لغتنا، من أنه لا يبتدأ فيها بصامت ساكن، ولا بحركة قبل صامت (إذ همزة الوصل المبتدأ بها صوت صامت لا تخفف)، كما أنه لا يسوغ في لغتنا توالي صامتين ساكنين إلا في حالات خاصة .. ثم إذا بسطنا الأمر بأن جعلنا الحركات وحدها هي أصوات القمة وما سواها أصوات القاع لأن كل الصوامت خفيضة الصوت بالنسبة للحركات... أمكن أن نطمئن إلى **تحديد** المقطع في اللغة العربية **تطبيقيا** بأنه **تأليف صوتي يبدأ بصامت متحرك وينتهي عند ما يليه صامت متحرك** آخر. ويمكن من ثم أن نطمئن إلى تنويع مقاطع العربية في ما يلي:

١ - **النوع الأول**: يتكون من صوت صامت + حركة قصيرة. كمقاطع سَ/ئِ/لَ.

٢- النوع الثاني: يتكون من صوت صامت + حركة طويلة. كالمقطع الأول من قَا / تل، خو/طب، مي/عاد.

---

(١) في أساس هذا التحديد لدرجة علو الأصوات اللغوية انظر د. عبد الرحمن أيوب. أصوات اللغة ١٣٥ - ١٣٦ حيث عرض ذلك بالنسبة لبعض الأصوات الأوروبية، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ٢٦ - ٢٨ . ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ٢٤٤ - ٢٤٦ .

٣- النوع الثالث: يتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت. كمقاطع كلمة مُسْ /تَغْ /فِرْ. عند الوقوف عليها.

٤- النوع الرابع: يتكون من صامت + حركة طويلة + صامت كالمقطع الأخير من نستـ/ـعِينْ. ومن سا/هُونْ، وميـ/ـعَادْ.والمقطعين الأخيرين من الضـ/ـضَالْ/ـلِينْ

٥- النوع الخامس: يتكون من صامت + حركة قصيرة + صامتين. كالمقطع الأخير من الـ/ـمـ/ـقَرّْ (عند الوقوف بالسكون) وكالكلمات رَبّْ، وخَيْرْ وعِلْمْ عند الوقف عليهن.

٦- النوع السادس: ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامتين - مثل رجل ضالّْ. لا يحصيهم / عَادّْ. والمقطع الأخير من الكلمات: مُحْ/ـمارّْ. مُخْ/ـضارّْ. يضـ/ـفارّْ - (عند الوقوف على كل منهن).

والمقاطع الكثيرة الشيوع في الصيغ العربية هي الأنواع الخمسة الأولى، والسادس كثير أيضًا. وأغلب ما تتركب منه ألفاظ اللغة ما بين مقطعين إلى خمسة. وقد تتركب من مقطع واحد مثل سُوقْ، فِيلْ، بَابْ أو من ستة مثل مُتَوَفِّرَةٌ (تُنْ) مُتَقَدِّمَةٌ (تن). وقد قيل إن الكلمة العربية لا تزيد بلواحقها - عن سبعة مقاطع ومثلوا لذلك باللفظين ﴿فَسَيَكْفِيكَهم الله﴾ (البقرة ١٣٧) ﴿وَأَنُلْزِمُكُمُوهَا وأنتم لها كارهون (هود ٢٨). والحقيقة أنها يمكن أن تزيد عن ذلك كثيرًا. فيمكن أن تصل إلى ثمانية مقاطع كما في لأَتَقَدَّمَنَّكُم - لَيَتَعَهَّدَنَّهُ - لأَسْتَمْنِحَنَّكهُ - لَيَتَقَاسَمُنَّها، وإلى تسعة: لَيَسْتَلِبُنَّكُمُوها، وإلى عشرة؛ لأَتَعَجَّلَنَّكُمُوها. وإلى أحد عشر: أَفَأَتَعَجَّلَنَّكمُوها أو فَلأَتَعَجَّلَنَّكُمُوها[1].

وقد قيل إن دراسة المقاطع يمكن أن تزودنا بمعيار جديد لطبيعة تأليف الكلم العربية نميز به الكلمة العربية من الكلمة الدخيلة. ولكن الحقيقة أن تطبيق هذا سيكون تكلفًا سلبيّ الجدوى. فإذا قيل - بدلاً من قول سيبويه «ليس في كلام العرب (على صيغة)

---

(١) جاء في الخصائص لابن جني ٣٢٩/٢ (فالحرف الذي يُنَزَّل مع ما بعده كالجزء منه فاء العطف، وواوه، ولام الابتداء، وهمزة الاستفهام» وذكر كاف التشبيه في موضع آخر (٣٣٠/٢).

مِفْعِل إلا مِنْخِر): ليس في كلام العرب (ما هو مكون من) مقطعين من النوع الثالث حركة الأول منهما أمامية ضيقة (إلا منخر) نجد أننا عبرنا عن كلمتين (صيغة مفعل) بنحو تسع كلمات، والتعبير مع ذلك غير مسلّم لأنه يشمل ما كان مثل زِبْرِج (والصامت الأول فيها أصلي لا زائد) وهذا خطأ، وإذا عبرنا عن هذا ضمن الضابط الجديد زاد عدد كلماته أيضًا - وأدّى إلى خطأ ثان لأنه حينئذ يشمل نفي تِفرج ونِفرج بالتاء والنون وهكذا. ثم على فرض الوصول إلى إحكام الصياغة فإنَّ الجدوى هي إبدال معيار فِجّ بمعيار دقيق محكم. ولكن على سبيل المجاراة فإننا نقول:

العربية لا تقبل المقاطع المبدوءة بصامت ساكن وذلك وفقًا للقاعدة المعروفة (أنه لا يبتدأ بساكن)، ولنفس السبب لا توجد فيها صيغ (أي تركيبات مقطعية) مبدوءة بصامت ساكن. وقدمنا كذلك أنه لا يبتدأ فيها بحركة قبل حرف صامت. كذلك فإن العربية تستثقل الصيغ المكونة من أربعة مقاطع من النوع الأول، وتتجنب ما يؤدي إليها. فنحن نذكر تعليل النحاة لإسكان آخر الفعل الماضي الثلاثي عند إسناده إلى ضمير رفع متحرك في مثل فهمْت بأنه (بُنِيَ على السكون العارض لدفع كراهة توالي أربع متحركات في ما هو كالكلمة الواحدة) والمعاجم تصدق نظرة النحاة تلك، فلم يتعد ما جاء من ألفاظ اللغة بأربع حركات متوالية: اثنى عشر لفظًا بعضها مكرر أو مبدل. منه الخُنَثِر الشيء الخسيس، والجنَدِل: الأرض فيها حجارة، العُجَلِدُ اللبن الخاثر، والعُثَلِط، والعُجَلِط، والعُكَلِط؛ والهُدَبِدُ: اللبن الخاثر جِدًا، الدُّلَمِز: البرّاق، والزُّمَلق: من يريق قبل أن يُفضِي. والحُدَلِقَة: العين.

وكرهوا - في الشعر بخاصة - الصيغ المحتوية على مقطع من النوع السادس - ولو في وصل الكلام (لأن كل ما فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن - إلا في ضَرْب منه يقال له المُتَقارب فإنه جُوز فيه - على بُعد - التقاء الساكنين وهو قوله:

فذاك القصاص، وكان التقا صُ فَرضًا وحَتْمًا على المسلمينا

[المتقارب]

ولو قال.. وكان القِصَاصُ فَرْضًا وحتمًا... كان أجود وأحسن. ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض، ولا نظير له في غيرها من الأعاريض (كما قال المبرد)[1]:

أما في النثر فهو كثير، وجاء في القرآن الكريم ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جَانٌّ﴾[2]. ﴿فاذكروا اسمَ اللَّهِ عليها صَوَافَّ﴾[3]. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾[4]. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ...﴾[5].

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[6] قراءة (التنادّ) (بتشديد الدال). فإذا وُقِف على أيٍّ من هذه الكلمات وأمثالها بالسكون كان آخر كلّ مقطعًا من النوع السادس.

* ويقرر سيبويه أنه لا يتوالى في تأليف الشعر خمسةُ أحرف متحركة (أي خمسة مقاطع من النوع الأول) نحو جَعَلَ لك وفَعَلَ لبيد[7] وهذا يصدّقه أنه لا يتوالى في أي بحر خمسة أسباب ثقيلة.

* وذكر ابن سنَان الخفاجي[8] أن من شروط فصاحة الكلمة أن تكون معتدلة غيرَ كثيرة الحروف. فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبُحت وخرجت عن وجه من أوجه الفصاحة كقول أبي نصر بن نباته.

ألا إنّ مِغْنَاطِـيسَـهُن الذوائبُ [شطر من الطويل]

---

(١) الكامل للمبرد ١/٢٥ ، ٢٦ نهضة مصر. وانظر في هذه النقطة د. عبد الصبور شاهين القراءات القرآنية ٥٦ .

(٢) سورة الرحمن ٥٦ ، ٧٤. وختام ٣٩ جَانّ أيضًا.

(٣) سورة الحج ٣٦ .

(٤) سورة النساء ١٢ .

(٥) سورة الحج١٨ .

(٦) سورة غافر ٣٢ وينظر لسان العرب (ندد، ندى).

(٧) ينظر الكتاب ٤/٤٣٧ .

(٨) سر الفصاحة ٩٥ - ٩٧ .

وكقول أبي الطيب:

إن الكريمَ بلا كِرامٍ منهم مثلُ القُلوب بلا سُوَيْدا وَاتِها

[الكامل]

وكقول أبي تمام:

أَنِلْتُهُ باستماعِكَهُ مَحَلًّا يفوت علوُّه الطرْف الطموحا

[الكامل]

وكقوله:

العِيسُ تعلم أن حَوْبا وَاتِها رِيحٌ إذا بَلَغَتْك إن لم تُنْحرِ

[الكامل]

وقوله:

وإلى محمد ابتعثت قصائدي ورفعتُ للمُسْتَنْشِدِين قَصِيدى

[الكامل]

ففي رأيه أن كلمات مِغْنَاطِيسهُن، سُوَيْدَاوَاتها، باستماعِكَه، حَوْبَاوَاتِها، للمُسْتَنْشِدِين رديئةٌ أو قبيحة، وخالية من الفصاحة لكثرة حروفها. ويترجَمُ هذا هنا بكثرة مقاطعها. ونحن لا نتفق معه في اشتراط قلة الحروف أو المقاطع للفصاحة فقد جاء في القرآن الكريم (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) (فَسَيَكْفِيكَهُم) وشاع جدًا هذا النوع من الألفاظ المركبة في أساليب كبار المؤلفين[1]، وما دامت الكلمة تخلو من التنافر فنحن لا نحبذ الحَجْر على استعمالها بسبب قيود تَرَفِية.

☆☆☆

---

(١) في أسلوب الإمام الطبري – مثلاً – في تفسيره الجليل تشيع مثل هذه الألفاظ الكثيرة اللواحق كضمائر الفاعل والمفعول مثل قوله وتصريفُنَاهَا / ذِكْرُناها – انظر ١٧/١ . وانظر فصلاً في مثل هذا في دقائق التصريف للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (نحو ٣٥٠هـ) تحقيق: د. حاتم الضامن وزميليه ص٣٧٨ – ٣٨١ .

التطريز الصوتي Prosodies

عندما قورنت جهود الأئمة اللغويين القدماء في مجال التطبيقات الصوتية - بما قدمته الدراسات الحديثة في هذا المجال لم يكن مَنَاصٌ من أن تمتد إلى تلك الجهود ظلال من شك لم يكن كلُّه ظالمًا أو عادلاً؛ فقد كانت لهم جهود تطبيقية عظيمة في هذا المجال، ولكنها لم تَلْقَ حظها الكافي من التقدير لأنها قُصِرَت في عملهم، وفي عمل المتأخرين من شُرّاحهم أحيانًا أخرى - على موضوعات معينة كباب الإدغام في النحو والصرف، وكالجانب التجويدي من قراءة القرآن الكريم، في حينَ تَوارَى دَوْرُها في مجالات أخرى كسائر أبواب النحو والصرف، وكدراسات متن اللغة، والدراسات الأدبية النقدية. وأسهم في إلقاء هذه الظلال، أن بعض الأبواب التي اقتضتها طبائع اللغات الأخرى - الأوربية وغيرها - كالنبر stress - ليس لها في العربية من الأهمية مثلُ ما لها في تلك اللغات، فلم يلتفت القدماء إليها. ولما افتقدها المحدثون الذين يتطلبون في الدراسات العربية أبوابًا مماثلة للأبواب التي رأوها في الدراسات الأوربية، حكموا بتقصير العرب في تلك المجالات التطبيقية. وسنرى الآن بعض تلك الدراسات التطبيقية الحديثة قبل أن نعرض لبعض التطبيقات الصوتية في الدراسات اللغوية التقليدية.



النبر Accent، stress

ومعناه الضغط، والمقصود به في مجالنا هذا الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، أو على كلمة من كلمات الجملة.

والنبر في الكلمات مما يساعد على وضوح مقاصدها، وفصاحة وقعها لدى السامع. ولنبر المقاطع في غير العربية دور خطير، إذ قد يتوقف عليه - عند السامع - نوع الكلمة أهي اسم أم صفة أم فعل. فلفظ Compact إذا نُبر مقطعه الأول كان اسمًا بمعنى اتفاق أو عهد، وإن نُبر مقطعه الثاني كان صفة بمعنى مُدمج أو مُحكم. ولفظ absent إذا نبر مقطعه الأول كان صفة، وإن نبر مقطعه الثاني كان فعلاً. ولفظ abstract إن نُبر مقطعُه الأول كان اسمًا بمعنى خُلاصة، وإن نبر مقطعه الثاني كان فعلاً بمعنى يَستخلص أو يَنقص وهكذا[1].

أما في العربية فنبر المقاطع قيمته أدائية، ولا يُلْحظ إلا على المستوى اللهجي كما ينطق أبناء صعيد مصر كلمات مثل بَلَدُكم، مِنشطَرَتك، رَبّنا ونحوها في أوزانها - بنبر يخالف ما ينطقها به أبناء شمال مصر... ولا تتغير معاني الكلمات بين النطقين كما هو معروف - ولله الحمد. وعدم تغير المعاني هذا هو الذي يفسر عدم تعرض الأئمة القدماء للنبر، وأنه لا يتوجه عليهم بذلك اتهام تقصير أو غفلة - جزاهم الله خيرًا. أما المحدثون فقد وضعوا قواعد لنبر المقاطع[2] وهو نبر أكثره غريب وبعضه يمكن قبوله - كما إذا

---

(١) ينظر كتاب Good English 330 - 336 accent stress .

(٢) خلاصتها أنه إذا كان المقطع الأخير من الكلمة من النوع الرابع أو الخامس كان هو موضع النبر (مثل نستعين، مستقر) وإن لم يكن من أيهما وقع النبر على ما قبل الأخير بشرط ألا يكون هذا من النوع الأول مسبوقًا بمثله أو مثليه وإلا وقع النبر على السابق ففي مثل استغفر / قاتل / يكتب / تقدم - يقع النبر على ما قبل الأخير، وفي مثل كتب واجتمع وعنب وشجرة ومنزلتك وملكه - على الثالث والرابع عند بدء العد من آخر الكلمة. انظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ١٧٣ / الأصوات د. نجا ٧٨، وعلم الصوتيات د. عبد الله ربيع وصاحبه ٢٩١ - ٢٩٢ .

فُسّر إبرازُ التضعيف في نطق نحو (أَسَدٌّ) (بمعنى أصوب) بأنه نبر مقابل نطق (أَسَدْ) (= المفترس المعروف) بالسكون (وقفًا فيهما). ولعل ما هو أجدر بالتماس قاعدة له النبرُ في مثل: ﴿إنّ ما تُوعَدون لآتٍ وما أنتم بِمعْجِزين﴾[1]، ﴿واعْلموا أنّ ما غنمتم من شيءٍ فأَنَّ لله خُمُسَه﴾[2]، ﴿بئسَ ما اشترَوْا به أنفسَهم﴾[3]، ﴿أينَ ما كنتم تَدْعون من دون الله﴾[4]، ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ﴾[5]، ونحوها من الكلمات المركبة، إذ ينبغي أن تساعد طريقة الأداء في القراءة على ما يشير إلى أن (ما)، هنا كلمة مستقلة. وكذلك مثل ﴿... فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ﴾[6] ينبغي ألا تقرأ كلمة (فَقَعُوا) وكأن الفاء حرف أصلي من الفعل (فقع) وهكذا.

* وبعض أمثال تلك الكلمات ينبغي أن تقرأ بنبر يبرزها كلمة واحدة مثل (إيّاكَ، وإيّاكُم، وإيّانَا، في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ﴿أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[7]، ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[8]... ونحوها، فيكون النبر على ألف المد في إياك وإيانا نبرًا يقوي اتصالها بالكاف... وقد أشار إلى ذلك بعض الشراح المتأخرين[9]، وقيمة كل هذا إبراز المعنى، بإلقاء الكلمة (والعبارة) بالصورة المؤدية إليه. ولهذا فإن ما قرره المحدثون من إيقاع النبر في مثل (مستقر ومستمر..). من مضعف اللام – أي

---

(1) سورة الأنعام ١٣٤ .

(2) سورة الأنفال ٤١ .

(3) سورة البقرة ٩٠ .

(4) سورة الأعراف ٣٧ .

(5) سورة لقمان ٢٧ .

(6) سورة الحجر ٢٩ .

(7) سورة سبأ ٤٠ .

(8) سورة القصص ٦٣ .

(9) جاء في نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي أن شارح نونية السخاوي (وقد توفي السخاوي ٦٤٣هـ) قال ينبغي أن يُحترَز في (قراءة قوله (إياك نَعبد) عن ستة أشياء.. خامسها السكت على الألف، وسادسها إشباع فتحة الكاف). وتجنب هذين يكون بنبر الألف.

المنتهي بمقطع من النوع الخامس – على مقطعه الأخير يستحق التنويه به وإن كنا نرى أن هذا مجرد أداء للتضعيف الموجود فعلاً لا نبر، وقد ذكرنا هذا قبلا.

والخلاصة أن تطبيق النبر في لغتنا العربية ينبغي أن يكيّف بما تقتضيه هذه اللغة لا أن يقاس فيها على ما تطلبه اللغات الأخرى. وقد استحدثنا بابا لنبر الكلمات المركبة في كتابنا «تحقيقات في التلقي والأداء»[1].

أما نبر الكلمات غير المركبة، فلا شك أنه أكثرُ أهمية في إبراز المعنى كما في (أخوك لا يتحمل منك هذا. أهناك اليوم محاضرات؟ لا يتأتي هذا منك لأنك معلم).

فنبر كلمة (أخوك في المثال لأول، و(اليوم) في المثال الثاني، و(معلم) في المثال الثالث يبرز المعني المراد من الجملة، وهو – في الجملة الأولى أن أعمال المخاطب لا تُحْتَمل حتي من أقرب الناس إليه، وفي الجملة الثانية أن اليوم الذي وقع فيه هذا الكلام لا يُتوقَّع أو ليس من المعتاد أن تكون فيه محاضرات (إما لأنه يوم عطلة مثلاً، أو لأن هناك ظروفا طارئة تجعل هذا غير متوقع أو غير متاح). وفي الجملة الثالثة يقصد بها أن صفته من حيث هو معلم تفرض عليه نمطا من السلوك منزها عما لا يناسب أهل المثل العليا. وهكذا.



(١) ينظر «تحقيقات في التلقي والأداء» ١٢١ – ١٣٩ .

التنغيم Intonation

يقصد به التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقُول فيه. فكما أن لكل مقام مقالاً، فكذلك لكل مقال طريقةٌ في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه. فالتهنئة غير الرثاء، والأمر والنهي سطوةً ورَدْعًا غيرُهما شفقةً، وهما غير التأنيب والتوبيخ، والتساؤل والاستفهام غير النفي وهكذا. وقد تناول علماء العرب[1] موضوع تنغيم الكلام بتفصيل واضح، إلا أن ذلك كان وهُم بصدد قراءة القرآن، وفي ميدانه. وليس معنى هذا أنهم لم يدركوا قيمة الإلقاء في أداء الكلام غير القرآني، كيف وقد كانت الخطابة من أشرف مواقفهم، وكذلك كان الشعر وإنشاده، كما أثر عنهم أنهم يعتزون بفصاحة الإلقاء، وينوهون بفصاحة الفصحاء. (وبعضها ولا شك إلقاء). كما أنهم عرفوا الإلقاء على طريقة المخاطبة[2]، وصنفوا فيه منذ وقت مبكر، فقد صنف أبو عبد الله محمد بن عيسي الأصفهاني (المتوفي ٢٥٣/٢٤٢هـ) - وهو إمام في القراءات والنحو - كتابًا في قراءة القرآن على طريق المخاطبة[3] ومعروف أن القراءة أو الإلقاء على طريق المخاطبة يعني أداء الكلام الاستفهامي بطريقة تشعر السامع بالاستفهام، والإنكاري بطريقة تشعره بالإنكار... وهكذا التعجب والتحير والندم والتلهف والزجر والإنذار والتبشير... إلخ. وقال الإمام ثعلب يصف محمد بن أحمد الطُوال النحوي (توفي ٢٤٣ هـ): (وكان حاذقًا بإلقاء العربية)[4]. فهذا الالتفات إلى (الإلقاء) وإلى القراءة (بطريقة المخاطبة) في القرن الثالث - بصرف النظر عن (التغني) بالقراءة الذي كان معروفًا منذ القرن الأول - يعني أن (تنغيم الأداء) كان معروفاً لعلماء العرب من حيث هو مجال علمي في ذلك القرن الثالث على الأقل... ولكن الخالفين أهملوه فأضاعوه.

---

(١) انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للأستاذ لبيب السعيد. الباب الثاني كله ثم بصفة خاصة أنواع القراءة المكروهة ٣٤٤ - ٣٤٨ . والإتقان للسيوطي النوع ٣٤ .

(٢) تنظر ترجمته في «غاية النهاية» لابن الجزري (٢٢٣/٢).

(٣) ينظر بغية الوعاة للسيوطي ٥٠/١ .

* ومما يدخل في تنغيم الكلام مراعاة مواطن الوقف في الإلقاء والتزامها، إذ إنه يوجه المعنى ويغيره. ولذا قال القراء إنه يتحتم على القارئ ألا يكون وقوفه على كلمةٍ ما مما يُحيل المعنى أو يُخِلّ بالفهم. وقرروا أنه لا يتأتى لأحد معرفةُ معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل، واشترطوا ألا يجيز المقرئ أحدًا بالقراءة إلا بعد معرفته الوقف والابتداء[1].

ففي قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] قد تفصل في القراءة إلى جمل (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى/ أَدْعُو إِلَى الله / عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي / وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ) (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى/ أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ / أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي / وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ) وواضح أن تقرير كون الدعوة بمنهجها أو أهدافها على بصيرة هو معنى مغاير لكون الداعى - بإطلاق في كل حال - على بصيرة هو ومن اتبعه. فالبصيرة في الأول خاصة بالدعوة وفي الثاني تعم الدين بعقائده وشرائعه مع الدعوة. وإن كانا يتحققان له صلى الله عليه وسلم ولمن اتبعه دينا ودعوة[3]. وسنعاود الكلام عن الوقف وأحكامه وهيئاته في القرآن الكريم في قسم التجويد.

ويدخل في هذا الباب كذلك تنغيم القراءة للانتهاء، والأذان، والتكبير في إمامة الصلاة، والتنغيم في كل أداء للكلام.



---

(١) الإتقان النوع ٢٨ .

(٢) سورة يوسف ١٠٨ .

(٣) انظر الطبري ٢٩١/١٦ ، والقرطبي ٢٧٤/٩ .

تطبيقات صوتية في مجالات الدراسة اللغوية

أولاً : في متن اللغة :

١- دَور حروف **الذلاقة** في بناء الكلام: عرفنا خفَّة حروف الذلاقة وثِقَل سواها من الحروف بصفة عامة. ولما كان بناء الجذور اللغوية العربية يقوم في الجمهور الأعظم منها على ثلاثة أحرف للجذر، كان البناء الثلاثي أخفَّ الأبنية. وكان من الطبيعي أن يثقل على أصحاب اللغة ما زاد بناؤه على ثلاثة أحرف، وأن يزداد الثقل كلما ازداد عدد الأصوات التي يُبْنَى منها التركيب. ومن هنا نجدُهم لا يتقبلون تلك الأبنية الرباعية فما فوقها إلا إذا كان بعضُ حروفها الأصلية من حروف الذلاقة لتُخَفِّفَها وتُسِيغ استعمالها. «نحو جَعْفر، وَقَعْضَب[1] وسَلْهَب[2] وَفَرَزْدق[3] وهَمَرْجل[4] وقِرْطَعب[5].. فمتى وَجَدتَ كلمةً رباعية أو خماسية مُعَرَّاة من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه... وربما جاء بعض ذوات الأربعة مُعَرًّى من بعض هذه الستة، وهو قليل جدًا منه العَسْجد[6] والعَسْطوس[7] والدَّهْدَقة[8] والزَّهْزَقة[9] - على أن العين والقاف (في هذه الكلمات) قد حسنتا الحال لنصاعة العين ولَذاذة مُسْتَمَعها وقوة القاف وصحة جَرْسها»[10]. وهكذا مَثَّل أمامنا معيارٌ لغرابة البناء عن لغة العرب

---

(١) الضخم الشديد الجرئ .

(٢) الطويل من الخيل والناس..

(٣) قطع العجين.

(٤) الخفيف السريع.

(٥) قطعة. خرقة.

(٦) الذهب أو الجوهر النفيس عامة.

(٧) الخيزران.

(٨) التكسير.

(٩) شدة الضحك.

(١٠) سر الصناعة ٧٤/١ .

وهو خُلُوّه - إذا كان رباعيًا فما فوق - من حروف الذلاقة[1] نحو طعقش وخظعق وكُشتَج وكشعثج[2].

٢- تجنب تركيب أبنية من حروف متجانسة أو متقاربة المخارج. لأن تقاربها يثقل نطقها معا، فاللسان ينطق الحرف من مخرج ثم يفارقه لينطق الحرف التالي من الكلمة، فإذا كان التالي مجانسا للأول وجب أن يرجع إلى ما فارقه أو إلي مجاوره. وفي هذا ثِقَل لأنه كمشْي المقيد.

أ- لا تجتمع في كلمة عربية قاف وجيم، ولا كاف وقاف، ولا كاف وجيم، ولم يبنوا في الكلام سص ولا صس، ولا ظث ولا ثظ، ولا ضش أو شض[3]. ولا العين مع غير الهمزة من حروف الحلق، ولا الحاء مع الهاء أو الغين[4].

ب- ليس في كلام العرب كلمة صدرها (نر) ولا يبنون بناء تسبق فيه النون الراء. ولا اللام الراء. ولا الدال التاء أو الطاء[5]. وتقارب أحرف كل مجموعة منها واضح.

٣- ظواهر الإبدال وتعدد اللهجات..

وقد أسلفنا منها في الدراسة المفصلة أمثلة كافية. ومعالجة الظاهرتين معالجة تفصيلية لها مواضع أخرى.

ولذا سنكتفي هنا بإحدى صور الإبدال في الأبنية المعتلة الآخر.

بعض هذه الأبنية عينُها ولامُها مثلان. وهم يستثقلون النطق بالمثلين المتواليين - إذا لم يدغم أولهما في ثانيهما - لأنه كمشْي المقيد. ثم إن مثل هذه الأبنية قد تُصَرَّفُ إلى صِيَغ تضعّف فيها عينُها، فيصير في آخرها ثلاثة أحرف متماثلة فيزداد الثقل. ولذا كثيرًا ما يبدلون آخر تلك الحروف المتماثلة إلى حرف مد تخفيفًا. ومن هنا فإن رَبِّي أصلها

---

(١) العين ٥٩/١ .

(٢) طعقش وخظعق مخترعتان، والكُشتَج كالحُزْمة من الليف معربة، والكشعثج مولدة.

(٣) الخصائص ٥٤/١ ومجلة المجمع ١٤٢/٨ وانظر الصاحبي ٨٧ .

(١) ينظر «تحقيقات في التلقي والأداء» ١٢١ - ١٣٩.

(٤) العين (درويش) ٦٨/١ - ٦٩ والصاحبي ٨٧ .

(٥) ينظر العين ٥٩/١، والخصائص ١٦٩/٢، والقاموس وتاج العروس (لهبر). وقد يستثنى (لاشر).

رَبَّبَ، ودَسَّى ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَساها﴾[1] أي أغرقها في الشهوات والضلال - أصلها دَسَّس، وَدَلَّى ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾[2] أي دَلَّهما - أصلهما دَلَّل، وصَدَّى ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾[3] أي تصفيقًا - أصلها صَدَّد. وتَسَنَّى ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير - أصلها تَسَنَّن[4]، وتَسَرَّى (اتخذ سُرِّيَّةً أي أَمَةً للفِراش) أصلها تَسَرَّر، وَتَلَعَّى (أصاب لُعاعة أي يسيرا من الشراب أو الطعام) أصلها تَلَعَّع، وتَلظَّى ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾[5] أي تضطرم وتلتهب - أصلها تَتَلَظَّظ، ولَبَّى أصلها لَبَّبَ، وتمطى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[6] أصلها يَتَمَطَّط...

وقالوا إن أَمْلَى الكتابَ ﴿فهي تُمْلَى عليه﴾[7] أصلها تُمْلَل من أمَلّ ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[8] .

☆☆☆

---

(1) سورة الشمس ١٠ .

(2) سورة الأعراف ٢٢ .

(3) سورة الأنفال ٣٥ .

(4) على أحد القولين - والعبارة من سورة البقرة ٢٥٩ .

(5) سورة الليل ١٤ .

(6) سورة القيامة ٣٣ .

(7) سورة الفرقان ٥ .

(8) سورة البقرة ٢٨٢ وينظر لسان العرب وتاج العروس (ملل).

ثانيا : في الصرف

يدور كثير من التطبيقات الصوتية الصرفية على تأثر الحروف بعضها ببعض عند تجاورها في كلماتها. وسنقتصر هنا على التمثيل لتلك التطبيقات بنمط واحد من أنماط التأثر هو ما يتعلق بالحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان عندما تقع...

أ - عينا لصيغة افتعل.

ب- أو فاء لصيغتَيْ تفعل وتفاعل.

ج - أو فاء في اسم وقبلها ال.

أ- فإذا وقع أيٌّ من الحروف العشرة ت د ط / ز س ص / ث ذ ظ / ض عينا لكلمة على صيغة افتعل فإنه يجوز إدغام تاء افتعل في ذلك الحرف لاتحاد مخرج التاء مع مخارج المجموعة الأولى ومجاورته لمخارج الأخرى. ويترتب على هذا تحريك فاء افتعل حتى لا يلتقي ساكنان، وبتحريك الفاء تسقط ألف الوصل، لأنها جيء بها للنطق بالساكن. وبذلك تصبح اقْتَتَلَ قَتَّلَ واقْتدرَ قَدَّر واقتَطَع قَطَّع... وكذا يقال في انتزع، وانتسق، وانتصب، وانتثر، وابتذل، وانتظر، وافتضح.

ويظهر الفرق بين صورة الفعل بعد إجراء الإدغام المذكور وما يترتب عليه وصيغة فَعَّلَ المضعّفة في مثل كَسَّرَ وقَدَّمَ في أن الصيغة المضعفة ماضيها مفتوح الفاء لا غير ومضارعها مضمومُ حرفِ المضارعة ومكسور عين المضارع لا غير فيهما، في حين أنه يجوز في ماضي الصيغة المدغمة كسر الفاء، كما أن مضارعها مفتوح حرف المضارعة ويجوز كسره لا غير، وعين مضارعها تفتح أو تكسر كذلك[1].

ب- إذا وقع أي من الحروف العشرة المذكورة أو الشين أو الجيم - فاءً لصيغة تفعل أو تفاعل فإنه يجوز إدغام تاء تفعل أو تفاعل في ذلك الحرف لنفس العلة المذكورة فتبدأ الكلمة بحرف مدغم ساكن، فتُجْتَلَبُ ألفُ وصل للنطق بالساكن. فيقال في تترس: اتَّرَّسَ وفي تدلى إدَّلّى وفي تدابروا إدَّابَروا وهكذا.

---

(١) ينظر تفصيل لذلك في شرح الرضي شافية ابن الحاجب ٢٨٣/٣ - ٢٨٦ .

(اللام الشمسية والقمرية):

جـ- إذا وقع أي من الحروف العشرة (المذكورة في أ) أو الشين (أو اللام) أو النون أو الراء أولاً لاسم نكرة ثم أدخلت عليه (ال) فإنه يجب إدغام لام (ال) فيه مثل الدّلو... إلخ - وهذا هو ما يسمى اللام الشمسية. قال سيبويه معللا هذا الإدغام «لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحد عشر حرفا منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان (يقصد الضاد والشين) فلما اجتمع فيها هذا وكثرتُها في الكلام لم يجز فيها إلا الإدغام»[1] هذا، ولم يذكر سيبويه حرف اللام ضمن الحروف التي تكون في أول النكرة وتدخل عليها لام التعريف فتدغم فيها[2]. وكذلك لم يذكرها أبو عمرو الداني في كتابه «التحديد» في حين ذكرها ابن الحاجب في الشافية.

والمستيْقَن أن لام (ال) تدغم في لام الاسم المبدوء باللام مثل (لبن) للتماثل مع سكون الأولى وعدم مانع الإدغام فهي بهذا تعد ضمن حروف اللام الشمسية[3].

وواضح في ذلك كله أن سبب الإدغام هو قرب الحرف المدغم من الحرف المدغم فيه.

فهذه تطبيقات مهمة لدراسة الأصوات، وهناك تطبيقات أخرى كثيرة في الصرف والنحو والبلاغة والأدب تدرس في مجالاتها.

---

(١) ينظر الكتاب (طبعة الأميرية) ٤١٦/٢ ويلحظ أن عبارة «لكثرة لام المعرفة في الكلام» سقطت من طبعة (هارون ٤٥٧/٤).

(٢) عين سيبويه الحروف المذكورة منها أحد عشر حرفًا (حروف طرف اللسان) ن ر، د ن ص ط، ز س ظ ث ذ، ثم حرفان خالطا طرف اللسان ض ش.

(٣) ينظر «التحديد.. في صنعة التجويد» لأبي عمرو الداني تحقيق د. أحمد عبد التواب الفيومي ص٣٤٥ وشرح الرضى الشافية ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ وقد التبس الأمر على بعض الدارسين فعدوا اللام قمرية بسبب ظهور لامين في نطق مثل (اللغة) (اللبن)، ولكن تطبيق قاعدة الإدغام وهي أن الإدغام يجعل الحرفين واحدًا مشددًا كالثاني أي مثلين أولهما ساكن) يدخلها مع الشمسية.

قسم التجويد

معنى تجويد الشئ: إجادةُ عمله أي إتقانه وإحكامه. والمقصود هنا تجويد قراءة القرآن الكريم. وواضح أن تجويد القراءة هو من مستوى الدراسة الصوتية النظمية، وإن كانت الدراسة الإفرادية هي أساسه الأعظم.

وتجويد القراءة يكون :

أ- بإعطاء الحروف حقوقها بإيفاء كل حرف مخرجه وصفاته، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف[1].

ب- فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته مُوفيا حقه فليُعْمِل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد، إذ تتأثر الحروف بمجاورة بعضها بعضا - وهي تختلف في مخارجها وصفاتها (قوة وضعفا، وشدة ورخاوة، وجهرًا وهمسا، وتفخيما وترقيقا، واستعلاء واستفالاً إلخ) - فيجذب القويّ الضعيف ويغلب المفخم المرقق... فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب.

جـ: ثم عليه.. بعد الأمرين السابقين - أن يراعي في القراءة ترتيل الكلمات أي نطقها بحيث يتميز بعضها من بعض في السمع.

فمن أحكم صحة التلفظ حالة أداء الحروف في كلماتها و الكلمات في جملها فقد حصّل حقيقة التجويد[2] إذا راعي الوقوف المناسبة وسائر آداب الأداء.

وتجويد القراءة واجب تقتضيه ضرورة «البيان» في الأداء من ناحية، وتوفير حق السامع في إلقاء الكلام (أو القراءة) إليه على الوجه الصحيح المعبرّ المفهم من ناحية أخرى، وارتباط المعاني بألفاظها بحيث يؤدّي اختلالُ اللفظ إلى اختلال المعنى - كما

---

(١) ينظر عن تعريف التجويد الإتقان ١/١٠٠، النشر لابن الجزري ١/٢١٠ - ٢١٢ ، ولطائف الإشارات ١/٢٠٧، نهاية القول المفيد.

(٢) انظر الإتقان ١/١٠٠، النشر لابن الجزري ١/٢١٤-٢١٥، نهاية القول المفيد ص١١ - ١٣ (باب التجويد).

أشرنا من قبل. ويضاف إلى ذلك كله أن القرآن الكريم ليس ككلام البشر، وإنما هو كلام الله تعالى أنزله للهُدَى والتشريع، وكلُّ عبارة منه تحمل قبسًا من نور بسطه الله للإنسان. وإذا كان الأداء السيئ لخطبة أو حديث، والحكاية الرديئة لكلام صَديق أو رئيس أو ذى مكانة = يثير إنكارًا على الخطيب والمتحدث، كما تجرحُ رداءة المحاكاة الصديق، وتثير سخط ذى المكانة والذين يوالونه أيضا... إذا كان هذا حالنَا مع كلامنا نحن، فإن توقير كلام الله سبحانه، وإيفاءه حق الاحترام في أدائه يصبح فرضًا متعينا. ومن هنا جاء الأمر في القرآن بتجويد القراءة ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[1] - روي عن عليّ كرم الله وجهه «الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف». وقد نص كثير من الأئمة على فرضية التجويد في قراءة القرآن[2]. وقد وصفت السيدة أم سلمة رضى الله عنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بأنها كانت قراءة «مفسّرة حرفا حرفا»[3] ومما جاء في وصف قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يمد مدا: إذا قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد بسم الله (أي يمد لفظ الجلالة) ويمد بالرحمن «ويمد بالرحيم»[4]... كان يقطع قراءته فيقول «الحمد لله رب العالمين». ثم يقف «الرحمن الرحيم» ثم يقف...[5] وكذلك وُصِفَت قراءته لسورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ فكان يرجّع آ.. آ..آ (أي كان يمد ألف الإطلاق التي في آخر كل آية: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[6].

ومراتب التجويد ثلاثة ترتيل وتدوير وحدْر. وفصّل بعضهم الأولى إلى تحقيق وترتيل، وجعل التحقيق تمهيدًا للترتيل.

فالتحقيق إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد، وتحقيقَ الهمز، وإتمام الحركات

---

(١) المزمل ٤ . (٢) نهاية القول المفيد ١٠ .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد والحرف يصدق في اللغة على الكلمة، وهو المراد هنا.

(٤) تفسير القرطبي ١/١٠ والمقصود هنا المد الطبيعى.. مقابل القصر كقول العامة «باسم اللّه» وقول الآخر: قد جاء نصر جاء من عند اللّه. (دون ألف بعد لام الجلالة). (٥) الموضع ذاته.

(٦) انظر التغني بالقرآن لبيب السعيد ص١٨ وتفسير الترجيع بهذه الصورة هو ما فهمته أنا. وهو الحق إن شاء اللّه تعالى. والآيات من أول سورة الفتح. وفي كتاب «دفاع عن القرآن» د. محمد حسن جبل ص٧٢ زيادة تفصيل.

واعتماد الإظهار، والتشديدات، وبيان الحروف بعضها من بعض - حسب الضوابط اللغوية - مع الترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائزات من الوقوف، بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه دون مقتَضٍ، علميّ مناسب لهذا المستوى.

والتحقيق يكون لرياضة الألسن (أي تدريبها وتمرينها) على تقويم الألفاظ. ويستحب الأخذ به على المتعلمين.

والترتيل: القراءة بتؤدة واطمئنان، مع إخراج كل حرف من مخرجه ومع تدبر المعانى. أي أنه قراءة سَلِسة مفصَّلة غير متراكبة الألفاظ ولا متلاحمتها. وبذا يتسنى معه التدبر. ولا يتأتى الترتيل إلا لمن عرف التحقيق وتمرّس به حتى سَلِسَ له الأداء المرتل.

والحذْر - وهو المرتبة الثالثة - هو إدراج القراءة أي الإسراع فيها وتخفيفها بالقصر (في الحالات التي يخيرّ فيها بين المد والقصر) والتسكين والاختلاس (أي اختلاس الحركة - وذلك في الحالات التي يجوز فيها ذلك أيضا كما في القواعد) والإدغام الكبير، والصغير، وتخفيف الهمز (حسب قواعد كل ذلك) ونحو ذلك مما صحت به الرواية، مع إقامة الإعراب وتقويم اللفظ، وتمكين الحروف بدون بتر وبدون تفريط.

والتدوير هو المرتبة الثانية وهو التوسط بين التحقيق أو الترتيل والحذْر.

ويقوم التجويد هنا على دراسة مخارج الحروف وصفاتها، وأبواب المد والقصر، والقلقلة، والتفخيم والترقيق، والإدغام وأحكام الهمز تحقيقا وتخفيفا، والوقف: هيئاته ومواطنه، وسنعرض لها على هذا الترتيب - بشىء من الإيجاز.

أما مخارج الحروف وصفاتها فقد سبق عرضها. والكلام فيها بالنسبة لقراءة القرآن الكريم هو عينه بالنسبة للأداء الفصيح للكلام العربي - كما يؤخذ من قوله تعالى ﴿ نَزَل به الرُّوحُ الأمينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لتكونَ من المُنذِرينَ بلسانٍ عَرَبيٍّ مُبين﴾[1]. قال أبو عمرو الداني «إن قطب التجويد.. (هو) معرفة مخارج الحروف وأجناسها التي بها ينفصل بعضها من بعض وإن اشتركت في المخرج. وأنا اذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة، إذ هو الصحيح المعول عليه إن شاء الله تعالي[2]» اهـ.

---

(١) الشعراء ١٩٣ - ١٩٥ .

(٢) ينظر كتاب «التحديد..» لأبي عمرو الداني، تحقيق د. أحمد عبد التواب الفيومي ٢١٩ .

المد والقصر

المد في اللغة الزيادة، وهو في اصطلاح القُرّاء إطالة الصوت بحرف من حروف المد المعروفة. وأما القصر فهو في اللغة الحبس أي منع الاسترسال والامتداد. وهو في اصطلاح القراء: إثبات حرف المد من غير زيادة عليه.

وقد أسلفنا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يمد في قراءته، وجاء في الأثر - أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم قراءته - كان يقرئ رجلا «فقرأ الرجل ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ مرسلة (أي مقصورة بلا مد أي «للفقرا» بلا همز)، فقال ابن مسعود ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الرجل كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال أقرأنيها ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ فمَدّ»[1].

وحروف المد ثلاثة هي الألف والواو والياء إذا كانت الحركة السابقة لكل منها مجانسة له: فتحة قبل الألف وضمة قبل الواو وكسرة قبل الياء[2]. أما إذا لم تسبقهن حركات مجانسة لهن - وهذا يتأتي في الواو والياء فحسب - فلسن حينئذ حروف مد بل حروفُ لِين وذلك مثل صَوْت وبَيْت.

والمد قسمان أصلي، وفرعي.

فالأصلي هو المد الطبيعي الذي لا تقوم ذاتُ حرف المد إلا به، ولا يتوقف على سبب، بل يكفي فيه وجود أحد حروف المد الثلاثة المذكورة دون أن يليها ساكن ولا همزة. وسُمّي طبيعيا لأن صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن مده ولا يزيد عليه. وحَدُّه مقدار ألف وصلا ووقفا. ومقدار الألف حركتان. ومقدار الحركة ثنى الإصبع أو فتحها بلا إسراع ولا إبطاء وقد أسلفنا أن زمن امتداد الحركة بالثانية هو ١٦, ٠ من الثانية.

---

(١) الإتقان النوع الثاني والثلاثون - أوّله. وما بين القوسين مسئوليتي. والآية من سورة التوبة ٦٠ .

(٢) هذا جرى على ما شاع فقط. والحقيقة أنه ليس هنا حركة قصيرة قبل حرف المد. ففي كلمة «عاد» مثلاً الذي بعد العين مباشرة هو ألف المد وليس قبلها فتحة. وكذلك الأمر في «يعود» و «سعيد» وكل مواطن حروف المد.

وأما المد الفرعي فهو المد الزائد على المد الأصلي في حروف المد المذكورة ومقداره ثلاث حركات أو أربع أو خمس أو ست على ما يأتي:

وله أسباب معنوية ولفظية. فالسبب المعنوي هو قصد المبالغة. ويكون في النفي إما للتعظيم أو للتبرئة - وذلك في لا النافية - في كلمة التوحيد ونحوها مثل «لا إله إلا الله. لا إله إلا هو. لاإله إلا أنت» وأما زيادة المد قصدا للتبرئة أي لتوكيد النفي فمثل ﴿لا شية فيها﴾[1] - ﴿لا قِبَلَ لهم بها﴾[2] ﴿لا إكراه في الدين﴾[3].

أقول: وهذا مذهب معروف عند العرب. لأنهم يمدون ما لا أصل له في المد عند الدعاء أو الاستغاثة مثلا أو عند المبالغة في غيرهما. فإذا أرادوا أن يعبروا عن الطول الشديد مثلا قالوا طويـ يـ يـ ل ويكادون يمدون الطاء أيضا، ويقولون عا ا ا لِ مبالغة في الوصف بالعلو. وليس المدّ الفرعيّ مقصورا على المبالغة. فالمد في مثل (احمارّ) وهو فرعي. يعبر عن أن الحمرة في ما أسند إليه الفعل هي «عَرَض لا يثبت» إما لوقوعها بالتدريج أو لكونها تتحول. ويقولون احمرّ الشيء إذا ثبت لونه فلم يتغير من حال إلى حال»[4]. وهكذا يثبت أن لبعض المدّ الفرعيّ (كما للمد الأصليّ) قيمة في المعنى.

فهذا عن القيمة المعنوية للمد الفرعي. ولعل من المسلّم به أن للمد الطبيعي (وللحركات) قيمة جوهرية في تشكيل المعنى. فإن هناك فرقا واضحا بين كلٍّ من (كتبَ) و(كُتِب)، و(كاتَبَ)، و(كُوتب) إلخ. وما جاء هذا الفرق إلا من تغيّر حرف المد أو زيادة طوله.

ولم يجوّز علماء اللغة قصر الممدود مدا طبيعيا إلا للضرورة. أما علماء الشرع فعدُّوا ذلك في القرآن ونحوه حراما وأثمّوا الشاعر القائل:

ألا لا بـاركَ الـلـهُ فـي سُـهَـيـل   إذا مـا الـلـهُ بـارك فـي الـرجـال

[الوافر]

وأثموا الأخر القائل:

أقـبـلَ سـيـلٌ جـاء مـن عِـنـدِ الـلَّـهْ   يَـحْـرِد حَـرْدَ الجَنَّـةِ المُغِـلَّـه

[الرجز]

---

(١) البقرة ٧١ . (٢) النمل ٣٧ . (٣) البقرة ٢٥٦ . (٤) اللسان (حمر).

لقَصْر لفظ الجلالة في الشطر الأول من البيتين[1].

الأسباب اللفظية للمد الفرعي:

هي أن يلى حرفَ المد همزٌ أو سكون، أو يسبقه همز على التفصيل الآتى/

المد الفرعى بسبب وجود همز بعد حرف المد قسمان:

١- واجب وذلك إذا وقع بعد حرف المد همزة **متصلة أي في نفْس الكلمة** مثل «شاء» «تبوء» - «تفيء». ويمد وجوبا ٤ أو ٥ حركات عند حفص، و٣ أو ٦ حركات عند غيره[2].

٢- جائز منفصل إذا كان حرف المد في آخر كلمة والهمزة في أول كلمة بعدها نحو ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[3]، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾[4] ﴿إِنِّي أخاف﴾[5] ويجوز مده أكثر من حركتين إلى ست.

والمد الفرعى بسبب وجود سكون بعد حرف المد قسمان:

١- مد جائز لسكون عارض وذلك إذا عَرَض السكون للحرف الذي بعد حرف المد كما عند الوقف على ﴿الرحمٰنْ﴾ ﴿ينفقونْ﴾[6] ﴿الرحيمْ﴾وحكمه جواز مده أكثر من حركتين فيصل إلى أربع حركات أو ست. والمد بمقدار ٦ حركات أفضل وأولى... ولا ينقص عن حركتين، لأن مده بمقدار حركتين واجب وإنما الجائز هو مازاد على ذلك.

٢- مد لازم بسبب سكون لازم وذلك إذا جاء السكون في نفس الكلمة وهو أقسام (عند علماء التجويد).

أ- **كَلِمي مثقل:** إذا كان حرف المد في كلمته وبعده في نفس الكلمة (الحرف المشدد حرفان أولهما ساكن) مثل ﴿الضالّين﴾ ﴿الصاخّة﴾[7] ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[8]. (بهمزة استفهام وبعدها مد ثم اللام الأولي من لفظ الجلالة، وهي ساكنة). وحكمه وجوب المد بمقدار ٦ حركات لادون ذلك على المشهور.

---

(١) ينظر الكتاب ٣٠/١، وضرائر الشعر لابن عصفور ١٣١ - ١٣٢، والعربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب يوهان فك ترجمة د. عبد الحليم النجار ص٦٨ .

(٢) ينظر نهاية القول المفيد. الباب ٥ فصل ٢ (ص٥٥) في طبعة التوفيقية). (٣) الكوثر ١ .

(٤) النور ٣١ . (٥) المائدة ٢٨ . (٦) البقرة ٣ . (٧) عبس ٣٣ . (٨) يونس ٥٩ .

ب – **كلمي مخفف**: وذلك إذا كان الساكن الذي بعد حرف المد في الكلمة حرفا غير مشدد مثلا ﴿آلْآن﴾[1] ﴿مَحيَايْ﴾[2] و﴿اللائي﴾[3] «يٰسن» (عند من قرأ بلا إدغام) – وحكمه وجوب مده ٦ حركات.

جـ – **حرفي مثقل**: وذلك إذا وقع حرف المد في اسم حرف من حروف أوائل السور إذا كان آخر الصوت الممدود مدغما في ما بعده مثل ﴿الم﴾ (أَلِفْ لَام مّيم) ﴿طسمّ﴾[4] (طاسين مّيم) ومده ٦ حركات وجوبا.

د – **حرفي مخفف**: وذلك إذا وقع حرف المد في اسم حرف من حروف أوائل السور أو غيرها وبعده ساكن ليس مدغما مثل ﴿ص﴾، ﴿ن﴾.. (صادْ – نونْ).

أما إذا كان حرف المد في كلمة والحرف الساكن في كلمة أخرى فإنه يحذف مده الفرعي والأصلي لالتقاء الساكنين ﴿وقالُوا اتَّخَذَ﴾[5]. و﴿المُقِيمِي الصَّلاة﴾[6]. ﴿إذا الشَّمْسُ كُوِّرت﴾[7].

★★★

---

(١) يونس ٥١ .
(٢) الأنعام ١٦٢ .
(٣) الطلاق ٤ .
(٤) الشعراء ١ .
(٥) البقرة ١١٦ .
(٦) الحج ٣٥ .
(٧) التكوير ١ .

القلقلة

وهى التحرك والاضطراب. والمقصود إقلاق أي حرف من حروف (ق، ط، ب، ج، د) حين يقع في الكلام ساكنا – أي إقلاقه عند النطق به بحيث لا يطول قراره في موضعه. وإنما تقلقل تلك الحروف كذلك لبيان صوتها ولتخفيف النطق بها. فإنها إذا نُطِقت ساكنة بدون قلقلة كان وقعها ثقيلا على أعضاء النطق، وخفيت حقيقة صوتها أيضا فلم تكد تُسْمَع.

ولا فرق في هذه الحروف بين أن تكون متطرفة ووُقِفَ عليها كقاف ﴿خَلَاقْ﴾[1] وطاء ﴿مُحِيطْ﴾[2]، وباء ﴿قَرِيبْ﴾[3]، وجيم ﴿بَهِيجْ﴾[4]، ودال ﴿مَجِيدْ﴾[5] – أو تكون متوسطة ساكنة كقاف ﴿خَلَقْنا﴾[6] وطاء ﴿قِطْمِير﴾[7]، وباء ﴿رَبْوة﴾[8]، وجيم ﴿اجْتَباه﴾[9]، ودال ﴿يدْخلون﴾[10].

وهذه الأحرف الخمسة تتميز هي والهمزة بأنها مجهورة وشديدة وهذا يثقلها عند السكون فقلقلوها لتخف، ولم يدخلوا الهمزة ضمن حروف القلقلة – مع شدتها وجهرها – لأن عندهم عدةَ سُبُل لتخفيفها: تسهيلا، وبين وبين، وحذفا – فلم يحتاجوا إلى طريقة أخرى لتخفيفها.

ثم إنهم تعودوا إخراجها بلطف ورفق وعدم تكلف في ضغط مخرَجها لئلا يشبه صوتها التهوُّع والسَّعْلة.

☆ ☆ ☆

---

(١) البقرة ١٠٢ ، ٢٠٠ .
(٢) آل عمران ١٢٠ .
(٣) البقرة ١٨٦ .
(٤) الحج ٥ .
(٥) هود ٧٣ .
(٦) الأعراف ١٨١ .
(٧) فاطر ١٣ .
(٨) البقرة ٢٦٥ .
(٩) النحل ١٢١ .
(١٠) النساء ١٢٤، وانظر: نهاية القول المفيد ٥٦ مع تصرف وإضافة.

الإدغام والإظهار

الإدغام معناه إدخال حرف في حرف مجاور له في النطق وإدماجهما معها بحيث يُنطقان حرفا واحدًا مشددا. مثل ﴿اذهب بّكتابى﴾[1].

وفائدة الإدغام تخفيف اللفظ.

وموطئات الإدغام (أي الأمور التي تجعله ممكنا) ثلاثة هي **تماثل** الحرفين بأن يكون الأول مثل الثاني (باءين أو جيمين إلخ) - **أو تجانسهما** بأن يكونا مختلفين لكن مخرجهما واحد مثل ﴿قد تّبين﴾[2] **أو تقاربهما** (بأن يكونا مختلفين لكن مخرجيهما متجاوران مثل ﴿لقد جّاءكم﴾[3].

أنواع الإدغام وأحكامه مجملة:

١ - إذا كان الحرف الأول ساكنا والثاني متحركا فهو يسمى إدغاما صغيرا، وهو واجب في حالتَي التماثل والتجانس. وللقرّاء بعض الشروط فيه.

٢ - إذا كان الأول متحركًا والثاني كذلك متحركا فإذا أريد الإدغام يُسكن الأول ويدغم في الثاني ويسمى هذا إدغاما كبيرًا. وهو جائز لا واجب. أما إذا كان الأول متحركا والثاني ساكنا فإن الإدغام حيئنذ ممتنع لا يجوز - كما سيأتى الآن.

وهناك أمور **تمنع الإدغام** أحدها أن يكون بين الحرفين فاصل: **حرف** مثل ﴿أنا نَذِير﴾[4]، أو يكون الحرف الأول منونًا. مثل ﴿غفورٌ رحيم﴾[5]، أو **مشددًا** مثل ﴿تمّ ميقاتُ ربه﴾[6]، أو يكون **تاء ضمير** مثل ﴿كنتُ تُرابا﴾[7] أو يكون باقيا بعد جزم مثل ﴿وَلْتأتِ طائفة﴾[8]، أو يكون الحرف الثاني ساكنا نحو ﴿فإن زَلَلْتم﴾[9].

وللإدغام تفاصيل كثيرة[10] - أهم مايلزمنا منها في التجويد هو أحكام النون الساكنة والتنوين مع جروف الأبجدية.

---

(١) النمل ٢٨ . (٢) البقرة ٢٥٦ . (٣) التوبة ١٢٨ . (٤) العنكبوت ٥٠ .
(٥) البقرة ١٧٣ . (٦) الأعراف ١٤٢ . (٧) النبأ ٤٠ . (٨) النساء ١٠٢ .
(٩) البقرة ٢٠٩ . وانظر: نهاية القول المفيد (التوفيقية ١٢١ - ١٢٤).
(١٠) ينظر - مثلاً - السابق ١٢١ - ١٣٦ وخصائص العربية للمؤلف ٩٢ - ٩٨ .

أحوال النون الساكنة والتنوين مع الحروف الأبجدية:

للنون الساكنة والتنوين (وهو صوتيا نون ساكنة أيضا) - في التقائهما بالحروف الأبجدية أهميةٌ خاصة، لكثرة تردد النون وكثرة أحوالها في ذلك الالتقاء، ثم لما قد يصحبهما من غنة في أدائهما - والغنة صوت خيشومي يكسو الكلام نغمة محببة - فينبغي ضبط مواضعه.

ويمكن أن نضبط أحوال النون الساكنة والتنوين مع الحروف في ما يأتي:

أ - النون الساكنة والتنوين مع الحروف العميقة الستة (حروف الحلق).

ب - ... مع حروف (يرملون).

ج - ... مع سائر الحروف ما عدا الباء.

د - ... مع الباء.

أ - فإذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من **حروف الحلق** (ء هـ ع ح غ خ) وجب إظهار النون والتنوين بلا غنة، سواء وقع الحرف الحلقي بعد النون في كلمة واحدة نحو ﴿هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾[1] ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2] ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[3] ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[4] ﴿والمُنْخَنِقة﴾[5].. أو كانت النون أو التنوين في آخر كلمة، ووقع الحرف الحلقي في أول الكلمة التالية نحو ﴿مَنْ آمن﴾[6] ﴿كلٌّ آمن﴾[7] ﴿ومن يُضْلل اللهُ فَمَالَه مَنْ هادٍ﴾[8] ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾[9] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[10] ﴿عزيزٌ عَليه مَا عَنِتُّمْ﴾[11] ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[12] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخوانًا﴾[13] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[14] ﴿ومن خِزْيِ يَوْمِئذٍ﴾[15] ﴿وجوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعة﴾[16].

ب - وإذا تلا النونَ الساكنةَ أو التنوين أيٌّ من حروف **(يرملون)** وجب إدغام النون أو التنوين في ذلك الحرف (ماعدا حالة واحدة ستأتي). وإنما يختلف حال النون والتنوين مع

---

(١) الأنعام ٢٦ . (٢) الفاتحة ٧ . (٣) الصافات ٩٥ . (٤) الإسراء ٥١ . (٥) المائدة ٣ .
(٦) البقرة ٦٢ . (٧) البقرة ٢٨٥ . (٨) الرعد ٣٣ . (٩) التوبة ١٠٩ . (١٠) فصلت ٤٦ .
(١١) التوبة ١٢٨ . (١٢) فصلت ٤٢ . (١٣) الحجر ٤٧ . (١٤) البقرة ٥٩ . (١٥) هود ٦٦ .
(١٦) الغاشية ٢ .

كل من تلك الحروف في إصحاب الإدغام غنة أو عدم إصحابه إياها. فإذا تلتهما نون أو ميم فإنهما يغنان مع الإدغام وجوبًا (ولأن الغنة فيها رنين النون والتنوين فإن الإدغام هنا يعد إدغامًا غير كامل لبقاء أثرهما) فمثالهما في كلمتين ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾[1] ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[2] ﴿مِن نَّذِيرٍ﴾[3]. ومثال إدغام النون في النون من كلمة واحدة ﴿فأسكنّاه في الأرض﴾[4]. وإذا تلتهما واو أو ياء فقد جعل بعض القراء مع الإدغام غُنّة (**فيكون الإدغام ناقصًا**). وبعضهم أدغم إدغامًا كاملاً بلا غن. فمثالها من كلمتين ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾[5] ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[6] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[7].

أما إذا كانا في كلمة واحدة فإنه يجب الإظهار أي لا إدغام ولا غَن بالطبع نحو «الدنْيا، قِنْوان»[8]. وهذه هي الحالة التي أشرنا إليها من قبل، وذلك لئلا يلتبس بالمضعّف. وأما إذا تلتهما اللام أو الراء فإنهما تدغمان فيهما بلا غنة على رأي الجمهور، وبعض القراء جعل هنا غنة أيضًا. فهذه الحالة كالحالة السابقة إلا أن الغن مع الياء والواو كثير، وعدم الغن مع اللام والراء هو الأغلب. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[9] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[10] ﴿اتّبِعُوا ما أُنْزِلَ إليكم من ربّكم﴾[11].

جـ - النون الساكنة والتنوين مع بقية الحروف الهجائية - ما عدا الباء:

إذا تلا النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الهجاء غير ما سبق - أي غير الحروف الحلقية، وحروف (يرملون)، والباء - وهو ستة عشر حرفا تخرج منها ألف المد لأنها لا تأتي قبلها نون ساكنة ولا تنوين - فيبقى خمسة عشر حرفا هي ت ث ج د ذ ز س ش ص ض ط ظ ف ق ك - فإن كلا من النون والتنوين يجب أن يُخْفَي قليلا في نطقه أي يُنْطَق على صفة بين الإظهار والإدغام. وهذا مع بقاء الغنة في النون والتنوين - سواء سبقهن النون في نفس الكلمة أو كانت النون والتنوين في آخر كلمة وأيٌّ من تلك الحروف في أول الكلمة التالية.

---

(1) محمد ١٥ . (2) القمر ٦ . (3) القصص ٤٦ . (4) المؤمنون ١٨ .
(5) الرعد ١١ . (6) الحاقة ١٦ . (7) الزلزلة ٧.
(8) (الدنيا) من مواضعها: البقرة ٨٥ ، و (قنوان): الأنعام ٩٩ .
(9) الكهف ٦٥ . (10) العاديات ١١ . (11) الأعراف ٣ .

وطريقة الإخفاء أن تجعل اللسان (في نطق النون الساكنة والتنوين) لا يصل إلى سقف الحنك بل يقترب منه فحسب. ووصف طريقة الإخفاء بانتقال اللسان إلى مخرج الحرف التالي للنون أو التنوين وصف غلط لا أصل له[1]. وهذه أمثلة الإخفاء (بلا سكون على النون):

عند التاء ﴿يَنتَهوا﴾[2]، ﴿من تَحتها﴾[3] ﴿جناتٍ تجرى﴾[4]، وعند الثاء ﴿منثورا﴾[5]، ﴿منْ ثَمره﴾[6] ﴿جميعًا ثُم﴾[7] وعند الجيم ﴿أنجيّناكم﴾[8] ﴿إن جَاءكم﴾[9] ﴿شيئًا جَنات﴾[10]، وعند الدال ﴿أندادا﴾[11] ﴿مِنْ دَابة﴾[12] ﴿قنوانٌ دانية﴾[13] وعند الذال ﴿مُنذر﴾[14] ﴿مِن ذُريّة﴾[15] ﴿سراعًا ذلك﴾[16] وعند الزاى ﴿فأنزلنا﴾[17] ﴿فإن زَللتم﴾[18] ﴿يومئذٍ زُرْقا﴾[19] وعند السين ﴿مِنسأته﴾[20] ﴿أَنْ سَيكونُ﴾[21] ﴿عظيمٌ سَمّاعون﴾[22] وعند الشين ﴿يَنْشُرْ لكم﴾[23] ﴿لمن شَاء﴾[24] ﴿عليمٌ شَرع لكم﴾[25] وعند الصاد ﴿ينصُرُكم﴾[26] ﴿أَن صَدُّوكم﴾[27] ﴿ريحًا صَرْصرا﴾[28] وعند الضاد ﴿مَنضُود﴾[29] ﴿إن ضَلَلْت﴾[30] ﴿قومًا ضَالين﴾[31] وعند الطاء ﴿ينطقون﴾[32] ﴿من طين﴾[33] ﴿صعيدًا طيبا﴾[34] وعند الظاء ﴿انظروا﴾[35] ﴿من ظهير﴾[36] ﴿ظلًّا ظليلا﴾[37] وعند الفاء ﴿انفِروا﴾[38] ﴿وإن فاتكم﴾[39] ﴿خالدًا فيها﴾[40] وعند القاف ﴿ينقَلِبون﴾[41] ﴿ولئن

---

(١) وصفنا أخذناه من الخبرة – وفي هذه الحالة فإن جل هواء النفس يخرج من الأنف وبعضه من الفم. أما في حالة إظهار النون فإن اللسان يلتقي بسقف الحنك أعلى لثة الثنايا العليا. ويخرج نَفَس النون كله من الأنف. وعن الخلاف ينظر «تحقيقات في التلقي والأداء» للمؤلف.

(٢) المائدة ٧٣ . (٣، ٤) البقرة ٢٥ . (٥) الفرقان ٢٣ . (٦) الأنعام ١٦١ .
(٧) البقرة ٢٩ . (٨) الأعراف ١٤١ . (٩) الحجرات ٦ . (١٠) مريم ٦٠ ، ٦١ .
(١١) البقرة ٢٢ . (١٢) الأنعام ٣٨ . (١٣) الأنعام ٩٩ . (١٤) الرعد ٧ .
(١٥) الأنعام ١٣٣ . (١٦) ق ٤٤ . (١٧) البقرة ٥٩ . (١٨) البقرة ٢٠٩ .
(١٩) طه ١٠٢ . (٢٠) سبأ ١٤ . (٢١) المزمل ٢٠ . (٢٢) المائدة ٤١ ، ٤٢ .
(٢٣) الكهف ١٦ . (٢٤) المدثر ٣٧ . (٢٥) الشورى ١٢ ، ١٣ . (٢٦) آل عمران ١٦٠ .
(٢٧) المائدة ٢ . (٢٨) فصلت ١٦ . (٢٩) هود ٨٢ . (٣٠) سبأ ٥٠ .
(٣١) المؤمنون ١٠٦ . (٣٢) الأنبياء ٦٣ . (٣٣) الأعراف ١٢ . (٣٤) النساء ٤٣.
(٣٥) آل عمران ١٣٧ . (٣٦) سبأ ٢٢ . (٣٧) النساء ٥٧ . (٣٨) النساء ٧١ .
(٣٩) الممتحنة ١١ . (٤٠) النساء ١٤ . (٤١) الشعراء ٢٢٧ .

قلت﴾[1] ﴿سميعٌ قريب﴾[2] وعند الكاف ﴿ينكثُون﴾[3] ﴿مِن كُلٍ﴾[4] ﴿عادا كفروا﴾[5].

د - أما النون الساكنة والتنوين قبل الباء فإنهما يُقْلَبَان في الصوت ميما مثل ﴿يا آدم أنبئهم﴾[6] ﴿لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ﴾[7] ﴿هنيئا بما أسْلفتم﴾[8] ويسمى هذا إقلابا.

الميم الساكنة مع الحروف الأبجدية

للميم الساكنة مع ما يليها من الحروف الأبجدية أحوال:

أ - الإدغام بغنة وذلك إذا تلتها ميم أخري نحو ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لكم مّا في الأرض﴾[9] وكل ميم مشددة ﴿دمّر الله عليهم﴾[10] وكذلك الميم التي جاءت من إدغام النون في الميم مثل ﴿مِن مّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾[11] (تُقْرأ مِمّاء) وعلة هذا الإدغام الاشتراك في الأنفية.

ب - الإخفاء مع غنة جوازا. وذلك إذا تلتها باء نحو ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[12]، ومثل ذلك ما إذا كانت الميم الثانية متولدة من إقلاب نون نحو ﴿لله الأمرُ مِن قَبْلُ ومن بعد﴾[13] تقرأ (ممبعد) فهذا إخفاء مترتب على إقلاب. ومعنى إخفاء الميم تبعيضها (أي عدم كزّ الشفتين في التقائهما) فيخفي جزء من ذاتها - أما إخفاء النون فإن ذاتها كلها تخفي ويبقى تنوينها كما سبق. وعلة الإخفاء هنا أن الميم والباء تجاورتا في المخرج أوبعضه - إذ تشترك الشفتان في إخراج كل منهما، وذلك بالتقاء الشفتين في نقطة قريبة إلى ظاهرهما في نطق الميم والتقائهما في نقطة قريبة إلى باطنهما في نطق الباء، ثم إنهما تشابهتا في الانفتاح والاستفال والجهر، فثقل إظهار كل منهما خالصة من صوت الأخرى. ولأن الإدغام الكامل يقضي على أهم سمات الميم - وهي الغنة، فنطقت بالإخفاء لأنه بينهما. هذا وقد ذهب كثير من القراء إلى إظهار الميم الساكنة قبل الباء، فلا تخفى.

جـ - الميم مع سائر الحروف وحكمها الإظهار وجوبا نحو ﴿الحمد لله﴾[14] ﴿أنعمْتَ عليهم﴾[15].

---

(1) هود ٧ . (2) سبأ ٥٠. (3) الأعراف ١٣٥ . (4) البقرة ١٦٤ .
(5) هود ٦٠ . (6) البقرة ٣٣ . (7) الروم ٤ . (8) الحاقة ٢٤ .
(9) البقرة ٢٩ (10) محمد ١٠ (11) محمد ١٥ . (12) آل عمران ١٠١ .
(13) الروم ٤ . (14) الفاتحة ٢ . (15) الفاتحة ٧ .

التفخيم والترقيق

التفخيم نطق الحرف سمينا أو غليظا يمتليء الفم بصداه، والترقيق نطق الحرف نحيلا لا يمتليء الفم بصداه.

والحروف المفخمة مجموعتان:

أ - حروف الاستعلاء. وهي تفخم دائما. وأقواها في هذا حروفُ الإطباق، وسائر حروف الاستعلاء أقل منها درجة. ثم إنهم جعلوها - مع هذا الترتيب درجات فالتفخيم التام إذا كان بعدها ألف، وأقل منه إذا كان بعدها فتحة أي كان الحرف مفتوحا، ثم أقل إذا كان مضموما ثم أقل إذا كان ساكنا ثم أقل إذا كان مكسورا. هذا ترتيب ابن الجزرى[1] وقد اقتصر ابن الطحان وهو إمام توفي (٥٦٠هـ) على درجة الفتح ثم الضم ثم الكسر. وهي كفاية. وأري أن ما زاد على ذلك تقعر[2].

ب - الراء. ويمكن القول - بتسامح - إن تفخيمها في الدَّرْج والوَقْف مرتبط بكونها مفتوحة أو مضمومة، أو ساكنة مسبوقة بفتح أو ضم. فتفخم في نحو ﴿رَزَقْناكم﴾[3]. ﴿فلا تَنهَرْ﴾[4]. ﴿مَن شَكَـرْ﴾[5]. ﴿ولا يَرْضَى لعباده الكُفْر﴾[6]، أمـا ترقيقهـا فيكـون في الدَّرْج عند كسرها أو سكونها المسبوق بكسر نحو ﴿رِزْقا﴾[7].

---

(١) جاء ذلك في التمهيد (تحقيق د. علي البواب) ١١٩ - ١٢٠، وقد ألحق صاحب هداية القارى ١/١٠٧ - الساكن بمرتبة الحركة السابقة له.

(٢) نقل صاحب الهداية عن صاحب الجواهر الغوالى أن المستعلي المكسور مرقق، لكنه رده تبعًا للشيخ المتولى (هداية القارى ١/١٠٨ - ١١١) وأرى أن التمسك بوصف المستعلى المكسور بأنه مفخم مُخَمَّس تفخيم لا مرقق أشبه بالخلاف اللفظي، وإن تحقق واقعًا فهو تقعر مردود. وقد نبه صاحب الرعاية على تفخيم الحروف المستعلية إذا جاء بعدها ألف ولم يزد زيادة تحوّل عن ذلك (تنظر الرعاية ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٠).

(٣) البقرة ٥٧ . (٤) الضحى ١٠ . (٥) القمر ٣٥ . (٦) الزمر ٧ .

(٧) البقرة ٢٢ .

﴿فِرْعونَ﴾[1]. ويكون - في الوقف - عندما تسبق بكسر نحو ﴿قد قُدِر﴾[2] أو بسكون قبله كسر ﴿وما علّمْناه الشِّعْر﴾[3].

جـ - اللام في لفظ الجلالة «اللّه» «اللهم»: تفخم إذا سبقت بفتح أو ضم ويسمى تفخيمها تغليظا. وترقق إذا سبقت بكسر. - أما في غير لفظ الجلالة فإن وَرْشًا يفخم اللام إذا كانت مفتوحة وقبلها (ص ، ط، ظ) مفتوحة أو ساكنة.

د - الألف تفُخّم إذا وقعت بعد حرف مفخم نحو طالب، راكع. وترقّق في غير ذلك نحو بائع.

---

(١) البقرة ٤٩ . (٢) القمر ١٢ . (٣) يس ٦٩ .

عرْض لما تنبغي مراعاته في القراءة
من تجويد الحروف حرفا حرفا

ونقدم - قبل العرض توضحين:

الأول: أن ما نقدمه هنا إنما هو على حسب الأداء المروي عن الإمام حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدى (٩٠ - ١٨٠هـ) - أحد رواه الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي النابعي (ت ١٢٧هـ/ ٧٤٥م) وهو أحد أئمة القراءات السبع المشهورة. وذلك لأن أداء الإمام حفص هو الشائع في مصر وفي المملكة العربية السعودية وفي أقطار أخري، وعلي حسب أدائه وُضِعَت علامات الأداء في أوسع المصاحف المطبوعة انتشارًا.

الثاني: أننا هنا نتناول تجويد أداء الحروف الأبجدية كلها أثناء القراءة. وتيسيرًا لضبط هذا فإننا نذكر أن هناك أمورا مشتركة يُعَرض لها عند الكلام على تجويد أي حرف نجملها في ما يلي:

١- من تجويد الحرف: تصحيحُ أدائه حسب مخرجه وصفاته، وبخاصة إذا وقع بعده مثله أو مجانسه أو مقاربه حتي لا يُخفَي أو يدغم علي خلاف القاعدة أو القراءة.

٢- إذا وقع الحرف ساكنا فعلينا مع صحة أدائه أن نراعي:

أ - حكم إدغامه أو عدم إدغامه إذا وقع بعده مماثل أو مجانس أو مقارب

ب - قلقلته إذا كان من حروف القلقلة ولم يدغم في غيره.

٣- مراعاة تفخيم الحروف وترقيقها حسب قواعد ذلك.



من تجويد الحروف واحدًا واحدًا[1]

فتجويد نطق الهمزة المحققة أن ننطقها متميزةالحدود أي ليست متميعة ولا متأثرة بالحركات قبلها أو بعدها في مثل ﴿سُئِلت﴾[2] ﴿متّكئون﴾[3] ﴿بدأكم﴾[4] وترقق في كل حال، وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مفخم أو مغلظ نحو ﴿فأَصلح﴾[5] ﴿أَصْطَفَي﴾[6] وتعامل همزة الوصل - إذا بدئ بها الكلام أي النطق معاملة همزة القطع من حيث التحقيق والترقيق مثل ﴿إستغفِرْ لهم﴾[7] ﴿الله﴾[8] ﴿الطلاق مرتان﴾[9] ولنتنبه إلي عدم تشديدها إذا وقعت بعد مد نحو ﴿كما أَرْسلنا﴾[10] ظنا أن ذلك تحقيق.

ب - وينبغي أن تظهرها إذا وقعت متطرفة ووقفنا عليها بالسكون مثل﴿السماءْ﴾[11] ﴿شيءْ﴾[12] ﴿الخبءْ﴾[13] ﴿دفءْ﴾[14]. فإذا كانت منصوبة وبعدها تنوين في الوصل أبدل التنوين في الوقف وتظهر إظهارًا جيدًا نحو ﴿إلّا دعاءً ونداءً﴾.

وتجويد ألف المد:

(أ) أنها تنطق مرققة الصوت إذا وقعت بعد حرف مستفل نحو ﴿العالمين﴾[15] ﴿الرحمٰن﴾[16] ﴿إياك﴾[17] ﴿حمٓ﴾[18] وأنها تنطق مفخمة إذا وقعت بعد حرف مستعلٍ[19] نحو ﴿صادقين﴾[20] ﴿ولا الضالين﴾[21] ﴿ظالمون﴾[22]

---

(١) راجعت في كتابة هذا الفصل: الرعاية لمكي بن أبي طالب ١٤٥ - ٢٤٣، والنشر لابن الجزرى ١/ ٢١٠ - ٢٢٤ والتمهيد له أيضًا ١٠٧ - ١٥١ ونهاية القول المفيد لمحمد مكي نصر (ب٢ ف٥). وهداية القارى لعبد الفتاح المرصفي.

(٢) التكوير ٢ . (٣) يس ٥٦ . (٤) الأعراف ٢٩ . (٥) البقرة ١٨٢ .

(٦) الصافات ١٥٣ . (٧) التوبة ٨٠ . (٨) البقرة ٧ . (٩) البقرة ٢٢٩ .

(١٠) البقرة ١٥١ . (١١) البقرة ١٩ . (١٢) البقرة ٢٠ وغيرها. (١٣) النمل ٢٥ .

(١٤) النحل ٥ . (١٥، ١٦، ١٧) الفاتحة. (١٨) غافر١ فصلت ١ الشورى ١ .

(١٩) ينظر النشر ١/٢١٠ . (٢٠) البقرة ٢٣ وغيرها. (٢١) البقرة ٥١ وغيرها.

(٢٢) البقرة ٤٥ .

﴿الخاشعين﴾[1] ﴿قائما﴾[2] أي أنها تابعة للحرف الذي قبلها في الترقيق والتفخيم[3].

ب - وتفخم ألف لفظ الجلالة التي بعد اللام الثانية تبعا التغليظ اللام إذا كانت الحركة السابقة للفظ الجلالة فتحة أو ضمة، وترقق إذا كانت كسرة.

أما الإمالة فلا تمال الألف في قراءة حفص إلا في موضع واحد هو الألف التي بعد الراء في كلمة ﴿مجراها﴾ من قوله تعالي ﴿بسم الله مَجْريها ومرساها﴾[4].

وتجويد نطق الباء:

(أ) أن نحرص على الإتيان بها موفاة المخرج والصفات.

(ب) وإذا وقعت ساكنة وليس بعدها مثلها أو مجانس لها فينبغي أن تقلقل سواء كان السكون لازما أو عارضا نحو ﴿رَبْوة﴾[5] ﴿فانصَبْ﴾[6] ﴿الأبواب﴾[7] (عند الوقف).

أما إذا وقعت ساكنة في آخر كلمة ما، وجاءت بعدها باء في أول الكلمة التالية لها مثل ﴿اضرب بعصاك﴾[8] فيجب إدغام الأولى في الثانية. وإذا جاء بعدها ميم نحو قوله تعالي ﴿يا بني اركب معنا﴾[9] فإنه يجوز الإدغام على رواية حفص. وإذا جاء بعد الساكنة فاء مثل ﴿فيقتل أو يغلب فسوف﴾[10] فإن حفصا يظهرها، وبعض القراء الآخرين يدغمونها. وإذا وقعت متحركة ووقعت بعدها باء فلا تدغم في قراءة حفص مثل ﴿ولو شاءَ اللَّهُ لذهبَ بِسَمْعِهِم﴾[11] ولنحرص على قراءتهما متميزتين حينئذ.

(د) وينبه إلى ترقيقها دائما ويتأكد التَّنَبُّه إلي ذلك إذا جاء بعدها حرف مفخم نحو ﴿بطل﴾[12] ﴿بغَي﴾[13] ﴿بصلها﴾ ﴿برق﴾[14] ﴿وباطل﴾[15].

وتجويد التاء:

(أ) أن ننطقها موفاة المخرج والصفات غير ملتبسة بحرف آخر، وبخاصة إذا كانت

---

(١) آل عمران ١٨ . (٢) ينظر النشر ٢١٠/١ . (٣) هود ٤١ . (٤) المؤمنون ٥٠ .
(٥) الشرح ٧ . (٦) يوسف ٢٣ . (٧) البقرة ٦٠ . (٨) هود ٤٢ .
(٩) النساء ٧٤ . (١٠) البقرة ٢٠ . (١١) الأعراف ١١٨ . (١٢) ص ٢٢ .
(١٣) البقرة ٦١ . (١٤) البقرة ١٩ . (١٥) الأعراف ١٣٩ .

مكررة نحو ﴿تَتَوفاهم﴾[١]، ﴿تتلو﴾[٢] ﴿كِدْتَ تَرْكَن﴾[٣] ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ الناسَ﴾[٤].

(ب) وإذا وقعت التاء ساكنة فيجب أن نحرص على شدتها فلا نخرج في آخرها نَفَسًا يشبه السين، فإن هذا خطأ فاحش. وقد حذّر من ارتكاب هذا الخطأ الإمام شريح والإمام ابن الجزري وغيرهما، فلا تفعل كالذين يُتْبِعون نطق التاء الساكنة بما يشبه السين. فالنفخ الذى ذكره سيبويه عند الوقف على الحرف المهموس هو مجرد فك النفَس المحبوس إذا كان الجرف شديدا. فهو ليس سينا. ثم إنه خاص بالوقف[٥]، وهم يلحقون تلك السين بالتاء الساكنة في الوصل والوقف، ويسمون ذلك همس التاء. وهذا خطأ مركب، لأن الهمس هو عدم إصحاب الحرف زميرا عند نطقه كما علِمت، وليس إخراجَ نفَس مع الحرف.

(ج) وإذا وقعت التاء ساكنة وبعدها تاء أو دال أو طاء فإنه يجب إدغام التاء في ما بعدها مع بقاء إطباق الطاء نحو﴿فلما أَثْقَلَت دَّعَوَا﴾[٦] ﴿فآمَنَت طَّائفةٌ﴾[٧].

أما إذا كانت الطاء هي السابقة وكانت ساكنة/ فإن إدغام الطاء في التاء يكون غير مستكمل لتميّز الطاء بالاستعلاء والإطباق وما يتبعهما من التفخيم، فالإدغام الكامل يضيع خصائص الطاء وهذا غير مرجح، والمرجّح هو إبقاء الطاء بلا قلقلة وإذا وصل الناطق إلى التاء نطقها رقيقة واضحة. مثل ﴿أَحَطْتُ﴾[٨] ﴿فرطتُ﴾[٩] ﴿بسطتَ﴾[١٠].

(ط) والتاء مرققة دائما فينبغي أن نحرص على ترقيقها وبخاصة إذا جاء قبلها حرف مفخم مثل ﴿حَرَصْتَ﴾[١١] ﴿حَصِرَتْ صُدُورهم﴾[١٢] وكذا إذا جاء بعدها مثل ﴿أَفَتَطْمَعون﴾[١٣] ﴿تَطْهيرا﴾[١٤] ﴿تَصْلية﴾[١٥] ﴿تَصُدّون﴾[١٦] ﴿ولا

---

(١) النحل ٢٨ . (٢) البقرة ١٠٢ . (٣) الإسراء ٧٤ . (٤) يونس ٩٩ .
(٥) ينظر «التمهيد» لابن الجزري (تح البواب) ١١٣ - ١١٤ ، والكتاب ١٧٥/٤ .
(٦) الأعراف ١٨٩ . (٧) الصف ١٤ . (٨) النمل ٢٢ . (٩) الزمر ٥٦ .
(١٠) المائدة ٢٨ . (١١) يوسف ١٠٣ . (١٢) النساء ٩٠ . (١٣) البقرة ٧٥ .
(١٤) الأحزاب ٣٣ . (١٥) الواقعة ٩٤ . (١٦) الأعراف ٨٦ .

تُظْلَمون﴾(١). ويتأكد ذلك إذا جاء المفخم بعدها ساكنا نحو ﴿أوعظْتَ﴾(٢).

وتجويد الثاء:

(أ) أن تحرص عند نطقها على أن تخرج طرف لسانك بين أطراف الثنايا العليا والسفلى حتي لا تنطق سينا. كما ينبغي أن يحقق نطقها وبخاصة إذا كررت نحو ﴿ثالثُ ثَلاثة﴾(٣).

(ب) وإذا سكنت فإنها تدغم في مثلها وفي مجانسها حسب القاعدة. وجاء في القرآن الكريم ﴿أو تتركه يلهث ذلك﴾(٤) فتدغم.

(ج) وهي مرققة لا تفخم، فيجب المحافظة على ذلك وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مستعل نحو ﴿أثْخَنتمُوهُم﴾(٥) ﴿تثقفَنَّهم﴾(٦) ﴿أيها الثَّقَلان﴾(٧) أو حرف مفخم نحو ﴿أعثرنا﴾(٨) أو جاء بعدها مد نحو ﴿ثالث﴾(٩) ﴿ثامنهم﴾(١٠).

وتجويد الجيم:

(أ) أن تنطها شديدة بحبس النفس في مخرجها عند نطقها، ومعطشة يكون في جرسها شيء من جرس الشين. واحذر أن تنطقها رخوة غزيزة التعطيش كما ينطق إخواننا الشوام، فإن الجيم في نطقهم تشبه الشين المشربة زايا (يرمز إليها بال جـ= جيه = J).

لأن هذا النطق الشامي يفقدها صفة الشدّة، ويفقدها الحاجة إلي القلقلة، وبذا تفقد صفتين. كذلك لا تنطقها مبدوءة بدال. كما ظن بعض اللغويين المحدثين ناظرا إلي وصف الأوربين لنطق ال (G) إذا وليتها حركة أمامية ضيقة (مثل Ge) فإن هذا الوصف لا أصل له في العربية، كذلك لا تنطقها كالذي يسمي الجيم القاهرية (=G في Gather) فإن هذا النطق ليس هو الحجازي الفصيح - رغم أنّ له أصلا عند عرب اليمن. فإننا ملتزمون في قراءة القرآن الكريم بالنطق الحجازي القرشي الذي كان في عصر البعثة المحمدية، ونزل به القرآن الكريم، ووصفه علماء اللغة أخذا عن قراءة الصحابة رضوان الله عليهم فعن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. وما خرج عن ذلك فله حجة

(١) البقرة ٢٧٩ النساء ٧٧. (٢) الشعراء ١٣٦ . (٣) المائدة ٧٣ . (٤) الأعراف ١٧٦ . (٥) محمد ٤ .
(٦) الأنفال ٥٧ . (٧) الرحمن ٣١ . (٨) الكهف ٢١ . (٩) المائدة ٧٣ . (٨) الكهف ٢٢ .

خاصة في الرواية الثابتة المستفيضة، أو في لهجة عربية ثابتة العروبة.

(ب) وينبغي أن نتحفظ في نطقها إذا تكررت نحو ﴿حاجَجْتم﴾[1].

(حـ) ونوفيها حقها إذا جاء بعدها حرف قريب منها مثل ﴿أخرجَ شَطأه﴾[2] ﴿لُجِّيّ﴾[3].

(د) وأن تقلقل إذا وقعت ساكنة نحو ﴿فأَجْمِعوا كيْدَكم﴾[4] ويتأكد البيان والقلقلة إذا سكنت ووقع بعدها حرف قريب منها حتي لا تقلب شينا في نحو ﴿فاجْتنبوا﴾[5] ﴿خرجْتَ﴾[6] أو يخفي صوتها في مثل ﴿رِجْسا﴾[7] ﴿والرُّجْز﴾[8] ﴿تُجْزى﴾[9] ﴿تُجْزون﴾[10].

(هـ) ولاحظّ للجيم في التفخيم فليحذر من تفخيمها.

تجويد الحاء:

(أ) أن تنطق صحيحة ببُحّتها، ومرققة.

(ب) وينبغي التنبه إلي تصحيح نطقها إذا تكررت[11] مثل ﴿لا أبرحُ حَتّي﴾[12] ﴿عقدةَ النكاحِ حَتّي﴾[13]. وكذا التنبّه إلى تصحيح نطقها إذا وقعت محركة وبعدها عين مثل ﴿فمَنْ زُحْزِحَ عن النار﴾[14] ﴿لا جُناحَ عَليكم﴾[15] لأن العين مجانسة لها وهي أقوي منها بالجهر فيخُشي أن تقلب عينا وتدغم.

وتتأكد ضرورة هذا التحفظ في نطقها إذا وقعت ساكنة وبعدها عين مثل ﴿فاصفح عنهم﴾[16] حتي لا تدغم دون وجه قِرائي، وكذا إذا كان بعدها هاء نحو ﴿فسبحه﴾[17] لئلا تقلب الحاء أو يقلبا معا هاء أو حاء.

(ج) ولنحافظ على ترقيقها وبخاصة إذا وقع بعد ألف نحو ﴿حم﴾[18]

---

(١) آل عمران ٦٦ . (٢) الفتح ٢٩ . (٣) النور ٤٠ . (٤) طه ٦٤ .

(٥) الحج ٣٠ . (٦) البقرة ١٤٩ . (٧) التوبة ١٢٥ . (٨) المدثر ٥ .

(٩) غافر ١٧ . (١٠) الأنعام ٩٣ وغيرها.

(١١) يراجع التمهيد لابن الجزرى (تحقيق د. البواب) ١١٩ - ١٢١ والنشر (الضباع) ١/٢١٥-٢١٦ و٢١٨ وهداية القارى ١/١٠٣ - ١١١ . (١٢) الكهف ٦٠ .

(١٣) البقرة ٢٣٥ . (١٤) آل عمران ١٨٥ . (١٥) البقرة ٢٣٦ . (١٦) الزخرف ٨٩ .

(١٧) ق ٤٠ ، الطور ٤٩ . (١٨) غافر ١ .

﴿الحاكمين﴾[1]، ﴿حاسبين﴾[2] وكذا إذا جاورها حرف استعلاء نحو ﴿أَحَطت﴾[3] ونحو ﴿حَصْحَصَ الحقّ﴾[4].

تجويد الخاء:

(أ) أن تنطق مصححة من مخرجها في أقصى اللسان مع ما فوقه. فهذا هو الصواب لها وللغين.

(ب) كما يجب أن نتحفظ من أن تنطق غينا إذا وقعت ساكنة في مثل ﴿يَخْشَى﴾[5] ﴿فاخْتَلَط﴾[6].

(ج) وينبغي أن ننطقها مفخمة في كل حال لأنها مستعلية نحو ﴿فخَلَفَ من بعدِهم خَلْفٌ﴾[7] ﴿خالدين﴾[8] ﴿الخُلْد جزاء﴾[9] وإذا وقعت مكسورة أو ساكنة بعد كسر فلها حينئذ أقل درجة من التفخيم مثل ﴿ادْعُو رَبّكم تَضَرُّعا وخِيفة﴾[10] ﴿إخْوانكم﴾[11] وإن شئت قلت عن هذه الدرجة إنها ترقيق[12].

وتجويد الدال:

(أ) أن تنطق مصححة مرققة، ثم إذا جاء بعدها تاء فإنها تدغم فيها ولا تقلقل نحو ﴿حَصَدتّم﴾[13] ﴿وقَد تّبين﴾[14] وينبغي إظهارها إذا وقعت ساكنة وبعدها نون نحو ﴿قدْ نَرى﴾[15] مع قلقلتها. وينبغي التحرز من إخفاء صوتها وهي متحركة قبل النون في مثل ﴿اهْدِنا﴾[16] لأن وضع اللسان في نطقها قريب من وضعه في نطق النون، والنون أخف فيخشي أن يسبق اللسان إليها. كذلك ينبغي بيانها في مثل ﴿تَزْدَرى﴾[17] و﴿مُزْدَجر﴾[18] حتي لا تقلب تاء تأثرا بمجاوراتها.

(ب) وإذا وقعت ساكنة فإنه ينبغي قلقلتها ما لم تكن مدغمة.

---

(١) الأعراف ٨٧ وغيرها.(٢) الأنبياء ٤٧ . (٣) النمل ٢٢ . (٤) يوسف ٥١ .
(٥) طه ٣ وغيرها. (٦) يونس ٢٤، الكهف ٤٥ . (٧) الأعراف ١٦٩ .
(٨) البقرة ١٦٢ وغيرها. (٩) فصلت ٢٨ . (١٠) الأعراف ٥٥ . (١١) النور ٦١ .
(١٢) ينظر ص١٩٧ هنا. (١٣) يوسف ٤٧.. (١٤) البقرة ٢٥٦ . (١٥) البقرة ١٤٤ .
(١٦) الفاتحة ٦ . (١٧) هود ٣١ . (١٨) القمر ٤ .

(ج) ينبغي الحرص على ترقيقها وبخاصة إذا وقعت بعد حرف مفخم مثل ﴿صُدور﴾[1] ﴿يَصْدُر﴾[2] لئلا تفخم فتنطق كالضاد المصرية.

وتجويد الذال:

(أ) أن تنطق بمد طرف اللسان بين أطراف الثنايا مع كونها مجهورة أي ليست مهموسة كالثاء.

(ب) وتثقل إن جاء بعدها نون وهي ساكنة فينبغي الإهتمام ببيانها مثل ﴿فنبذناه﴾[3] ﴿وإِذْ أَخَذْنا﴾[4] ﴿وإِذْ نَتَقنا﴾[5] وكذا إذا تكررت نحو ﴿ذي الذكر﴾[6].

(ج) ونهتم بترقيقها وبخاصة إذا جاء بعدها مفخم مثل ﴿ذَرْهم﴾[7] و﴿ذَرْني﴾[8] و﴿ذَرّة﴾[9] و﴿للأَذقان﴾[10] و﴿ذُقْ﴾[11] لأنها إذا فخمت صارت كالظاء. فتنطق ﴿مَحْذورا﴾[12] وكأنها «محظورا» وهذا خطأ.

وتجويد الراء:

(أ) أن تحرص على أن تكررها بارتعاد طرف اللسان حتي يلمس سقف الحنك أكثر من لمسة، ولكن لا تبالغ في تكريرها.

أما عدم تكريرها بأن تلصق طرف اللسان بسقف الحنك اي لا تتركه يرتعد ويكرر اللمس فهذا النطق لا ينتج إلا لاما. وهو خطأ محض وكلام القائلين بإلصاق اللسان وعدم تكرير الراء خطأ محض مهما كانوا، فكلٌّ يؤخذ منه ويرّد عليه.

(ب) وينبغي بيان صوتها وبخاصة إذا وقعت ساكنة قبل نون نحو ﴿فقَدَرْنا﴾[13] حتي لا يسبق صوتُها إلي الخروج من الأنف فتدغم في النون كما شرحنا في نطق اللام.

(ج) ولنحرص على تفخيم الراء إذا وقعت مفتوحة أو مضمومة، أو وقعت ساكنة وقبلها فتح أو ضم مطلقا أي في وسط الكلمة أو آخرها، ولا ترقق الراء إلا إذا وقعت

---

(١) العنكبوت ٤٩ . (٢) الزلزلة ٦ . (٣) الصافات ١٤٥ . (٤) البقرة ٦٣ وغيرها.
(٥) الأعراف ١٧١ . (٦) ص ١ . (٧) الأنعام ٩١ . (٨) المدثر ١١ .
(٩) النساء ٤٠ وغيرها. (١٠) الإسراء ١٠٧-١٩٠. (١١) الدخان ٤٩ .
(١٢) الإسراء ٥٧ . (١٣) المرسلات ٢٣ .

ساكنة بعد كسرة أصلية متصلة بها وليس بعد الراء حرف استعلاء، سواء كانت الراء حينئذ متوسطة نحو ﴿فِرْعون﴾[1] ﴿مِرْية﴾[2] ﴿شِرْعة﴾[3] أو كانت متطرفة مثل ﴿استغفِرْ لهم أو لا تستغفِرْ لهم إن تسغفِرْ لهم..﴾[4] ومثل ﴿واصطَبِرْ﴾[5] ﴿ولا تصعِّرْ﴾[6].

إما إذا كانت ساكنة بعد كسرة غير أصلية ككسرة همزة ﴿ارْجِعوا﴾[7] أو كانت الكسرة منفصلة عنها نحو ﴿إنِ ارْتَبْتُم﴾[8] ﴿لمنِ ارْتَضي﴾[9] ﴿الذِي ارْتَضَي لهم﴾[10] أو كان قبلها كسرة أصلية ولكن بعد الراء حرف استعلاء فإنها تفخم والذي جاء من هذا في القرآن الكريم هو كلمات: ﴿قِرْطاس﴾[11] ﴿فِرْقة﴾[12] ﴿مِرْصَادًا﴾[13] ﴿لبِالمِرْصاد﴾[14] ﴿فِرْق﴾[15].

وتجويد الزاي:

(أ) أن تنطق مصححة موفاة الصفات.

(ب) ونتنبه إلى ضرورة تصحيح صوتها مجهورة إذا جاءت ساكنة وبعدها تاء مثل ﴿كَنَزْتُم﴾[16] وما قرب من التاء مثل ﴿تَزْدَرِى﴾[17] حتي لا تصير سينا. وكذلك ينبغي أن نخلصها من الجيم في نحو ﴿مُزْجاة﴾[18] ولنعتن ببيانها إذا كررت مثل ﴿فعزَّزْنا﴾[19].

(ح) ولاحظ للزاي في التفخيم فهي مرققة دائمًا، فلنهتم بذلك في نحو ﴿وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾[20].

وتجويد السين:

(أ) أن تنطق مصححة موفاة الصفات.

(ب) ونخلصها من التأثر بما جاورها نحو ﴿مَسْجِدًا﴾[21] و﴿يسْجُدُ﴾[22]

---

(1) البقرة ٤٩ وغيرها. (2) هود ١٠٩ وغيرها. (3) المائدة ٤٨ .
(4) التوبة ٨٠ . (5) مريم ٦٥ وغيرها. (6) لقمان ١٨ . (7) يوسف ٨١ وغيرها.
(8) المائدة ١٠٦ . (9) الأنبياء ٢٨ . (10) النور ٥٥ . (11) الأنعام ٧ .
(12) التوبة ١٢٢ . (13) النبأ ٢١ . (14) الفجر ١٤ . (15) الشعراء ٦٣ .
(16) التوبة ٣٥ . (17) هود ٣١ . (18) يوسف ٨٨ . (19) يس ١٤ .
(20) الأحزاب ٢٢. (21) التوبة ١٠٧، الكهف ٢١ . (22) الرعد ١٥ وغيرها.

و﴿مُسْتَقِيم﴾[1] وكذلك نخلصها ونوفيها إذا كررت مثل ﴿أُسِّسَ على التقوى﴾[2] و﴿مسَّ سَقر﴾[3] حتي لا تخفي.

(ج) ونحافظ على ترقيقها وبخاصة إذا جاورها حرف مفخمْ ولو بفاصل نحو ﴿بَسْطة﴾[4] ﴿مَسْطورا﴾[5] و﴿أَقْسَطُ عندَ الله﴾[6] و﴿سُلْطان﴾[7] و﴿لسَلَّطَهم﴾[8] ﴿وأَسَرّوا النجوي﴾[9] ﴿رَسُول﴾[10] ونتبع رسم السين حسب ما تلقينا.

وتجويد الشين:

(أ) أن تنطق مصححة متفشية موفّاة سائر صفاتها.

(ب) ونخلّص نطقُها وبخاصة إذا كانت ساكنة وبعدها دال مثل ﴿اشدُدْ به أَزرى﴾[11] ﴿الرُشْد﴾[12] وكذلك إذا وقع بعدها جيم مثل ﴿شَجَر بينهم﴾[13] ﴿وشَجَرةً تَخْرج﴾[14] لأن كلتيهما تشغل حيزا كبيرا من عرض اللسان فتملأ الفم.

(حـ) ولاحظ للشين في التفخيم. فلنحافظ على ترقيقها وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مستعلٍ نحو ﴿شَطْرَ المَسْجِد﴾[15].

وتجويد (الصاد):

(أ) أن تنطق مصححة مُصَفّاة موفاة الصفات.

(ب) ولنحرص على تخليصها من الشوائب وبخاصة إذا اسكنت وبعدها دال كلفظ ﴿أصْدَق﴾[16] و﴿قَصْدُ السَّبيل﴾[17] و﴿يُصْدِر﴾[18] و﴿تَصْدِية﴾[19] فينبغي التنبه حتى لا تُشْرَب زايا على غير رواية.

---

(١) البقرة ١٤٢ وغيرها. (٢) التوبة ١٠٨ . (٣) القمر ٤٨ .
(٤) البقرة ٢٤٧، الأعراف ٦٩ . (٥) الإسراء ٥٨ ، الأحزاب ٦ .
(٦) البقرة ٢٨٢، الأحزاب ٥ . (٧) الأعراف ٧١ وغيرها. (٨) النساء ٩٠ .
(٩) طه ٦٢، الأنبياء ٣ . (١٠) البقرة ٨٧ وغيرها. (١١) طه ٣١ .
(١٢) البقرة ٢٥٦ وغيرها. (١٣) النساء ٦٥ . (١٤) المؤمنون ٢٠ .
(١٥) البقرة ١٤٤ وغيرها. (١٦) النساء ٨٧ - ١٢٢ . (١٧) النحل ٩ .
(١٨) القصص ٢٣ . (١٩) الأنفال ٣٥ .

وكذلك يجب بيان الصاد إذا كررت مثل ﴿فاقْصُص القَصَصَ﴾[1] حتي لا تخفي وتخطف حركتها كما يحدث كثيرا عندما يكرر الحرف.

. (د) وهي مفخمة لأنها مستعلية، فلنحرص على تفخيمها وبخاصة إذا جاء بعدها حرف مرقق مثل التاء في ﴿حَرَصْت﴾[2] و﴿ولو حَرَصْتم﴾[3] حتي لا تقلب سينا وصاد ﴿الصِّراط﴾[4] ونحوها ننطقها مصفّاة ما لم تكن القراءة برواية خاصة.

وتجويد الضاد:

(أ) أن تنطق من مخرجها بأن يستعلى أقصى اللسان ويتقعر وسطه ويمتد طرفه ليعتمد على لثة الثنايا العليا، ويخرج النَّفَس بصوتها من الشدقين أو من شدق واحد أي أنها تنطق بوضع شبيه بوضع نطق اللام / إلا أن نفَس اللام مع صوتها يخرج من الحلق فيتجه كله مباشرة إلي ظهر اللسان فيمر فوقه إلي أن يصل إلي نقطة التقاء طرف اللسان باللثة فيجد السبيل مسدودا فيخرج من جانبي طرف اللسان ولذال فهي ذلقية. أما مع الضاد فإن نفَسها بصوتها يخرج إلي الفم فلا يجرى فوق ظهر اللسان، وإنما يدفعه استعلاء أقصى السان إلي الجانبين فيمر بحافتي اللسان حتي يخرج من الشدقين أو أحدهما. والضاد الفصحى رخوة. ونطقها شديدة يحتبس معها النفس كالنطق المصرى هو نطق غير فصيح، لأنه يضيع صفة الرخاوة.

كذلك فإن الذين ينطقونها بمد طرف اللسان خلف ملتقي الثنايا العليا والسفلي هم ينطقونها من غير مخرجها (أي يضيعون مخرجها). كما يضيعون انحرافها (أي جانبيتها) ويقللون تفخيمها وتصير كأنها زاي مفخمة أو ظاء عاميّة. (وهذا خطأ) ينظر ما كتبناه عن الضاد في هذا الكتاب. وعن الفرق بينها وبين الظاء ينظر الكلام عن الظاء. وسيأتي.

(ب) ولنجتهد في تخليص صوتها إذا تكررت نحو ﴿يَغْضُضْنَ مِن أبصارهن﴾[5] ، ﴿واغْضُضْ مِن صوتك﴾[6]، وكذا إذا جاورها ظاء أو نحوها ﴿أَنقَضَ ظهرَك﴾[7]

---

(1) الأعراف ١٧٦ . (2) يوسف ١٠٣ . (3) النساء ١٢٩ . (4) الفاتحة ٦ .
(5) النور ٣١ . (6) لقمان ١٩ . (7) الشرح ٣ .

﴿يَعضُّ الظالم﴾[1] ﴿الأَرضِ ذَهبا﴾[2] ونحو﴿فمَنِ اضْطُرّ﴾[3] تخلّص الضاد ولا تدغم.

(ج) والضاد مستعلية مفخمة، فلنحافظ على تفخيمها لأنه شطر ما يتميز به جرسها عن جرس الظاء، وبخاصة إذا وقعت ساكنة وجاء بعدها حرف مرقق نحو ﴿أعْرَضْتُم﴾[4] ﴿أفَضْتُم﴾[5]﴿واخفِضْ جَناحك﴾[6] ﴿وقَيّضْنَا﴾[7].

وتجويد الطاء:

(أ) أن تُنطق من مخرجها مستعلية مطبقة مجهورة. وجهرها مهم جدا. والذي يشيع بيننا في شمال مصر هو نطقهامهموسة، وهذا خطأ. والنطق الصحيح المجهور هو النطق المرويّ عن الأئمة. فقد وصفوا الطاء بأنها مجهورة ولم يصِفْها أحد من المتقدمين بأنها مهموسة. ثم إن سيبويه ذكر ضمن الحروف الفرعية غير المستحسنة في قراءة القرآن حرفا سماه الطاء التي كالتاء، وأرجح أنه يقصد الطاء المهموسة التي ينطقها الفُرْس. ولتقريب الأمر نقول أن النطق الفصيح للطاء هو نطق أبناء صعيد مصر الذين لم يتأثروا بنطق أهل الشمال وهو شبيه بالنطق المصرى للضاد. فتنطق (طَلَع). وكأنها (ضَلَع). هذا هو النطق الصحيح للطاء.

(ب) ونهتم بتخليص صوتها على الوصف السابق وبخاصة إذا كُرّرت نحو ﴿شَطَطًا﴾[8] ﴿ولا تُشْطِط﴾[9]. والطاء تقلقل إذا ساكنة، إلا إذا أُدْغِمت في غيرها فإنها لا تقلقل. وقد أسلفنا أنها في مثل ﴿بَسَطْتَ﴾[10] ﴿أَحطتُ﴾[11] ﴿فَرّطتُ﴾[12] تدغم في التاء إدغاما ناقصا أي يبقي إطباق الطاء. ونطقها طاء كاملة يجوز لغة لا قراءة.

(د) والطاء مستعلية مفخمة، وإذا نُطِق بها على صحتها جاء تفخيمها كاملا.

---

(١) الفرقان ٢٧ . (٢) آل عمران ٩١ . (٣) البقرة ١٧٣ وغيرها. (٤) الإسراء ٦٧ .
(٥) البقرة ١٩٨ . (٦) الحجر ٨٨، الشعراء ٢١٥ . (٧) فصلت ٢٥ .
(٨) الكهف ١٤، الجن ٤ . (٩) ص ٢٢ . (١٠) المائدة ٢٨ .
(١١) النمل ٢٢ . (١٢) الزمر ٥٦ .

وتجويد الظاء:

أن تنطق بامتداد طرف اللسان بين أطراف الثنايا مع الاستعلاء والإطباق ويلزمها التفخيم، مع كونها مجهورة، وليتنبه إلي عدم ترقيقها حتي لا تلتبس بالذال. وإذا وقعت ساكنة قبل التاء مثل (أَوَعَظْتَ) فإن أهل أداء القرآن لم يأتوا فيه إلا بإظهار الظاء أي عدم الإدغام رغم أن بعضا أجازه[1].

وبعض المتصدرين يتوهمون أن نطق الضاد نطقا فصيحا بحيث يكون في جرسها شبه من جرس الظاء يتوهمون أن ذلك إبدال، وهذا التوهم لا أساس له لأن الإبدال إنما يكون إذا نُطِق حرفٌ من مخرج حرف آخر، والأمر هنا ليس كذلك. فهنا حرفان ينطق كل منهما من مخرجه في كلماته، ولكن بين جَرْسَيْهما شبه كالشبه الذي بين جَرْس الذال والزاي وترتب عليه نطقُ بعض الناس الذال زايا دون أن يشعروا بالفرق، في حين أن الدارس ذا المَلَكة يحس بهذا الفرق. ثم إن هناك مميزَيْن مهميْن بين الضاد والظاء: أحدهما في المخرج وطريقة الإخراج. وهو أن الظاء يمتد معها طرَف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلي أي يخرج طرَف اللسان من بين الأسنان فيراه من ينظر إلى القارئ، في حين أن الضاد تنطق بامتداد طرف اللسان ليلتقي بسقف الحنك أعلي لثة الثنايا العليا فلا يمكنُ أن يُرَى. والفرق الآخر مترتب على هذا وهو أن صوت الضاد أكثرُ تفخيما من صوت الظاء، لأن تجويف الفم الذي يدور فيه النَّفَس والصوت يكون في نطق الضاء أوسع وأكثر انغلاقا منه في نطق الظاء. ذلك أن امتداد طرف اللسان إلى الخارج في نطق الظاء يُحْدِث أثرين: تقصيرَ مسافة اللسان التي في داخل الفم فيقل تقعره، ويجعلُ الفم مفتوحا ضرورة. ولذا كان العربي يميز صوت الضاد من صوت الظاء برهافة الحس السليقية بالنشأة على اللغة. وهي رهافة يمكن أن تتكوّن ملكتُها بالدراسة والممارسة.

وتجويد العين :

(أ) أن تنطق سلسة ناصعة الصوت.

(ب) وأن نحذر أن تقلب إلي حاء إذا سكنت وجاءت بعدها تاء نحو

---

(١) ينظر ما نقل في نهاية القول المفيد (التوفيقية ١٠١) عن مكى وغيره بشأن إدغامها هنا.

﴿تَعْتَدوا﴾[1] أو تقلب هاء أو حاء مشددة إذا وقعت بعدها هاء نحو ﴿ألم أَعْهد﴾[2] ﴿فاتّبِعْها﴾[3] ﴿فلا تُطِعْهُما﴾[4]. كذا علينا أن نترفق إذا تكررت لنخرج العينين صحيحتين نحو ﴿أن تَقَعَ عَلَى الأرض﴾[5] ﴿ينزعُ عَنْهما﴾[6].

(د) وهي مرققة دائما فلنحذر من تفخيمها.

وتجويد الغين:

(أ) أن تُنطَق من مخرجها مصحَّحة موفّاة حقَّها.

(ب) ونحذر أن تدغم إذا وقعت ساكنة وبعدها قاف مثل ﴿لا تُزِغْ قُلوبنا﴾[7] أو تقلب خاء إذا وقع بعدها شين نحو ﴿يَغْشَي﴾[8] أو غيرها نحو ﴿يَغْفِرُ﴾[9] ﴿فَرَغْتَ﴾[10] ﴿ضِغْثًا﴾[11] ﴿أَغْنَي﴾[12] ﴿أَغْطَش﴾[13].

(ج) والغين مستعلية تفخم دائما حسب قواعد الحروف المستعلية

وتجويد الفاء :

(أ) أن تُنطَق موفّاةَ الصفاتِ وبخاصة الهمس. وقد سمِعْتُ أحد أئمة المساجد يقرأ فاء ﴿فَالْمُورِياتِ﴾ والفاءات التي بعدها مجهورةً فتصير(V) وهذا غلط فاحش.

(ب) وإذا تكررت نحو ﴿فليسْتَعْفِفْ﴾[14] ﴿الآن خَفَّف الله عنكم﴾[15] ﴿تعرِفُ في وجوههم﴾[16] ﴿خلائفَ في الأَرْض﴾[17] فعلينا أن نتلطف في نطقها حتي لا تُخْفَي أو تدغم.

(ج) ويُحْتَرز من تفخيمها وبخاصة إذا جاء بعدها ألفٌ نحو ﴿فاكهين﴾[18] و﴿كفَي بالله﴾[19]. فإنها مرققة.

---

(١) المائدة ٢ . (٢) يس ٦٠ . (٣) الجاثية ١٨ . (٤) العنكبوت ٨ .
(٥) الحج ٦٥ . (٦) الأعراف ٢٧ . (٧) آل عمران ٨ .
(٨) آل عمران ١٥٤وغيرها. (٩) آل عمران ١٢٩ . (١٠) الشرح ٧.
(١١) ص ٤٤ . (١٢) النجم ٤٨ وغيرها. (١٣) النازعات ٢٩ .
(١٤) الأنفال ٦٦ . (١٥) المطففين ٢٤ . (١٦) يونس ١٤، فاطر ٣٩. (١٧) النساء ٦ .
(١٨) الدخان ٢٧ ، الطور ١٨ . (١٩) النساء ٦ ، ٤٥ .

وتجويد القاف:

(أ) أن تنطق قصوية مجهورة شديدة. ونطق القاف الذي يشيع الآن في قراءة أهل مصر وأقطار عربية أخري للقرآن الكريم نطقٌ غير تامّ الفصاحة، لأنها تُنطَق فيه مهموسة. ولم يصفْ أحد من الأئمة القاف بالهمس. فالفصيح نطقُها مجهورة. وإخواننا السودانيون ينطقونها رخوة كالغين فينقُصُونها صفة الشدة وهو نطق خطأ، وإخواننا في اليمن ينطقونها - كالبدو وكالعامّة في شمال مصر - فينقلون مخرجها إلي قرب وسط اللسان كالجيم القاهرية، وهو النطق الذي سماها به أبو حيان قافا معقودة ولعلها هي عينها التي سميت الكاف الصماء[1]. (تشبه نطق G في كلمة Gather) وهذا النطق أشد خطأ، لأنها تُخْرَج به من غير مخرجها الصحيح.

وأزيد هنا أن النطق التام الفصاحة هو الذي يفسر النطق المصري والسوداني واليمني لأن لها في ذلك النطق الأفصح جَرْسًا يتأتي أن تلتبس به أنواع النطق الأخرى، فيظن أهلُ كل نُطْق أنهم ينطقون الفصحي. وقد رجّحنا في معالجتنا الإفرادية للقاف أن القاف المصرية تميمية، وذلك أخذا من كلمة لابن دريد جاءت في الجمهرة ورواها ابن فارس. ولذا قلنا إنها غير تامة الفصاحة ولم نقل إنها خطأ.

(ب) ولعمقها وغلظها نجد في نطقها صعوبة ما، وتقرب في نطق أكثر النساء من الكاف، فإذا تكررت نحو ﴿فلما أفاقَ قال﴾[2] ﴿وما قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْره﴾[3].

وجب التلطف لنطقها كاملة في المرتين. وإذا وقعت ساكنة وجب قلقلتها، لأنها إذا لم تقلقل خَفِي صوتها وصارت كأنها كاف فتصير ﴿فاقْتلوا﴾ كأنها (فاكتلوا) كما ينطق أهل صعيد مصر في عامّيتهم.

وقد قدمنا أن القلقلة تبين صوت الحرف المقلقل وأنها تخففة أيضًا.

وإذا وقع قبلها أو بعدها كاف نحو ﴿خَلَقَ كُل شيء﴾[4] ﴿ويَجْعَل لكَ قُصورا﴾[5] ﴿خَلَقَكُم﴾[6] فالإدغام جائز. لكن في ﴿ألم نَخْلُقكم﴾[7] واجب لأن القاف ساكنة

---

(١) ينظر النشر ١/٢٢١ . (٢) الأعراف ١٤٣ . (٢) الأنعام ٩١ . (٣) الأنعام ١٠١ .
(٤) الفرقان ١٠ . (٥) البقرة ٢١ . (٦) المرسلات ٢٠ .

ولكن في تمام الإدغام (بحيث تصير ﴿نخلقكم﴾ كأن بعد اللام كافا مشددة)، ونقصه (بحيث يبقي استعلاؤها وتفخيمها) مذهبان. والجاري في مصر هو الإدغام الناقص.

(ج) والقاف مفخمة شأنُها شأنُ سائر حروف الاستعلاء.

وتجويد الكاف:

(أ) أن تنطق موفَّاة المخرج والصفات.

(ب) وأن يُحْرَصَ على تصفيه جرْسها وتخليصه وبخاصة إذا كُرِّرَتْ نحو ﴿بِشِرْكِكُم﴾[1] ﴿مَناسِكَكُم﴾[2] ﴿ماسَلَكَكُمْ في سَقَر﴾[3] ﴿إنكَ كُنْت﴾[4] ولا مشكلة في إدغامها في مثلها إذا كانت الأولي ساكنة مثل ﴿أيْنَما تكونُوا يُدْرككم الموتُ﴾[5].

(ج) ويجب ترقيقها دائما ولنحذر من تفخيمها لئلا تنتقل إلي مخرج القاف.

وتجويد نطق اللام:

(أ) أن تُنْطَق من مخرجها موفَّاة الصفات كما فصّلنا في الدراسة الإفرادية. وهي مرققة إلا في بعض أحوال لفظ الجلالة. وسيأتي الكلام عنه. وعلى هذا فليُتَنَبّه إلى ضرورة ترقيقها إذا جاء قبلها أو بعدها حرف مفخم مثل ﴿قالَ الله﴾[6] ﴿وعلَى الله﴾[7] ﴿ولا الضالين﴾[8] ﴿لسَلَّطهم﴾[9] ﴿وبطل﴾[10] ﴿فَصَلَت العِير﴾[11]. وإذا تكررت وجب الحرص على بيان كل منها نحو ﴿ولْيُمْلِلِ الذي﴾[12] ﴿قلْ لِلّذين﴾[13].

(ب) وإذا كانت اللام لام (ال) فإنها تُظْهَر إذا كان ما بعدها أحد حروف عبارة (ابغ حجك وخف عقيمه) وتدغم إذا كان ما بعدها أحد الحروف الباقية. وقد أسلفنا تفصيلا في لام (ال) إذا دخلت على ما أوله لام فانظره في الكلام عن اللام الشمسية واللام القمرية في قسم الصرف.

أما غير لام (ال) مثل لام قل، بل، هل، فإن هذه اللام ساكنة وتدغم وجوبا في اللام

---

(١) فاطر ١٤ . (٢) البقرة ٢٠٠ . (٣) المدثر ٤٢ . (٤) يوسف ٢٩ . (٥) النساء ٧٨ .
(٦) آل عمران ٥٥ . (٧) آل عمران ١٢٢ . (٨) الفاتحة ٧ وغيرها. (٩) النساء ٩٠ .
(١٠) الأعراف ١١٨ . (١١) يوسف ٩٤ . (١٢) البقرة ٢٨٢ . (١٣) آل عمران ١٢ .

أو الراء التي تأتي بعدها نحو ﴿وقُل لّهم﴾[١] ﴿قل لّا يَعْلَمُ﴾[٢] ﴿قل رّبي﴾[٣] ﴿بل رّبكم﴾[٤]. إلا ﴿بلْ ران﴾[٥] فإن الإمام حفصا لا يدغم هنا بل يسكت سكتة لطيفة عليها حتي لا تدغم.

لام الفعل:

يجب أن تُظهَر اللامُ إذا كانت ساكنةً في فِعْل وبعدها نونٌ متحركة سواء كان الفعل ماضيا أو أمرا نحو ﴿أنزلْنا﴾[٦] ﴿أرسلْنا﴾[٧] ﴿فضّلْنا﴾[٨] ﴿قُلْنا﴾[٩] ﴿جعلْنا﴾[١٠] ﴿وأدخلْني﴾[١١] ﴿واجعلْني﴾[١٢] ﴿قلْ نعم﴾[١٣]. والتنبيه على ذلك سببه أن وضع اللسان في نطق اللام يشبه وضعه في نطق النون (التقاء طرفه بأعلي لثة الثنايا العليا) لكن نفَس اللام يخرج بصوتها من ذَلْق اللسان أي جانبي الطرف الملتقي منه. في حين أن نفَس النون يخرج بصوتها من تجويف الأنف. وأول تجويف الأنف يقع على استقامة تجويف الحلق. فإذا كانت اللام ساكنة وبعدها نون فإن سكون اللام مع السرعة وعدم التنبّه لا يدع فرصة زمنية لنفَس اللام بصوتها أن يتجه إلي تجويف الفم، وينفتح تجويف الأنف لاستقبال نفَس النون بصوتها فيتجه إليه نَفَس اللام بصوتها مع نفَس النون وصوتها فيخرج الحرفان نونا مشددة فتنطق ﴿جَعَلْنا﴾ و﴿فضّلْنا﴾ ونحوهما وكأنها «جَعَنّا» و«فَضّنّا» وهذا غلط فاحش.

لام لفظ الجلالة:

واللام مرققة إلا في لفظ الجلالة (اللّه) فإنها تفخم إذا كان قبلها فتح أو ضم أي حسَب النطق لا حسَب الكتابة. والحكمُ نفسه يقع في نطق لفظ الجلالة الملحق به ميم (اللهم) مثل ﴿شَهِدَ اللّه﴾[١٤] ﴿قالَ اللّه﴾[١٥] ﴿عليهُ اللّه﴾[١٦] ﴿إلَى اللّه﴾[١٧] ﴿علَى اللّه﴾[١٨] ﴿لا إله إلّا اللّـه﴾[١٩] ﴿قلْ آللّه أَذِنَ لكم﴾[٢٠] ﴿سبحانـك اللهُـمّ﴾[٢١] ﴿قال عيسى بن

---

(١) النساء ٦٣ . (٢) النمل ٦٥ . (٣) القصص ٨٥ .
(٤) الأنبياء ٥٦ . (٥) المطففين ١٤ . (٦) البقرة ٥٧ وغيرها. (٧) البقرة ١٥١ وغيرها.
(٨) البقرة ٢٥٣ . (٩) البقرة ٣٤ وغيرها. (١٠) البقرة ١٢٥ . (١١) النمل ١٩ .
(١٢) الشعراء ٨٥ . (١٣) الصافات ١٨ . (١٤) آل عمران ١٨ . (١٥) آل عمران ٥٥ .
(١٦) الفتح ١٠ . (١٧) المائدة ٧٤، التوبة ٥٩ . (١٨) النساء ٨١-١٠٠.
(١٩) الصافات ٣٥، محمد ١٩ . (٢٠) يونس ٥٩ . (٢١) يونس ١٠ .

مريم اللَّهُم﴾[١] ﴿إذا جاء نصرُ الله﴾[٢] ﴿فقال لهم رسولُ الله﴾[٣] ﴿ وإذ قالُوا اللهم﴾[٤].
وترقق إذا سُبِقت بكسر ﴿لِلَّه مُلكُ السمواتِ والأرض﴾[٥] ﴿قلِ اللهُمَّ فاطرَ السموات والأرض﴾[٦].

وتجويد الميم:

(أ) أن تنطق موفاة المخرج والصفات غنّاء.

فينبغي أن تؤدي غنّاء. وتُظْهَر غُنتها إذا شددت سواء كان التشديد أصليا نحو ﴿دمّر﴾[٧] ﴿يعمّرُ﴾[٨] أو كان بسبب إدغام ميم أصلية في مثلها ﴿خلق لكم مّا في الأرض جميعًا﴾[٩] أو من إدغام نون أو تنوين في ميم نحو ﴿من مّاء مّهين﴾[١٠].

(ب) وإذا وقعت ساكنة وبعدها ميم فيجب إدغامها مثل ﴿أمَّن يبدأ الخلق﴾[١١] (أمّ من..) ﴿أمّاذا كنتم﴾[١٢] (= أم ماذا) أما إذا وقعت ساكنة وبعدها باء مثل ﴿ومن يَعْتصِمْ بالله﴾[١٣] ﴿يومَ همْ بارزون﴾[١٤] ففي أدائها مذهبان: إخفاء الميم قبلها مع بقاء غنتها كما تقلب النون الساكنة قبل الباء ميما وتُخْفَى في قراءة مثل ﴿أنبئهم﴾[١٥] ﴿مِن بَعد﴾[١٦]. والمذهب الآخر هو إظهار الميم إظهارا تامًا. وحكي بعضهم الإجماع عليه.

(جـ) والميم مرققة ويتأكد ترقيقها إذا وقع بعدها حرف مفخم نحو ﴿مَخْمَصَة﴾[١٧] ﴿مَرَض﴾[١٨] ﴿مَرْيم﴾[١٩] ﴿وما اللَّهُ بغافل﴾[٢٠] وكذا إذا جاء بعدها مدّ نحو ﴿مالك﴾[٢١] ﴿بما أُنزِلَ إليك﴾[٢٢].

وتجويد النون:

(أ) أن تخرج غناء موفّاة الصفات.

(ب) وإذا تكررت وجب بيانها حتي لا تُخْفَي نحو ﴿سَنَن﴾[٢٣] ﴿بأَعْيُنِنا﴾[٢٤]

---

(١) المائدة ١١٤ . (٢) النصر ١ . (٣) الشمس ١٣ . (٤) الأنفال ٣٢ .
(٥) المائدة ١٢٠ . (٦) الزمر ٤٦ . (٧) محمد ١٠ . (٨) البقرة ٩٦، فاطر ١١.
(٩) البقرة ٢٩ . (١٠) السجدة ٨ . (١١) النمل ٦٤ . (١٢) النمل ٨٤ .
(١٣) آل عمران ١٠١ . (١٤) غافر ١٦ . (١٥) البقرة ٣٣ . (١٦) البقرة ٢٨ وغيرها.
(١٧) المائدة ٣ والتوبة ١٢٠ . (١٨) البقرة ١٠ . (١٩) آل عمران ٣٦ .
(٢٠) البقرة ٧٤ - ٨٥ وغيرها. (٢١) الفاتحة ٤ . (٢٢) البقرة ٤ .
(٢٣) آل عمران ١٣٧ النساء ٢٦ . (٢٤) هود ٣٧ وغيرها.

﴿لَيُؤمِنَنَّ﴾[١] ﴿ويقولونَ نَخْشي﴾[٢] ﴿ونَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكم﴾[٣] وقد أسلفنا بيان أحكامها عندما يليها أي من حروف الأبجدية.

(ج) ولنحرص على ترقيقها حتي لا تفخم وبخاصة إذا جاء بعدها ألف أو مفخم نحو ﴿ولا ناصِر﴾[٤] ﴿الناصِرين﴾[٥] ﴿ناضِرة﴾[٦] ﴿ناظِرة﴾[٧].

وتجويد الهاء.

(أ) أن نحرص على نطقها بتقوية دَفْع الهواء لنطقها حتي لا تتميع وتصير كأنها همزة ملينة في نحو ﴿اهْدِنا﴾[٨] و﴿بناها﴾[٩] و﴿منتهاها﴾[١٠].

(ب) وتتأكد ضرورة بيانها إذا كررت نحو ﴿وُجُوهُهُم﴾[١١] ﴿ويُلْهِهِم﴾[١٢] ﴿فيه هدى﴾[١٣] وكذا إذا وقعت ساكنة نحو ﴿عَهْدا﴾[١٤] ﴿فمن اهْتدي﴾[١٥] ﴿كالعِهْن﴾[١٦] كما تجب العناية بإظهارها إذا سبقتها حاء ساكنة نحو ﴿فَسَبِّحْه﴾[١٧] حتي لا تقلب حاء تأثرا بالحاء السابقة وكذا إذا تلتها حاء ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه﴾[١٨]

(ج) والهاء مرققة فينبغي ملاحظة ذلك وبخاصة إذا اقترنت بمفخم نحو ﴿فاطَّهَّروا﴾[١٩] ﴿ظَهَرَ الفساد﴾[٢٠].

وتجويد الواو:

(أ) أن تنطق موفّاة المخرج والصفات مع الاعتناء بضم الشفتين.

(ب) وتُظْهَر حركتُها وبخاصة الضم نحو ﴿تفاوُت﴾[٢١] ﴿ولا تَنسَوُا الفَضْلَ﴾[٢٢] ﴿ما وُورِيَ﴾[٢٣] . ولا تدغم إذا كانت ساكنة مدية نحو ﴿قالوا وَهُم﴾[٢٤] وإنما تدغم

---

(١) النساء ١٥٩ والأنعام ١٠٩ . (٢) المائدة ٥٢ . (٣) التوبة ٥٢ .
(٤) الطارق ١٠ . (٥) آل عمران ١٥٠ . (٦) القيامة ٢٢ . (٧) القيامة ٢٣ .
(٨) الفاتحة ٦ . (٩) النازعات ٢٧ . (١٠) النازعات ٤٤ . (١١) آل عمران ١٠٦ .
(١٢) الحجر ٣ . (١٣) البقرة ٢ . (١٤) البقرة ٨٠ . (١٥) يونس ١٠٨ .
(١٦) المعارج ٩، القارعة ٥ .
(١٧) ق ٤٠، الطور ٤٩ . (١٨) الأنعام ٩١ .
(١٩) المائدة ٦ . (٢٠) الروم ٤١ . (٢١) الملك ٣ . (٢٢) البقرة ٢٣٧ .
(٢٣) الأعراف ٢٠ . (٢٤) الشعراء ٩٦ .

إذا كانت لينا فقط (أي ساكنة وقبلها فتحة) واو نحو ﴿عَفَوا وَقالوا﴾[1] و﴿اتَّقَوا وَآمنوا ثم اتَّقَوا وَأحسنوا﴾[2].

(ج) وقال الشيخ المرعشى «لعل الحق أن الواو المدية تفخم لأن ترقيقها بعد المفخم في نحو ﴿الطُّور﴾[3] ﴿الصُّور﴾[4] ﴿قُوا أنفسَكم﴾[5] لا يمكن إلا بإشرابها صوت الياء المدية»[6].

وتجويد الياء:

أن تُنْطَق موفَّاة المخرج والصفات مرققة وبخاصة إذا قارنها حرفٌ مفخم مثل ﴿يَضْربون﴾[7]، وأن يعتني ببيان حركتها وبخاصة إذا كانت مكسورة نحو ﴿ترِينّ﴾[8] و﴿مَعايِشَ﴾[9] ﴿لاشِيَةَ فيها﴾[10] وكذلك يُعْتَنَي ببيانها وبيان حركتها إذا كررت نحو ﴿وإذا حُيِّيتُم﴾[11] ﴿وإن يَرَوْا سبيل الغيِّ يَتَّخِذوه سبيلا﴾[12] ﴿أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحْيِيَ الموتي﴾[13] ﴿أنت وَلِيِّي في الدنيا والآخرة﴾[14] ﴿إن وَلِيِّيَ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين﴾[15].



---

(1) الأعراف ٩٥ . (2) المائدة ٩٣ . (3) البقرة ٦٣ وكثير. (4) الأنعام ٧٣ وكثير.
(5) التحريم ٦ .
(6) ينظر جهد المقل وبيانه للمرعشى (مكتبة قرطبة) ٨٧ ونقل في نهاية القول المفيد آخر الباب الثالث.
(7) الأنفال ٥٠ . (8) مريم ٢٦ . (9) الأعراف ١٠ الحجر ٢٠ .
(10) البقرة ٧١ . (11) النساء ٨٦ . (12) الأعراف ١٤٦ . (13) القيامة ٤٠ .
(14) يوسف ١٠١ . (15) الأعراف ١٩٦ .

الوقف

للوقف جانبان:

الأول: مواضعُه وهو من مجال دراسة المعنى. وهو بالغ الأهمية، لأنه يترتب عليه اختلاف المعنى. ففي قوله تعالى في قصة موسى - حين أمر قومه أن يدخلوا الأرض المقدسة فرفضوا - ﴿قال فإنها مُحَرَّمَةٌ عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾[1] الوقف على كلمة «عليهم» يعني أن التحريم مطلق فيحتمل أن يكون مؤبّدا، في حين أن وصل «عليهم» بما بعدها والوقف على أربعين سنة» يجعل التحريم محددا بالمدة المذكورة. وهذا الجانب من الوقف متنوع الأحكام منتشر النفع، متعدد القواعد. وأُلِّفَتْ كتب في مواضعه في القرآن الكريم، وحكمه في كل موضع، ورموز الأحكام[2]. (م/لا/صلى/قلى/∴ ∴) وهي مع أمثلة لها في خاتمة أكثر طبعات المصحف الشريف. ويلزمه البحث في أحكام الابتداء بعد الوقف. فهو علم مستقل كامل القوام.

الجانب الثاني: هيئات الوقف وهي متعددة.

ا- فيوقف بإبدال التنوين ألفا في ما آخره منصوب وليس تاء مربوطة مثل ﴿حسابا﴾[3].

ب- ما آخره حرف **مد ثابت** مثل: ﴿يَسْعَى﴾[4] ﴿أُخرَى﴾[5]﴿فلَه عَشْرُ أمثالها﴾[6] ﴿يَدْعُو﴾[7] ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾[8] ﴿يأتى﴾[9] يوقف عليه بإبقاء حرف المد كما هو - ، وإن كان محركا تحذف حركته. وأما **غير الثابت** ونقصد به المد الذي يؤتى به للأداء فقط كمد الصلة في «لَهُ» «عندَهُ» «بِهِ»، «إليهِ».. فإنه يحذف عند الوقف.

جـ - وما آخره **تاء مربوطة** يوقف عليه بإبدالها هاء مثل ﴿في كُلِّ سنبلةٍ مئةُ حبةٍ﴾[10]. أما تاء التأنيث المفتوحة مثل ﴿مُسْلمات﴾[11] و«تاء التأنيث التي تلحَقُ بالفعل مثل ﴿قالت﴾[12] فلا تبدل في الوقف وإنما تنطق ساكنة.

---

(١) المائدة ٢٦ . (٢) ينظر «الإتقان» للسيوطي النوع الثامن والعشرون. (٣) النبأ ٢٧ . (٤) القصص ٢٠ .
(٥) النساء ١٠٢ . (٦) الأنعام ١٦٠ . (٧) البقرة ٢٢١ . (٨) البقرة ٢٢١ .
(٩) البقرة ٢٥٨ . (١٠) البقرة ٢٦١ . (١١) التحريم ٥ . (١٢) البقرة ١١٣ .

د – ما آخره متحرك منون أو غير منون عدا ما سبق يوقف عليه بالسكون مثل ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ/ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ/ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ/ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ..﴾[1].

هـ – هناك وقف بالإشمام (الإشارة إلى الضم بالشفتين) ويقع بعد ما كان مضموما، **وبالروم** (نطق بعض الحركة) ويصلح في الوقف على ما كان مضموما أو مكسورا، **وبتضعيف الحرف** الموقوف عليه إذا لم يكن همزةً ولا حرفَ علة ولا مسبوقًا بسكون، **وبنقل** حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الصحيح قبله – ولكل منها أحكام مفصلة.

و – كما أن هناك أحكاما للوقف على ما آخره ياء أو واو غير منونة، وما آخره همزة.

ز – وأحكام أخرى لهاء الوقف. يمكن مراجعة تفاصيل هذه الثلاثة في الموسّع فهي فيه موثقة.

وبالله التوفيق ونسأله القبول الحسن

اللهم آمين

والحمد لله رب العالمين.

---

(1) البقرة ٢٥٥ .

جريد المراجع

- القرآن الكريم.
- الإبدال، لأبي الطيب اللغوي (عبد الواحد بن عليّ ٣٥١هـ)، تحـ عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٦٢م.
- الإتقان في علوم القرآن، للإمام السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ)، دون تحقيق، عالم الكتب ـ بيروت.

  وتحـ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
- ارتشاف الضرب من كلام العرب، لأبي حيان الأندلسي (محمد بن يوسف ت٧٢٥هـ)، تحـ د. مصطفى النحاس، مطبعة المدني ١٩٨٧م، ونشرة أخرى تحـ د. رجب عثمان ـ مكتبة الخانجي ١٩٩٨م.
- أسباب حدوث الحروف، لابن سينا (الرئيس أبي على الحسين، ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، صححه محب الدين الخطيب ـ القاهرة ١٣٣٢هـ.
- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد ـ القاهرة ١٩٦٣م.
- أصوات اللغة العربية، د. عبد الرحمن أيوب ـ القاهرة ١٩٦٨م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ١٩٧١م.
- الأصوات والإشارات، كندرا توف، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.
- الأضداد، لابن الأنباري (محمد بن القاسم ٣٢٨هـ)، تحـ محمد أبو الفضل، وزارة الإعلام الكويت ١٩٨٦م.
- الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، لابن مالك (محمد بن محمد ٦٨٦هـ)، تحـ د. حاتم الضامن، الرسالة ـ بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ٨١٧هـ)، تحـ الشيخ محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ.

- بغية المرتاد لتصحيح الضاد، لابن غانم المقدسي (علي بن محمد بن علي ١٠٠٤هـ)، تحـ. د. محمد جبار العبيدي، مجلة المورد، ع٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحـ. محمد أبو الفضل، دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ٢٧٦هـ)، تحـ. السيد صقر، دار التراث - القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- تاج العروس، للزبيدي (أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني ١٢٠٥هـ)، طبعة الكويت، وطبعة بيروت المصورة عن المطبعة الخيرية المصرية.
- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولسفنسون - القاهرة ١٩٢٩م.
- التجويد والأصوات، د. إبراهيم محمد نجا.
- التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد، لأبي عمرو الداني (عثمان بن سعيد ٤٤٤هـ)، تحـ. د. أحمد عبد التواب الفيومي، وهبة - القاهرة ١٩٩٣م.
- تحقيقات في التلقي والأداء، د. محمد حسن حسن جبل، مطبعة التركي بطنطا ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- التذكار في أفضل الأذكار، للإمام القرطبي (محمد بن أحمد)، ٦٧١هـ.
- التطور النحوي للغة العربية، برجستراسر، أخرجه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، الخانجي - القاهرة ١٩٨٢م.
- التغني بالقرآن، لبيب السعيد.
- تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل آي القرآن»، لأبي جعفر (محمد بن جرير ٣١٠هـ)، تحـ. الشيخين: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر.
- تفيسر القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، دار الكاتب العربي - القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- التفسير الكبير «مفاتيح الغيب»، للفخر الرازي (٦٠٦هـ)، دار الغد العربي - القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- التوطئة في اللغة العبرية، د. فؤاد حسين.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب السعيد، الكاتب العربي - القاهرة، دون تاريخ.
- جمهرة اللغة، لابن دريد (محمد بن الحسن ٣٢١هـ)، تحـ. د. رمزي بعلبكي، العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م.
- جهد المقل وبهامشه بيان جهد المقل، للإمام محمد المرعشي (١١٤٥هـ)، تحـ. مكتبة قرطبة، مؤسسة قرطبة ٢٠٠٤م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحـ. الشيخ محمد علي النجار، الهدى - بيروت، ط٢.
- خصائص اللغة العربية، د. محمد حسن حسن جبل، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٧م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة ١٩٩٠م.
- دفاع عن القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، مطبعة البربري، بسيون (مصر) ٢٠٠٠م.
- دقائق التصريف، للقاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (٣٥٠هـ)، تحـ. د. أحمد ناجي القيسي، ود. حاتم الضامن، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، للإمام مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ)، تحـ. أحمد حسن فرحات، دار عمَّان ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- زينة الفضلاء لابن الأنباري، تحـ. د. رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١م.
- السبعة في القراءات، للإمام أبي بكر بن مجاهد (٣٢٤هـ)، تحـ. د. شوقي ضيف، المعارف - مصر، ط٢.
- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحـ. د. حسين هنداوي، دار القلم - دمشق ١٩٨٥م.
- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (عبد الله بن محمد ٤٦٦هـ)، تحـ. عبد المتعال الصعيدي - القاهرة ١٩٥٣م.

- سر الليال في القلب والإبدال، أحمد فارس الشدياق (١٣٠٤هـ)، القسطنطينية ١٢٨٤هـ.
- السيرة النبوية، لابن هشام (عبد الملك ٢١٣هـ)، تحـ. مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لنور الدين علي بن إبراهيم (١٠٤٤هـ)، مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- شرح الشافية، لرضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (٦٨٦هـ)، تحـ. الشيخ محمد محيي الدين، والشيخ محمد نور الحسن، والشيخ محمد الزفزاف، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، تحـ. عبد السلام هارون، المعارف ـ القاهرة، ط٢.
- شرح المفصل، لابن يعيش (هو يعيش بن علي ٦٤٣هـ)، المنيرية ـ القاهرة، دون تاريخ.
- الصاحبي، لأبي الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحـ. السيد صقر، عيسى البابي ـ القاهرة ١٩٧٧م.
- صبح الأعشى، للقلقشندي (أحمد بن علي ٨٢١هـ)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة (عن الأميرية).
- ضرائر الشعر، لابن عصفور الإشبيلي (علي بن مؤمن ٦٦٩هـ)، تحـ. السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس ـ بيروت ١٩٨٠م.
- العربية، يوهان فك، ترجمة د. عبد الحليم النجار ـ القاهرة ١٩٥١م.
- العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة ـ الدار البيضاء، دون تاريخ.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه (أحمد بن محمد ٣٢٨هـ)، تحـ. د. الترحيني، وهناك نشرة بتحقيق أحمد أمين وآخرين.
- علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، دار غريب ـ القاهرة ٢٠٠٠م.

- علم الأصوات، مالبرج، تعريب ودراسة د. عبد الصبوز شاهين، الشباب ـ القاهرة ١٩٨٥م.
- علم الصوتيات، د. عبد اللـه ربيع ود. عبد العزيز علام، التوفيقية ـ القاهرة ١٩٧٧م.
- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٣م.
- علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين.
- العين، للخليل بن أحمد (نحو ١٧٠هـ)، تحـ د. مهدي المخزومي، د. السامرائي، دار الرشيد ـ العراق ١٩٨١م.
- غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام محمد بن محمد بن الجزري، تحـ برجستراسر، الخانجي ١٩٣٢م.
- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري (محمود بن عمر ٥٣٨هـ)، تحـ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل، عيسى البابي ـ القاهرة، ط٢.
- الفرق بين الضاد والظاء، لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)، تحـ د. أحمد كشك ـ القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، تحـ وهبي سليمان، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٤٣٠هـ)، تحـ مصطفى السقا، والإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مصطفى البابي ـ القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٦م.
- القطوف واللباب (مختارات من الأدب الفارسي)، د. حامد عبد القادر.
- القلب والإبدال، لأبي يعقوب يوسف بن السكيت (٢٤٠هـ)، تحـ د. أوغست هفنر ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٠٣م.

- القواعد الكافية في اللغة الفارسية.
- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٦هـ)، تحـ. محمد أبو الفضل والسيد شحاتة، نهضة مصر ـ القاهرة.
- الكتاب، لسيبويه (نحو ١٨٠هـ)، تحـ. عبد السلام هارون، الهيئة المصرية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للفاروقي التهانوي (بعد ١١٥٨)، تحـ. د. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ونشرة دار الكتب العلمية - بيروت، تحـ. أحمد بسج ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- لسان العرب، لابن منظور (ت٧١١هـ)، مصورة عن طبعة بولاق.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني (أحمد بن محمد ٩٢٣هـ)، تحـ. الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢هـ/١٩٧٦م.
- لهجات العرب، أحمد تيمور (١٣٤٨هـ) ـ القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- اللهجات العربية، د. إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ١٩٩٣م.
- مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، بشرح الجاربردي وحاشية ابن جماعة الكناني، عالم الكتب ـ بيروت، مصور عن طبعة المطبعة العامرة بتصحيح عثمان حلمي قره حصاري).
- المحكم في أصول الكلمات العامية، أحمد عيسى بك.
- المختصر الشافي على متن الكافي في العروض والقوافي.
- المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، الخانجي - القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، موسكاتي، ترجمة د. مهدي المخزومي، د. المطلبي، عالم الكتب ـ بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي (٣٥١هـ)، تحـ محمد أبو الفضل، نهضة مصر ـ القاهرة، د.ت.
- المختار من محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني.
- المزهر في علوم اللغة، للسيوطي، تحـ محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل، مصطفى البابي ـ القاهرة ١٩٥٨م.
- المستوفى في النحو، لعلي بن مسعود الفرخان، تحـ د. سعد جحا ـ القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، تحـ الشيخ محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي وعبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٢م.
- المعرب، للجواليقي (موهوب بن أحمد ٥٤٠هـ)، تحـ ف عبد الرحيم، دار القلم، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- مفتاح العلوم، للسكاكي (يوسف بن أبي بكر ٦٢٦هـ)، مصطفى البابي ـ القاهرة ١٣٥٦هـ.
- مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (نحو ٥٠٢هـ)، تحـ محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي ـ القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م. تحـ د. عدنان داوودي، دار القلم ـ دمشق ١٩٩٢م.
- مقالات الإسلاميين، للإمام الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل ٣٢٤هـ)، تحـ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد.
- مقاييس اللغة (معجم)، لابن فارس، تحـ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة سنة ١٣٦٦هـ.
- المقتضب، لأبي العباس المبرد محمد بن يزيد (٢٨٦هـ)، تحـ الشيخ عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٤١٥هـ/ ١٩٨٥م.

- مقدمة لدراسة اللغة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية ١٩٩٩م.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد)، صححه وراجعه الشيخ علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة.
- نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي نصر، مصطفى البابي ـ القاهرة ١٣٤٩هـ.
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحـ. الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٤٨م.

ثبت المحتويات

المختصر في أصوات اللغة العربية

☆ الكتاب:

هذا الكتاب «المختصر في أصوات اللغة العربية» دراسة نظرية وتطبيقية، حرص فيه المؤلف على:

١- حشد كل ما يهم الدارس العربي في هذا المجال في كل نقطة يعالجها.

٢- عروبة المعالجة، بمعنى انصبابها على المسائل العربية، واهتمامها بما جاء فى التراث العربي في كل مسألة، والربط بين الفصحى والعامية (المصرية).

٣- المعالجة على بصيرة، بحيث تتضمن نقد ما فيه مجال للنقد.

٤- الاهتمام بما قالته الدراسات الحديثة، عربية أو أوروبية، فى هذا المجال.

٥- ضم ثمرات الخبرة، وتوظيفها في التوضيح والتقويم كلما تطلب الأمر ذلك.

٦- ملاحقة المقررات الصوتية بالتطبيقات الموثقة والموضحة فى مجالَيْ الفصحى والعامية.

وإجمالاً فإن هذا الكتاب يوفر مستوى **الفقه** فى دراسة أصوات اللغة العربية، بما يشمل أصول التجويد في قراءة القرآن الكريم.

☆ المؤلف: أ.د./ محمد حسن حسن جبل

- من مواليد ١٠ / ٣ / ١٩٣١م - محافظة كفر الشيخ.
- «عالية» اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٩٥٦م.
- ليسانس آداب فى الفلسفة - جامعة القاهرة ١٩٥٧م.
- دبلوم عامة وخاصة في التربية - جامعة عين شمس ١٩٥٧، ١٩٦٥م.
- ماجستير في اللغة العربية - تخصص أصول اللغة - جامعة الأزهر ١٩٦٧م.
- دكتوراه فى أصول اللغة - جامعة الأزهر ١٩٧٦م.
- بدأ معايشته لفقه اللغة العربية منذ تسجيل رسالته للدكتوراه في موضوع «أصول معاني ألفاظ القرآن الكريم» سنة ١٩٦٧م.

☆ من مؤلفاته:

– المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم.
- الاحتجاج بالشعر في اللغة.
- الاستدراك على المعاجم العربية.
- الدلالات اللغوية والقرآنية.
- أصوات اللغة العربية.
- دفاع عن القرآن الكريم.
- وثاقة نقل النص القرآني الكريم.
- الرد على جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات.
- المعنى اللغوي، دراسة عربية مؤصلة نظريًا وتطبيقيًا.
- علم فقه اللغة العربية، أصالته ومسائله.

ISBN 978 977 468 018 2

9 789774 860188